

نَهْجَاتُ الْقُرْآنِ

الجزء الخامس
المعاد في القرآن (١)

أسلوب جديد في التفسير الموضوعي
للقرآن الكريم

سمحة العلامة المحقق الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

بمساعدة مجمع من الفضلاء

سماحة العلامة المحقق
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

نفحات القرآن

اسلوب جديد في التفسير الموضوعي
للقرآن الكريم

الجزء الخامس

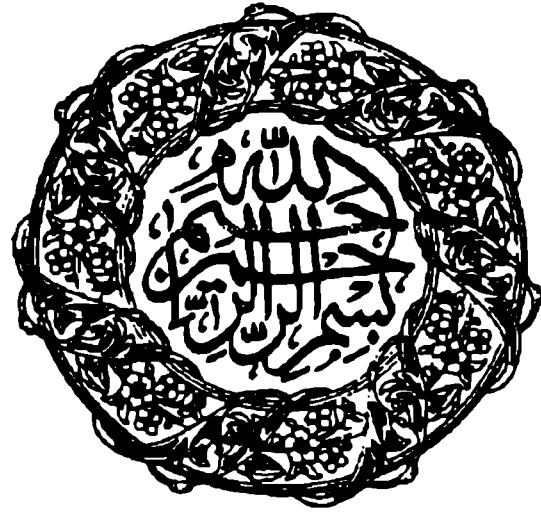
المعاد في القرآن

بمساعدة
مجموعة من الفضلاء



هوية الكتاب

- الكتاب نفحات القرآن / ج ٥
- المؤلف آية الله العظمى مكارم الشيرازي
- عدد النسخ ٢٠٠٠
- قطع وزيري ٤٣٢ صفحة
- المطبعة الحيدري
- الناشر مؤسسة أبي صالح للنشر و الثقافة



الاهداء :

الى الذين يعشقون القرآن .
الى الذين يريدون أن يشربوا من عين الحياة الصافية أكثر .
والى الذين يريدون ان يعرفوا القرآن ويفهموه أكثر .

بمساعدة العلماء الافاضل وحجج الاسلام السادة :

محمد رضا الآشتياني
محمد جعفر الامامي
عبد الرسول الحسيني
محمد الاسدي
حسين الطوسي
سيد شمس الدين الروحاني
محمد محمدي الاشتهاري

المقدمة

ما هو التفسير الموضوعي ؟
وماهي المشكلات التي يعالجها ؟

إن الجواب على هذين السؤالين له الاثر الكبير في فهم مواضيع مثل هذا الكتاب بشكل أصح وأفضل ، وما لم يتضح الجواب على هذين السؤالين لا يمكن معرفة الهدف الذي ترمي اليه مثل هذه الكتب .

اما بالنسبة للجواب عن السؤال الاول فنود ان نذكر بأن المدّة التي تنزل فيها القرآن المجيد دامت (٢٣) سنة ، وذلك نظراً للمتطلبات والظروف الاجتماعية المختلفة والأحداث المتنوعة ، فكان القرآن يسير وفقاً لتطورات المجتمع الاسلامي .

إن اكثر الآيات والسور التي نزلت في مكة كانت ترمي الى تركيز دعائم الايمان وترسيخ الاعتقاد بالتوحيد والمعاد ، وكانت تختص بالهجوم الشديد والمستمر ضد الشرك وعبادة الاوثان ، بينما ركزت الايات والسور التي نزلت في المدينة - وذلك بعد تأسيس الحكومة الاسلامية طبعاً - على وضع القوانين الاجتماعية والعبادية والسياسية وتأسيس بيت المال والنظام القضائي الاسلامي والشؤون المتعلقة

بالحرب والهدنة والجهاد ضد المنافقين وامثال ذلك من الامور التي كان الدين الاسلامي يواجهها .

ومن البديهي ان المسائل المذكورة لم توضع على شكل رسالة لبيان الاحكام الشرعية او على شكل كتاب منهجي كما هو المتعارف ، بل كانت الآيات تنزل وفقاً للمتطلبات والمناسبات والحاجات ، فإننا نرى مثلاً احكام الجهاد وفنون القتال واحكام المعاهدات والاسرى والفدية وامثال هذه الامور نزلت متفرقة وبشكل غير مرتب ؛ وذلك لانها نزلت مناسبة لكل غزوة ومتطلباتها ، كما هو الحال في وصفات العلاج التي يكتبها الطبيب الماهر ، فإنه يصفها للمريض في كل يوم بما يناسب حاله حتى يصل الى الشفاء التام .

فلو فسرنا آيات القرآن الكريم في أية سورة من السور بالترتيب الذي نزلت عليه فهذا التفسير يسمى بـ « التفسير الترتيبي » ، واما اذا جمعنا الآيات المختصة في « موضوع » واحد من سائر سور القرآن ووضعناها على شكل فصول وفسرناها فهذا التفسير يسمى بـ « التفسير الموضوعي » .

فمثلاً اذا جُمِعَتْ كل آيات الجهاد التي نزلت خلال عشر سنين من السور المدنية ، او جُمِعَتْ الآيات الخاصة باسماء وصفات الله التي نزلت خلال (٢٣) سنة من جميع سور القرآن ، وُضِمَتْ الى بعضها ، وفسرت بعضها البعض الآخر فإن هذا يسمى بالتفسير الموضوعي ، بينما لو فُسرت كل آية في موضعها وبشكل مستقل فإن هذا هو التفسير الترتيبي .

إن كل واحد من هذين النوعين له مزايا وآثار بحيث لا يمكننا الاستغناء عن احدها بالآخر كما يقول المثل « لكل مقام مقال » ، إن كلا النوعين من التفسير لازم وضروري للباحثين في القرآن الكريم . (ومن الطبيعي ان يُتقدَّم التفسير الترتيبي في البداية على التفسير الموضوعي) .

مزايا « التفسير الترتيبي » :

تُعرف اغراض الآيات ومفاهيمها من خلال زمان ومكان النزول ، مع ضمّها الى ما قبلها و ما بعدها من الآيات ، ومن خلال القرائن الداخلية والخارجية ، وبدون هذا لا يمكن فهم معنى الآية بدقّة .

وبعبارة اخرى فإن التفسير الترتيبي ينظر بدقّة الى كل آية في موضعها الذي نزلت من اجله ، ويأخذ بنظر الاعتبار صلّتها بحياة المجتمع الاسلامي وتطوره وتكامله ، وتكشف هذه الصلة بدورها عن مسائل كثيرة .

بينما في التفسير الموضوعي تخرج الآيات عن قالبها الجزئي وتأخذ موضعها في قالب كلي وتبتعدُ الى حدٍ كبيرٍ عن موضعها الذي نزلت من اجله .

وعلى ذلك فإن التفسير الموضوعي يمكنه ، أن يرفع الستار عن الامور التالية :

١ - يجمع الابعاد المتشعبة في طبّات الآيات المختلفة للموضوع ، وينظر الى المواضيع بشكلها المتعدد الابعاد ، وهذا ينتهي طبعاً باستخراج حقائق جديدة لتلك المواضيع .

٢ - يطرد الاتهامات التي تُشاهد في بادئ الامر في بعض الآيات طبعاً للمبدأ القائل بأن « القرآن يفسّر بعضه بعضاً » .

٣ - يوضح نظرية المعرفة الاسلامية بشكل عام ورؤيتها في كل مسألة وموضوع .

٤ - لا يمكن رفع النقاب عن الكثير من اسرار القرآن الخفية الا من خلال التفسير الموضوعي ، ولا يتيسر الخوض في اعماق آياته - على قدر الطاقة البشرية - الا بواسطته .

وبناءً على هذا فإن أيّ مسلم مهما بلغ من المعرفة والتعمّق لا يمكنه الاستغناء عن احد هذين النوعين من التفسير وبالرغم من ان التفسير الموضوعي كان موضع

اهتمام منذ اقدم الأيام بل حتى في عصر أئمة الهدى عليهم السلام ، فقد كتب علماء الاسلام في هذا المجال كتباً جمّة ككتاب « آيات الاحكام » الذي يعتبر نموذجاً واضحاً لذلك ، إلا إنه يجب الاعتراف بأن التفسير الموضوعي لم يحضّ بالتطور اللائق به ، وهو لحد الآن بطوي مراحل الابتدائية ، ويجب ان يرقى الى محلّه اللائق من خلال جهد وعطاء العلماء .

إن كتاب « رسالة القرآن » الذي بين يديك هو ابداع واسلوب جديد تماماً في التفسير الموضوعي للقرآن ، وقد خطى في هذا الموضوع خطى جديدة فاستقبل - والحمد لله - بشكل واسع ومستمر من قبل الكثيرين ونحن بعد في اول الطريق ، ونحتاج الى عون ودعم اكثر من العلماء المسلمين والمفسرين المحترمين للوصول الى الهدف الرئيسي ، ونحن نتقبل دوماً الآراء البناءة من أهل الخبرة والاطلاع ، ونسأل الله دوام الهداية والتوفيق .

قم - الحوزة العلمية

ناصر مكارم الشيرازي

اهمية بحث المعاد في المنظور القرآني

تمهيد :

لو القينا نظرة اجمالية على آيات القرآن المجيد لما وجدنا بحثاً يتصدّر جميع البحوث العقائدية للدين الاسلامي بعد بحث التوحيد ، مثل بحث المعاد والحياة الآخرة وجزاء الاعمال والثواب والعقاب واجراء العدالة .

إن وجود ما يقارب (١٢٠٠) آية من مجموع آيات القرآن المجيد تهتم ببحث المعاد وهو ما يمثل ثلث آيات القرآن تقريباً ، وما جاء من ذكر للمعاد في جميع صفحات القرآن تقريباً وبلا استثناء ، وتكريس الكثير من السور الأخيرة في القرآن بأجمعها او بغالبيتها للمعاد ومقدماته وعلاماته ونتائجه ، ما هي إلا أدلة مؤيدة لهذا الادّعاء .

فالقرآن المجيد يتحدث عن عالم الآخرة في كل مقطع تطرّق فيه لموضوع الايمان بالله ، وقد اقترن ذكر الموضوعين معاً في (٣٠) آية تقريباً . ﴿ ويؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ او بتعبيرات مشابهة ، وأشار لليوم الآخر أو الآخرة في اكثر من (١٠٠) موضع .

ولم لا يكون كذلك ؟ في حين أن :

١ - كمال الايمان بالله وحكمته وعدالته وقدرته لا يتم بدون الايمان بالمعاد .

٢ - الايمان بالمعاد يُعطي لحياة الانسان قيمة ، ويُخرج الحياة الدنيا عن اللغو

والعبثية .

٣ - الايمان بالمعاد يخطّ طريقاً واضحاً لتكامل الحياة الانسانية .

٤ - الايمان بالمعاد يضمن تطبيق كلّ السنن الالهية ، وهو الدافع الرئيسي

لتهذيب النفوس واحترام الحقوق والعمل بالواجبات وايثار الشهداء وتوضحية المضحين ، وهو الذي يدفع الانسان لمحاسبة نفسه .

٥ - الايمان بالمعاد يُضعِف حبّ الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ، ويُخرجُ

الدنيا عن كونها « هدفاً نهائياً » ويجعل منها « وسيلة » لنيل السعادة الخالدة ، وكم الفارق شاسع بين هذين المنظرين ! .

٦ - الايمان بالمعاد يعطي للانسان القوة لمقاولة الشدائد ، ويحيل صورة

الموت المرعبة - التي تخطر على فكر الانسان على هيئة كابوس ثقيل وتسلبه راحته - من مفهوم الفناء والعدم الى نافذة نحو عالم الخلود .

٧ - الكلام الفصل هو ان الايمان بالمعاد - إضافة الى الايمان بمبدأ عالم

الوجود - يُعدّ الخط الفاصل بين الالهيّين والماديّين .

بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن ونستمع خاشعين للآيات التالية :

١ - ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ

اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ . (النساء / ٨٧)

٢ - ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُنْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا

عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ . (التغابن / ٧)

٣ - ﴿ وَيَسْتَنْبِئُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِيَّيَّ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

(يونس / ٥٣)

٤ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ .
(سبأ / ٣)

٥ - ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .
(آل عمران / ٩)

٦ - ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .
(الشورى / ١٨)

٧ - ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
(الاعراف / ١٤٧)

٨ - ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .
(الاسراء / ١٠)

٩ - ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴾ .
(الجاثية / ٣٤)

١٠ - ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذْ أَكُنَّا تُرَابًا ءِإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .
(الرعد / ٥)

جمع الآيات وتفسيرها :

التأكيدات الكثيرة :

لقد ذكر المعاد والحياة الآخرة بشكلٍ مؤكد وبصورة مختلفة في الآيات الانفة الذكر، كل ذلك من اجل بيان الاهمية البالغة التي يكتنها القرآن لذلك الأمر .

الخطاب في الآية الاولى يؤكد على جمع البشر في ذلك اليوم الذي لاريب فيه قال تعالى : ﴿ الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه ﴾ ، ثم يبالغ

بالتأكيد فيقول : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ .

إن بداية الآية وجميع اجزائها تؤكد على هذه المسألة ، وتشكل مقياساً للاهمية التي يكتنّها القرآن لذلك الموضوع^(١) . ومن الجدير بالذكر أنّ « الريب » يعني اساساً في رأي « معايير اللغة » هو الشك ، أو الشك المشوب بالخوف والقلق ، أما إطلاق كلمة ريب على « الحاجة » فذلك لأن المحتاج الى شيء عادة يشك في الحصول على ذلك الشيء فيكون شكّه مشوب بالخوف من الحرمان ! .

وفي « فوارق اللغة » ذُكرت عدّة فروق بين « الشك » و « الريب » ، منها أن « الارتباب » شك مشوب بالتهمة .

فمن المحتمل ان يكون السبب في استعمال القرآن الكريم لهذا الاصطلاح بشأن المعاد هو إن المعارضين لأمر المعاد كانوا بالاضافة الى تظاهرهم بالشك في مسائل المعاد يتهمون النبي ﷺ باختلاق تلك الامور .

ولكن يبقى هنالك سؤال يحتاج الى الاجابة وهو لِمَ اكتفى القرآن في هذا الموضع وفي مواضع مشابهه بالمدعى من دون ذكر دليل عليه ؟
واسباب ذلك كثيرة ؛ وأولها : إن أدلة اثبات المعاد وردت في مواضع كثيرة من القرآن المجيد ويبحث باستمرار ، فلم يكن من الضرورة تكرارها في هذه الآية ، وثانياً كأن القرآن يريد أن يوضح هذه الحقيقة وهو ان الشواهد على اثبات المعاد بلغت من الوضوح حداً بحيث لم يُبق مجالاً للشك أو التردد^(٢) .

(١) وهنالك آيات كثيرة اخرى في القرآن ايضاً تأكد جميعها على هذا الموضوع وهو أن لاشك في الرجعة ، مثل آية ٧ من سورة الحج ، والآية ٩ ، ٢٥ من سورة آل عمران ، والآية ١٢ من الانعام ، والآية ٢١ من الكهف ، والآية ٥٩ من غافر ، والآية ٧ من الشورى ، والآية ٢٦ و ٣٣ من سورة الجاثية .

(٢) يجب الانتباه الى ان « اللام » في « ليجمعنكم » للقسم ، ثم صاحبها نون التوكيد الثقيلة ، وبعد ذلك أُكِّدَت بجملة « لاريب فيه » واخيراً اشدّ التأكيد بجملة : ومن اصدق من الله حديثاً . (ولكن لماذا تعدت « ليجمعن » هنا بـ « الى » ، مع ان القاعدة تقتضي التعدي بـ « في » ؟ فإن المفسرين اجابوا : ان السبب هو أن كلمة « ليجمعن » انت بمعنى « ليحشرن » التي تتعدى بـ « الى » ، أو ان تكون « الى » هنا بمعنى « في » .

في الآية الثانية أمر النبي ﷺ بأن يُقسم مؤكداً على أن هنالك قيامة وحشراً ونشراً حيث قال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

نحن نعلم بأن القسم لا يستحسن عادةً ، على الاخص عندما يكون القسم بالله تعالى ، من اجل هذا نهى القرآن الناس عنه في الآية الكريمة : ﴿ ولا تجعلوا الله غُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ ﴾ (البقرة / ٢٢٤) .

ولكن احياناً وعندما يكون الامر مهماً جداً فإن القسم لدعم ذلك الامر لا يكون مباحاً فحسب بل يكون ضرورياً .

وفي هذه الآية علاوة على ذكر التأكيد في « لتبعثن » و « لتنبئون » فإنها تصرّح على أن هذا الامر يسير على الله ، ولذلك فلا يجب ان ترتابوا أو تترددوا فيه ^(١) .

وفي الآية الثالثة طُرحت هذه المسألة على شكل استفسار ومحاورة تجري بين النبي ﷺ والمشرّكين : ﴿ ويستنبئونك أحقّ هو ؟ ! ﴾ .

ويجب الالتفات الى أن « يستنبئونك » من « النبأ » وهو « الإخبار المهم » قال « الراغب » في « المفردات » النبأ هو الاخبار النافع المصاحب للهول والعظمة لدى الانسان الذي لديه علم أو ظنّ غالباً بذلك الإخبار ، ومادام الخبر لا يتصف بهذه الامور الثلاثة (الفائدة والعظمة والعلم) فإنه لا يسمى « نبأ » ، (بناءً على هذا فالخبر المشكوك أو قليل الاهمية أو عديم الفائدة لا يسمى « نبأ » ، وأما ما نراه في سورة النبأ من وصف النبأ بـ « العظيم » فإنه لشدة التأكيد) وعندما يطلق على النبي ﷺ ذلك فبسبب إتصاف ما أخبر به بهذه الصفات الثلاثة ايضاً .

(١) « زعم » على وزن « طعم » في الاصل بمعنى الخطاب المحتمل كذبه أو المتيقن في كذبه ، واحياناً تأتي بمعنى الظن الكاذب ايضاً من دون أن يكون هنالك اي خطاب ، روى بعض المفسرين مثل الشيخ الطوسي في « التبيان » والقرطبي مؤلف كتاب « روح البيان » بأن « زعم » كناية عن الكذب .

ثم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ . والنكته في استعمال كلمة « الرب » هنا هي للإشارة الى أن القيامة هي دوام ربوبية الخالق واستمرارها ، وإن القيامة هي من مظاهر الربوبية . وسيأتي توضيح هذا الكلام في العاجل عند البحث في أدلة المعاد بإذن الله .

وازداد التأكيد شدة في آخر الآية في جملة : ﴿ وما انتم بمعجزين ﴾ . يعتقد عدد من المفسرين بأن هذه الآية تُشير الى صدق القرآن أو نبوة الرسول ﷺ ، بينما تصرّح الآية السابقة والآية اللاحقة لهذه الآية بوضوح أن المراد من النبا هو مسألة المعاد ومجازاة المذنبين في يوم القيامة التي طُرحت بعنوان امرٍ واقعٍ لا شك فيه من خلال اضاء انواع التأكيدات عليها .

إن كل من كلمة « إِي » ، والقسم « رَبِّي » و « إِنَّ » و « اللام » في « لَحَقٌّ » ، ونفس كلمة « حق » وكون الجملة اسمية ، وجملة « وما انتم بمعجزين » هي تأكيدات لبيان أهمية هذه المسألة .



وفي الآية الرابعة طرحت هذه المسألة بشكل جديد فهي تنقل قول الكافرين أولاً ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ﴾ .

ثم يأمر النبي ﷺ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُم عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ . من الممكن أن يكون ذكر « عَالِمُ الْغَيْبِ » هو للالتفات الى السبب الذي أدى الى انكار المعاد من قِبَل الكافرين وذلك لأنهم كانوا يقولون : مَنْ يَقْدِرُ عَلَى جمع الرفات المتناثرة في اكناف الارض على شكل ذرات ؟ ومن يقدر على احصاء اعمال الانسان التي بادت وانمحت ولم يبق منها أي أثر ليثاب ويعاقب عليها ؟ يجيب القرآن هنا بجملة وجيزة ، ويقول : الله الذي يعلم الغيب ويعرف خفايا الانسان يتكفل بذلك .

ولكن لماذا أطلق اسم « الساعة » على القيامة في احد اسمائها ؟ لأن « الساعة » بتصريح اصحاب اللغة وضعت في الاصل للجزء الصغير من اجزاء الزمن ، أو بتعبير آخر هي اللحظة السريعة الانقضاء ، وبما أن حساب العباد في يوم القيامة أو اصل قيام القيامة يتم بسرعة أطلق هذا الاسم على يوم القيامة^(١) .

ومن الجدير بالذكر ايضاً هو ان كلمة « ساعة » كما جاء في لسان العرب تطلق على لحظة انتهاء العالم المتواجثة وعلى قيام يوم القيامة معاً ؛ لأن قيام يوم القيامة يكون مفاجئاً ايضاً .

وقسم البعض « الساعة » الى ثلاثة انواع : « الساعة الكبرى » و « الساعة الوسطى » و « الساعة الصغرى » .

فالساعة الكبرى هي يوم الحشر ، والساعة الوسطى هي الموت المفاجئ لتقوم في احد الازمنة (مثل قوم نوح الذين غرقوا في وقت الفيضان) والساعة الصغرى هي ساعة الموت لكل انسان^(٢) .



وفي الآية الخامسة جاء هذا المعنى على لسان « الراسخين في العلم » فهؤلاء ايضاً خلال مناجاتهم مع الله أكدوا على أمر المعاد والحشر واعتبروه من اوضح الامور المسلّمة حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .
ولشدّة التأكيد أضافوا الى ذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .
وفي هذه الآية ايضاً جاء عدد من التأكيدات مثل كلمة « إِنَّ » و « الجملة

(١) فعل « سَاعَ » اتى بمعنى زوال ، والزوال يحمل في طياته مفهوم سرعة الانقضاء ، قال في المنار : ساعة في الاصل بمعنى الزمان القصير الذي يُعَيَّن بواسطة مقدار عملٍ معيّن حدث في خلال ذلك الوقت . (المنار الجزء ٧ الصفحة ٣٥٩) .

(٢) تاج العروس في شرح القاموس ومفردات الراغب .

الاسمية « وجملة » لاريب فيه « وجملة » إن الله لا يخلف الميعاد .



إنكار المعاد هو عين الضلال :

الى هنا كان الكلام في التأكيدات ، ولكن الآيات الخمس المتبقية من آيات بحثنا تشتمل على تهديدات مختلفة وجّهت الى جاحدي الحشر والمعاد وكل آية لها تعبير خاص ، ففي الآية السادسة مثلاً قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

« يمارون » من « المراء » أو « المرية » . قال في « مقاييس اللغة » انها على معنيين : الاول شَدَّ اليد على ثَدْي الحيوان لحلب اللبن ، والمعنى الثاني الصلابة والرصانة ، لكن الراغب لم يذكر في المفردات إلا المعنى الاول .

ثم ان هذه الكلمة جاءت بمعنى الشك والترديد ، وإن قال الراغب إن لها مفهوماً أضيق دائرة من الشك (من المحتمل أن يكون السبب في ذلك هو أن « المرية » يُفهم منها معنى الشك المقرون بالبحث والتحقيق ، كما هو الحال في حالب اللبن فإنه يبذل جهداً لاستخراج اللبن من الثدي) .

أمّا « المماراة » فهي بمعنى المجادلة في البحث والتعصب في الجدل أو أن كلاً من الطرفين يريد أن يقرأ افكار الطرف الآخر . أو كما قال صاحب المقاييس أن كلاً المعنيين يشتملان على الصلابة والتزمّت في البحث ، كما أشير أعلاه بأن الصلابة هي احد معاني المرية .

من الجدير بالذكر إن استعمال « ضلالٍ بعيد » جاء في عشر آيات في القرآن المجيد ، وكانت اغلبها خطاباً للكفار والمشركين وجاهدي المعاد ، وهذا التعبير يبيّن بوضوح بأن الضلال البعيد يختص بهذه المجموعة ، وذلك لأنّ الايمان بالله ويوم الحساب إن وجد يجعل وجود الضلال سطحياً ويزيد من احتمال العودة الى

طريق الحق ، بينما يجرف جحد التوحيد والمعاد الانسان ويجرّه الى آخر درجة من الضلال ويبعده عن صراط الهداية القويم الى ادنى حد . أو بتعبير آخر إن الأدلة على معرفة الله واثبات المعاد على حد من الوضوح يجعلها تشابه الامور الحسية الملموسة ، والذي يصاب بالضلال في هذين الامرين فضلاله عظيم .

وفي الآية السابعة أُشير الى مسألة « حبط الاعمال » اي اعمال الجاحدين للمعاد في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

« الحبط » في الاصل بمعنى البطلان او التمرض^(١) ، وفي تعبير الآيات والروايات جاء بمعنى محو ثواب الاعمال بسبب ارتكاب عدد من الذنوب . وجاء في « لسان العرب » إن « الحبط » هو ان ينجز الانسان عملاً ماثم يُبطله . ولعلماء علم الكلام نقاش في مسألة هل يكون « الحبط » حاكماً دائماً في تأثير المعاصي والطاعات على بعضها الآخر ام لا ؟ وسوف نتعرض بالبحث مفصلاً في هذه المسألة في محلها انشاء الله ، ولكن لا يوجد على نحو القضية الجزئية شك في صحة هذه المسألة ، فإن بعض الامور مثل « الكفر » تكون سبباً في حبط ثواب جميع الاعمال الصالحة ، فلو مات أحد على الكفر فإن جميع أعماله الصالحة ستباد كنثر الرماد في ريح عاصف . إن الآيات الآنف الذكر تنسب هذا الاحباط لجاحدي الآيات الدالة على اثبات الله والمعاد ، وهذا دليل واضح على اهمية المعاد في رأي القرآن المجيد .

(١) مقاييس اللغة (مادة حبط) .

وفي الآية الثامنة هدد القرآن بشكل صريح بتعذيب الذين لا يؤمنون بالآخرة عذاباً أليماً ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ . فهو من جانب يقول ان الجزاء مُعدّ وجاهز كي لا يظنّ أحد أنّ الجزاء وعد مؤجل ، ومن جانب آخر يصف العذاب الالهي بـ « الليم » وهذا الوصف من اجل المبالغة في بيان اهمية الايمان بالمعاد .

وكلمة « عذاب اليم » تكرر ذكرها في القرآن المجيد عشرات المرّات وفي آياتٍ مختلفة ، وخوطبَ بها الكفّار والمنافقين غالباً ، ووردت احياناً في موارد الذنوب الكبار مثل ترك الجهاد (سورة التوبة / ٣٩) والاححاف عند القصاص في (البقرة / ١٧٨) أو اشاعة الفحشاء (النور / ١٩) أو الظلم والعدوان (الزخرف / ٦٥) وما شابه ذلك من الكبائر .

وفي الآية التاسعة ذُكرت ثلاث عقوبات اليمّة للذين لا يبالون بيوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ قِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ .
﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ .
﴿ وَمَالِكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

إن عدم المبالاة بيوم القيامة هو مصدر جميع انواع الضلال في الواقع ، كما جاء في القرآن ! ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . (سورة ص / ٢٦)^(١) .

من الطبيعي ان الله موجودٌ في كل مكان ، وإن جميع الاشياء حاضرة بين يديه ، ولا معنى لنسبه النسيان اليه ، فالمراد من النسيان هنا هو أنّ الله تعالى يحرم هؤلاء من رحمته الى ابعد الحدود بحيث يُتصوّر أنه نسبهم ! (فتأمل) .



واخيراً في الآية العاشرة والاخيرة أوعَدَ الله عزوجل جاحدي المعاد بالخلود في النار وهَدَدَهم بالعذاب الدائم ، قال تعالى بعد أن وجَّه الخطاب الى النبي ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ءِإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ .

ثم يضيف الى ذلك : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الحديث في بداية الآية عن تعجَّب الكفار ، ثم يَعِدُّ هذا التعجب من غرائب الامور ، اي هل هناك عجب من هذا الامر الواضح المُدعَم بكل هذه الادلة ؟ وبصورهم في نهاية الآية بصورة السجناء المكبَّلين بالاغلال والسلاسل في اعناقهم ، وأي اغلال واي سلاسل اكثر تقييداً من التعصب والجهل والهوى الذي يسلبهم كل انواع حرية التفكير الى حد تصبح فيه المسألة الواضحة كل الوضوح مدعاة لعجبهم ، وذلك لانها لاتوافق هواهم وتقليدهم الاعمى .

فيجب الالتفات الى أن ظاهر الآية هو التقييد بالاغلال والسلاسل في الوقت الحاضر لابتعد ذلك في يوم القيامة ، كما جاء في الشعر : لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ اغْلَالٌ وَاقْيَادٌ . ولكن بعض المفسرين يرى ان الآية تشير الى حالهم يوم القيامة ويعتقد بأن الاغلال والسلاسل ستوضع على اعناقهم في ذلك اليوم ^(١) . وذكر البعض الآخر كلا الاحتمالين ^(٢) . ولكن عدداً من المفسرين يعتقد بأن الآية تشير الى حالهم في الدنيا ، كما صرح بذلك المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان فإنه قال : ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ اشارة الى اللازم الثاني وهو الاخلاص الى الارض والركون الى الهوى والتقييد بقيود الجهل واغلال الجحد والإنكار ^(٣) .

ومن الواضح إن قيوداً واغلالاً من هذا القبيل والتي يضعها الانسان في يديه

(١) مجمع البيان سورة الرعد في تفسير ذيل الآية ٥ ، وتفسير القرطبي جلد ٥ الصفحة ٣٥١٣ .

(٢) الفخر الرازي الجزء ١٩ الصفحة ٩ .

(٣) تفسير الميزان الجزء ١١ الصفحة ٣٠٠ .

ورجله وعنقه سوف تظهر له يوم القيامة على صورة اغلال وسلاسل من نار، وسوف تُصَدَّه عن الارتقاء الى درجة القرب الالهي .



نتيجة البحث :

يتضح جيداً من مجموع الآيات السابقة - وآيات اخرى سوف تُذكر في الابحاث اللاحقة - مدى اهتمام القرآن المجيد بالايمان بالمعاد ، وكيف يَعُدُّه من اركان وأسس الايمان التي يسبب تركها الضلال البعيد والابتعاد عن الحق والخلود في النار والعذاب الاليم ، ويُعدُّ انكار المعاد دليلاً على فقدان حرية التفكير والتكبل بسلاسل الجهل والعناد .

وبالتأكيد فإن هذه الامور هي السبب في احتلال بحث المعاد المرتبة الثانية بعد بحوث التوحيد ومعرفة الله بالنسبة لسعة البحوث في القرآن الكريم .

اسماء المعاد في القرآن الكريم

تمهيد :

عبر القرآن المجيد في مئات من الآيات عن مسألة المعاد بتعبيرات متنوعة ، ويُعد كل تعبير من تلك التعابير هو إشارةً الى بُعدٍ من ابعاد مفهوم المعاد ، وتلك التعبيرات بمجموعها توضح عمق هذه المسألة واهداف الحياة الآخرة .
وبما أن مطالعة عبارات القرآن المتنوعة للمعاد تفتح امامنا آفاقاً جديدة في هذه المسألة العقائدية المهمة ، فإننا نتعرض لدراسة تلك العبارات .
وأهم العبارات القرآنية في هذه المسألة هي العبارات الثمانية التالية والتي تشكّل أساس الايات الشريفة :

١ - « قيام الساعة » .

٢ - « إحياء الموتى » .

٣ - « البعث » .

٤ - « الحشر » .

٥ - « النشر » .

٦ - « المعاد » .

٧ - « لقاء الرب » .

٨ - « الرجوع » .

بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن لنستمع خاشعين الى نماذج من التعبيرات
الآنفة الذكر :

١ - ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ . (الروم / ١٢)

٢ - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(الحج / ٦)

٣ - ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ .

(الحج / ٧)

٤ - ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . (الحجر / ٢٥)

٥ - ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ

الارض بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ . (فاطر / ٩)

٦ - ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ . (الاعراف / ٢٩)

٧ - ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ . (يونس / ٤٥)

٨ - ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ . (العنكبوت / ٥٧)

جمع الآيات وتفسيرها :

١ - القيامة :

« القيامة » هي اكثر العبارات شيوعاً عن المعاد وهي مأخوذة من مادة « القيام » ،

وقد عبّر القرآن المجيد عن ذلك اليوم العظيم في (٧٠) مورداً بتعبير « يوم القيامة » ،

وفي بعض الآيات مثل الآية الاولى من آيات بحثنا ذكره بتعبير ﴿ يوم تقوم

الساعة ﴾ حيث قال تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ^(١) .

(١) « يلبس » . . . من مادة « ابلأس » ، قال الراغب : الابلأس هو الغم والهم الحاصل من شدة اليأس

من الطبيعي أن ييأس المذنبون ويكتئبوا في ذلك اليوم ويلزموا جانب السكوت ؛ لأنهم يرون نتائج اعمالهم بعد أن لم يبق أمامهم طريق لتدارك ما مضى . يقول الفخر الرازي في تفسيره بعد أن يقسم اليأس الى نوعين :

(يوم تقوم الساعة يكون للمجرم يأس محير لا يأس هو احدى راحتين ، وهذا لأن الطمع اذا انقطع باليأس فاذا كان المرجو امراً غير ضروري يستريح الطامع من الانتظار وإن كان ضرورياً بالابقاء له ينفطر فؤاده أشد انفطار ، ومثل هذا اليأس هو الابلأس)^(١) .

فأحياناً : يحلُّ اليأس في موارد يحتاج الانسان الى مقصوده احتياجاً مبرماً ، فمن البديهي في مثل هذه الموارد يكون اليأس سبباً للحيرة والضياع ومصدراً للألم والغم القاتل ، فكلمة « إبلأس » تستعمل في المعنى الثاني (بينما كلمة « يأس » ليست كذلك) .

ثم أن القرآن الكريم يعبر عن المعاد ايضاً بـ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (ابراهيم / ٤١) .

وتارة يقول : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ (المطففين / ٧٦) .

وتارة يذكره بعبارة ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة ﴾ (النبأ / ٣٨) .

وأخرى بعبارة : ﴿ يوم يقوم الأشهاد ﴾ (غافر / ٥١) .

بلى إن ذلك اليوم هو يوم القيامة ، يوم قيام الساعة وقيام الحساب وقيام الناس وقيام الملائكة وقيام الاشهاد ويوم قيام كل شيء .

والملفت للنظر هو أن التعبير بقيام الساعة له مفهوم خاص من بين هذه

والقنوط ، وفسر البعض الابلأس باليأس بينما فسره البعض الآخر من المفسرين واللغويين بأنه يعني السكوت الناشئ من عدم وجود الأدلة . (المفردات والصاحح والتحقيق وروح المعاني وتفسير الميزان) .

(١) تفسير الرازي ح ٢٥ الصفحة ١٠١ .

التعبيرات ؛ لأن الساعة - كما قلنا سابقاً - تعني الجزء من الزمان فهل يعني هذا ان للزمان قيام ؟ . يعتقد البعض ان هذا التعبير يدل على ان يوم القيامة يمكن أن يُتصوّر له التلبس بالقيام والنهوض كما هو الحال في الموجودات الحيّة (فتأمل) .

٢ - احياء الموتى :

احياء الاموات هو عنوان آخر يُشاهد بشكل واسع في الآيات المختصة بالمعاد ، وكما سيأتي - بإذن الله - في بحث أدلة المعاد إن عدداً كبيراً من هذه الادلة تُؤكّد على هذا العنوان ، وتُصوّر إمكان الإحياء بعد الممات بطرق مختلفة .
ومن جملتها الآية التي هي مورد بحثنا . فبعد أن ذكر القرآن المجيد ثلاث امور مهمة هي (مسألة خلق الانسان من التراب ، والتطوّرات المختلفة للجنين ، وإحياء الارض بعد نزول الغيث) قال : ﴿ ذلك بأن الله هو الحقُّ وأنه يحيي الموتى وأنه على كلّ شيء قدير ﴾ .

« الحق » يعني الواقع والثبوت ، والتعبير السابق - على حد قول « الميزان » يُشير الى ان الله عزوجل هو عين الواقع لا أنه وجود له واقع ، إنه عين الثبوت والواقع ، وبالاحرى إن واقعية وثبوت كل شيء في العالم مترشح من فيض وجوده^(١) .

وما يقابل الحق هو الباطل ، فإنه لاواقع ولاثبوت له ، بل هو خيالٌ وظنٌ باطل وسرابٌ لاغير .

والملفت للنظر في هذه الاية هو الامور الثلاثة المذكورة اعلاه (خلق آدم من التراب ، وتطورات الجنين ، واحياء الارض الميّتة) فإنها جاءت كدليل على اثبات المبدأ الاول أي اثبات اصل وجود الله ، وعلى اثبات المعاد واثبات صفات الله (مثل

القدرة) . إن هذه التغيرات الواسعة والمهيمنة على كل موجودات العالم هي في الواقع دليل على وجود محور ثابت في عالم الوجود ، وهذا النظم العجيب الذي يهيمن على الظواهر المختلفة هو دليل على حكمة وقدرة ذلك المحور ، وتدل كل هذه الامور بوضوح على امكان الحياة بعد الموت .

وكما اشرنا سابقاً بأن تعبير « احياء الموتى » ورد بشكل واسع في آيات المعاد ، فإن هذا التعبير يدل بوضوح على كون المعاد جسمانياً ، لا عودة الروح فحسب ، بل يعاد في الآخرة الجسم المتعلق بها ايضاً (ولكن على مستوى أعلا وارقى كما ستأتي الإشارة اليه لاحقاً) فلو كان المعاد بالروح فقط لما كان للحياة الآخرة مفهوماً اصلاً ، لأن الروح بعد انفصالها عن البدن تستمر في الحياة وتحافظ على بقائها .



٣ - البعث :

ومن التعابير الاخرى التي وردت في آيات القرآن عن القيامة هو « البعث » ، ففي الآية اللاحقة لتلك الآية السابقة من سورة الحج من آيات البحث قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ .

لقد ورد هذا التعبير في القرآن بشكل واسع جداً فأحد اسماء القيامة هو « يوم البعث » (الروم / ٥٦) ، أو « يوم يُبعثون » وجاء هذا التعبير في ست آيات من القرآن^(١) .

وهذا التعبير تكرر ذكره كثيراً حتى في اسئلة المشركين التي كانوا يسألونها من النبي الاكرم مثل : ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (الصافات / ١٦)^(٢) .

(١) الاعراف / ١٤ - الحجر / ١٦ - المؤمنون / ١٠٠ - الشعراء / ٨٦ - الصافات / ١٤٤ - الصفحة / ٧٩ .

(٢) جاء هذا المعنى في الآيات التالية : (الاسراء / ٤٩ و ٩٨) - (المؤمنون / ٨٣) - (الواقعة / ٤٧) -

« البعث » له مفهوم واسع في اللغة ، فقد حمله البعض على أنه بمعنى « الارسال » والبعض الآخر على انه بمعنى « الايصال » ، وفُسِّرَه آخرون . بـ « النشر » ولكن يظهر من موارد استعماله المختلفة أنَّ له مفهوماً واحداً ، ألاَّ أنه يتغيَّر تبعاً لمورد استعماله بما يناسبه ، كارسال النبي ﷺ لأبلاغ الرسالة . وبعث الجيش للجهاد ، او الانسان النائم لاداء وظيفته ، او نشر الاموات للحساب ، وارسال الحيوان للحركة^(١) .

والسبب في اطلاق هذا التعبير على القيامة للمناسبة الموجودة بين البعث وابتداء الحركة في الاموات الذين يخرجهم الله من القبور ، ومن ثم يبعثهم للحساب نحو محاكم القيامة ، وبعدها نحو الجنة او النار ، فكل واحد من هذه المراحل هو مصداق « للبعث » .

ويلاحظ ان هناك تعبير آخر في آيات القرآن يقارب في أفقه مادة « البعث » وهو مادة « بَعَثَرَة » (على وزن مَنَقَبَة) .

ولم يأتِ هذا التعبير في القرآن إلا في آيتين الموضع الاول : ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ﴾ (الانفطار / ٤) ، والموضع الاخر هو الآية : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ (العاديات / ٩) .

وبالرغم من أنَّ ارباب اللغة فسَّروا مادة « بعثرة » بالتقليب والنشر ، لكنَّ الراغب في المفردات إحتمل ان تكون هذه الكلمة مركبة من كلمتي « بعث » و« أثيرت » ، فتكون الاولى بمعنى الانهاض ، والثانية بمعنى النشر ، ولذلك اشتملت هذه الكلمة « بعثرة » على المعنيين .

أما « البيضاوي » فإنه نقل هذا المطلب بتعبير آخر وهو أن « بعثرة » مركبة من

(الانعام / ٢٩) - (المؤمنون / ٣٧) .

(١) المفردات للراغب ومقاييس اللغة والتحقيق في كلمات القرآن الكريم .

«بعث» و«رأى» في «اثارة»^(١).



٤ - الحشر :

ورد التعبير «بالحشر» عن القيامة كذلك في آيات كثيرة في القرآن المجيد كما جاء في آية بحثنا : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

« حكيمته » توجب أن لا ينتهي كل شيء بموت الانسان ، والأفان الحياة الدنيا والنوم والأكل والشرب واللُبس لا قيمة لها حتى تكون الهدف من خلق الانسان الرفيع المستوى وتكون الهدف من خلق هذا العالم الواسع . « علمه » ايضاً يكون رافعاً للعقبات في امر معاد العباد وحشرهم ونشرهم وحسابهم (جمع ذراتهم المنتشرة وكذلك جمع اعمالهم واقوالهم) ، وذلك لإثبات عالم بكل شيء وقد أحصى كل شيء . التعبير بـ « الحشر » عن القيامة استخدم فيما يقارب (٣٠) مرة في آيات القرآن المجيد وفي سور مختلفة ، وهذه السعة في الاستعمال هي دليل على أهمية الحشر في نظر القرآن .

« الحشر » في اللغة - نقلاً عن « المقاييس » - بمعنى الجمع المقارن للسوق والقود ، ويطلق احياناً على كل جمع ايضاً ، وعن « المفردات » بمعنى اخراج مجموعة من مقرهم لساحة الحرب او ماشابه ذلك ، ولذا جاء في الروايات : « النساء لا يحشرون » أي لا يسفن نحو سوح القتال .

وجاء في « التحقيق » إن مادة « حشر » تحمل في طياتها ثلاث معانٍ : « البعث » و« السوق » و« الجمع » .

فحشرات الارض تعني الدواب الصغيرة وسميت بذلك لكثرتها وتحركها وسوقها .

(١) تفسير البضاوي في تفسير ذيل الآية ٤ من سورة الانفطار .

واستخدم هذا التعبير للمعاد ويوم القيامة لأن جميع البشر الذين عاشوا على مر التاريخ الانساني سوف يجمعون في ذلك اليوم في مكان واحد ، ويساقون للحساب نحو محكمة العدل الالهي ، ثم يساقون نحو الجنة أو النار .

علاوة على هذا فإن ذرات بدن كل انسان والتي انتشرت في مناطق مختلفة من الكرة الارضية وحتى التي انتشرت احياناً في البحر والفضاء فإنها سوف تجمع في ذلك اليوم بأمر الله ، وتعاد الروح اليها ، ولا يقتصر الامر على جمع الذرات فقط بل يشمل جمع الاعمال ايضاً ، وعلى هذا فإن يوم القيامة هو يوم الجمع والحشر في ابعاد مختلفة .

بل يستفاد ايضاً من الروايات الاسلامية ان الأمر لا يختص بأهل الارض فقط بل يجتمع معهم في هذا الامر سكان السماوات ايضاً ولهذا السبب جاء في تفسير « يوم التلاق » الذي هو احد اسماء القيامة الوارد في سورة غافر الاية (١٥) عن الامام الصادق عليه السلام : يوم يلتقي أهل السماء وأهل الارض^(١) .



٥ - النشر :

« النشر » أو « النشور » هو تعبير آخر ليوم القيامة ورد في القرآن المجيد في آيات متعددة ، يُبينُ بعداً آخر من ابعاد حياة الانسان بعد الموت ، كما تشير الى ذلك الاية الخامسة من آيات بحثنا : ﴿ وَاللّٰهُ الَّذِي اَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مِّيَّتٍ فَآحِينَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ النُّشُورُ ﴾^(٢) .

« النشر » و « النشور » في الاصل - على ما قاله الراغب في المفردات - بمعنى التوسيع والبسط ، كما هو المستعمل في بسط القماش وصفحات الورق والغمام

(١) « بحار الانوار » الجزء ٧ الصفحة ٥٩ حديث ٥ .

(٢) فاطر / ٩ .

والنَّعْمُ في تعبيرات الاحاديث .

قال في « مقاييس اللغة » النشر في الاصل « يدل على فتح شيء وتشعبه » .
ومن اجل هذا اطلق « النشر » على انتشار العطور الطيبة في الهواء .
وأطلق هذا التعبير على المعاد إما لأجل انتشار البشر في نقاط مختلفة في
محشرهم ، كما أشير الى ذلك في الآية اعلاه ، أو لأجل انتشار كتب الاعمال . كما
جاء في الآية (١٠) من سورة التكوين ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ .
جاء في بعض الروايات عن الامام الصادق عليه السلام : اذا اراد الله عز وجل أن يبعث
الخلق أمطر السماء اربعين صباحاً فاجتمعت الاوصال ونبتت اللحوم ^(١) .
وبذلك تنشق الارض ويخرج الموتى من تحت التراب (وكأن الارض بمثابة
الرحم لهم) .

ونقرأ في حديث آخر ان شخصاً سأل رسول الله ﷺ : كيف يحيي الله
الموتى ؟ فقال ما مضمونه : هل مررت على ارض يابسة لاماء فيها ولا كلاً ، ثم
مررت عليها مرة أخرى وهي مخضرة ؟ فقال السائل : نعم يا رسول الله ﷺ
فقال ﷺ هكذا يحيي الله الموتى او قال « هكذا الحشر » ^(٢) .

٦ - المعاد :

عبّرت مجموعة أخرى من الايات عن يوم القيامة بـ « العود » ورجوع البشر ،
والمراد هنا هو العود الى الحياة مرة أخرى ، كما جاء في الآية السادسة من آيات
بحثنا : ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ .
وسنرى - بأذن الله - من خلال البحث عن ادلة المعاد إن هذه الجملة أقصر

(١) تفسير روح البيان الجزء ٧ الصفحة ٣٢٣ (باختصار) وبحار الانوار الجزء ٧ الصفحة ٣٣ .

(٢) تفسير روح البيان : الجزء ٧ الصفحة ٣٢٣ .

وبنفس الوقت أوضح دليل على امكان المعاد ، أذ تجعل امكان الخلق اولاً دليلاً على امكان الخلق ثانياً .

ومن الملفت للنظر ان التعبير بـ « العود » جاء على لسان المشركين وجاحدي المعاد ايضاً : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ﴾ ؟ ! ﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . (الاسراء / ٥١) .

والتعبير بـ « المعاد » أُخِذَ من هنا ايضاً .

ويلاحظ ان هذا التعبير دليل واضح على مسألة المعاد الجسماني ، وذلك لان الروح لامعاد لها ، بل انها تحافظ على بقائها حتى ما بعد الموت ، والذي يعاد في يوم القيامة هي الحياة الجسمانية للجسم .

والنقطة المهمة التي تجب الاشارة اليها هي ان التشبيه هنا طبقاً للتفسير الوارد في آية بحثنا هذه هو تشبيه لاصل العود الى الحياة (اتى بهذا التفسير المرحوم الطبرسي في اول كلامه عن هذه الآية ، وورد هذا التفسير في روح البيان ايضاً) .

ولكن عدداً من المفسرين من بينهم الفخر الرازي في « التفسير الكبير » والعلامة الطباطبائي في « الميزان » وصاحب المنار في تفسيره وآخرون قالوا بأن التشبيه هنا بالنحو التالي ، وهو ان الله خلق الناس في البداية على فريقين : فريق مؤمن وفريق كافر (انتخب فريق طريق الهداية تحت ظل هداية الانبياء ، وانتخب الآخر طريق الضلالة تحت تأثير وساوس الشيطان) وفي يوم القيامة ايضاً يحشرهم على شكل فريقين : فريق مؤمن سعيد وفريق كافر شقي مستشهدين بالآية التالية : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ .

والاعجب من ذلك هو ان الفخر الرازي جعل هذه الآية دليلاً على الجبر

والسعادة والشقاء الذاتيان !

بينما لو دققنا النظر في آيات القرآن الأخرى المشابهة لهذه الآية لوجدنا ان

التشبيه إنما هو في مسألة الهداية بعد الموت لا في الهداية والضلالة الحاصلين في

الدنيا ، جاء في سورة الروم الآية (١١) : ﴿ الله يبدأ الخلق ثُمَّ يُعيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرجعون ﴾ وفي الآية (٢٧) من نفس السورة قال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثُمَّ يُعيدُهُ وهو اهوَنُ عَلَيْهِ ﴾ .

وهناك آيات أخرى أيضاً تُعطي نفس هذا المعنى (سورة يونس / ٤ - النمل / ٦٤ - العنكبوت / ١٩) .

من الممكن أن يقال هنا أن تفسير الآية بمسألة السعادة والشقاء هو الوارد في التفسير المنقول عن علي بن ابراهيم عن ابي الجارود عن الامام الباقر عليه السلام حيث قال : (خَلَقَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا وَسَعِيدًا وَشَقِيًّا وَكَذَلِكَ يَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهْتَدِيًا وَضَالًّا) (١) .

ولكن لاشك في كون هذا الحديث من المتشابه ، والراوي « ابو الجارود » هو « زياد بن المنذر » وهو مذموم بشدة في كتب الرجال حتى إن البعض اطلقوا عليه اسم « سَرَحُوب » وهو احد اسماء الشيطان وفي بعض الروايات عُدَّ كذاباً وكافراً ، وينسبون اليه تأسيس مذهب « الجارودية » المنحرف (فرقة من الزيدية) .

وعلى هذا فالتفسير الاول هو الصحيح .

٧ - لقاء الله :

التعبير بـ « لقاء الله » أو « لقاء الرب » هو تعبير آخر ليوم القيامة والحشر ، وقد ورد في آيات متعددة في القرآن المجيد ، منها ما رُود في الآية السابعة من آيات بحثنا حيث قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

(١) تفسير القمي الجزء ١ الصفحة ٢٢٦ وتفسير نور الثقلين الجزء ٢ الصفحة ١٨ .

(٢) جاء هذا التعبير أيضاً في آيات أخرى مثل : (الانعام / ٣١ و ١٤٥) - (يونس / ٧ و ١١ و ١٥) - (الرعد / ٢) - (الكهف / ١٠٥ و ١١٠) - (الفرقان / ٢١) - (العنكبوت / ٥ و ٢٣) - (الروم / ٨) -

والتعبير بـ « لقاء الله » و « لقاء الرب » الذي تكرر ذكره في آيات القرآن له معنى عميق جداً ، رغم ان عدداً من المفسرين قد مرّوا عليه مرور الكرام .
فقالوا حيناً إن المراد من « لقاء الله » ملاقة ملائكة الله في يوم القيامة ، وقالوا حيناً آخر إن المراد هو تلقي حسابه وجزاءه وثوابه .
وقالوا حيناً ثالثاً إنه بمعنى ملاقة حكمه وأمره .
وعلى هذا الترتيب فإن كل واحد منهم جاء بكلمة لتقدير المعنى مع اننا نعلم بأن التقدير خلاف الاصل وما لم يتوفر الدليل على التقدير فلا يجب الاخذ به .
وبناءً على هذه الحقيقة نعود الى التفسير الاول . فمما لاشك فيه ان ملاقة الرب ليست حسية ، وذلك لأن الملاقة الحسية تصدق في موارد الجسم الذي له مكان وزمان ولون وكيفيات أخرى ، على نحو يمكن مشاهدتها بواسطة العين .
بل المراد هو المشاهدة الباطنية والملاقة الروحية والمعنوية مع الله ، وذلك لأن الحُجُب تُرفع يوم القيامة ، وتظهر آيات الله في المحشر وجميع مشاهد ومواقف القيامة بنحو يجعل الكافرين ايضاً يشاهدون الله ويلاقونه ببصائر القلوب ! (وان كانت تلك اللقاءات متفاوتة كيفياً) .

يقول المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان : « ينبيء أنه تعالى هو الحق لاسترة عليه بوجه من الوجوه ولا على تقدير من التقادير فهو أبده البديهيّات التي لا يتعلق بها جهل لكن البديهي ربما يغفل عنه فالعلم به تعالى هو ارتفاع الغفلة عنه الذي ربما يعبر عنه بالعلم وهذا هو الذي يبدو لهم يوم القيامة فيعلمون أن الله هو الحق المبين . كما جاء في الآية (٢٥) من سورة النور : ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ ^(١) .

وفي حديث طويل أتى رجل الى الامام علي امير المؤمنين عليه السلام وقال : حصل

(السجدة / ٢٣) - (فصلت / ٥٤) - (السجدة / ١٠ و ٢٠) .

(١) تفسير الميزان : الجزء ١٥ الصفحة ٩٥ وج ١٠ الصفحة ٦٩ .

لي شك في القرآن المجيد !

قال له الامام عليه السلام : ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل ؟ قال : اني وجدت الكتاب يكذبُ بعضه بعضاً . . . ثم قال بعد طرحه عدّة اشكالات : يقول القرآن الكريم ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة ﴾ ويقول في موضع آخر ﴿ لاتدرکه الأبصار وهو يُدرک الأبصار ﴾ فقال له الإمام عليه السلام : « اللقاء هنا ليس بالرؤية ، بل اللقاء هنا بمعنى البعث فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه فأنّه يعني بذلك البعث » (١) .

وفي الحقيقة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يفسّر مسألة لقاء الله تعالى بشيء يكون الله تعالى من لوازمه ، أجل . فيوم القيامة يوم زوال الحجب وظهور آيات الحق جلّ وعلا ، وتجليه للقلوب ، ومن تعبير الامام عليه السلام هذا ، يدرك كل شخص ما المقصود منه كلّ حسب أستعداده واختلاف مستواه ، وكما قلنا سابقاً أنّ الشهود الباطني لاولياء الله يوم القيامة يختلف كثيراً عن شهود الافراد العاديين .

٨ - الرجوع الى الله :

واخيراً ، ورد تعبير آخر بصورة واسعة (عشرات المرات) في الآيات القرآنية لوصف القيامة ، وهو عبارة « الرجوع الى الله » أو عبارة « الرّد الى الله » ومشتقاتها ومن ضمنها الآية الاخيرة من آيات بحثنا ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

التعبير بالرجوع والعود - كما قلنا - تكرر ذكره في الآيات فقد ورد احياناً : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ (المائدة / ٤٨) .

واحياناً خاطب به النفس المطمئنة والروح المتكاملة حيث قال تعالى : ﴿ إِرْجِعْنِي إِلَى رَبِّكَ ﴾ . (الفجر / ٢٨) .

واحياناً لبيان قدرة الله يقول : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (الطارق / ٨)

(١) توحيد الصدوق الصفحة ٢٦٧ (مع التلخيص) .

واحياناً يقول تعالى نقلاً عن لسان المؤمنين : ﴿ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾
(البقرة / ١٥٦)

ويقول احياناً : ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ (العلق / ٨)

هذه التعبيرات التي لها نظائر كثيرة في القرآن المجيد تُشير الى ان القيامة والحشر في نظر القرآن هي نوع من الرجوع ، ويتضح من مفهوم تلك الكلمة ان الشيء الذي يأتي من نقطة ما ، يعود الى تلك النقطة .

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو كيف ينطبق هذا المعنى على يوم القيامة ؟ وبأي نحو أتينا من عند الله وكيف نرجع اليه ؟ !

للجواب على هذا السؤال قدّربعض المفسرين كلمة في الآية وقالوا ان التقدير هو « الى حُكمه ترجعون » كما يقال احياناً : « رَجَعَ امرؤ القوم الى الأمير » .

ولكن هل من الصحيح ان نعتبر حذف مثل هذه الكلمة في جميع الآيات ؟ وما هو الداعي اساساً للتقدير والقول بالحذف ؟ ، بل ان هناك سبب خاص لهذا التعبير القرآني حتماً والذي يجب علينا البحث عنه من خلال سعيينا المتواصل ، ومن اجل الحصول على جواب لهذا السؤال علينا ان نعود الى بداية خلق الانسان .

خاطب تعالى الملائكة في القرآن بقوله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوْا لَهُ سَاجِدِيْنَ ﴾ (الحجر / ٢٩) .

مما لاشك فيه انه لا يقصد من الروح في الآية الروح التي انفصلت عن ذاته تعالى ؛ وذلك لأنه واجب الوجود وأنه بسيط وفاقد للاجزاء التركيبية في جميع الابعاد ، بل المقصود هو نفخ روح منفصلة عن روح عظيمة ، والتي هي من اشرف مخلوقات الله . (وباصطلاح الحكماء إنّ هذه الاضافة هي « اضافة تشريفية ») .

وعلى هذا فإنّ روح الانسان الرفيعة سبقت من العالم العلوي الى العالم الترابي واتحدت بهذا التراب المظلم ، كي ترقى الى درجات الكمال ثم تنفصل عن التراب وتعود الى العالم العلوي ثانية .

ومن الصحيح ان الجسم والروح كلاهما يعادان في يوم القيامة طبقاً لمبنى المعاد الجسماني ، ولكن ينبغي الالتفات الى ان الروح هناك لا تعود الى الجسم بل الجسم هو الذي يعود اليها فيرتقي ويتكامل ! ولذلك فإن الجسم هناك يخلو من النواقص والعاهات الجسمية التي كانت في الدنيا ، فالاندراس والكهولة وقابلية الفناء والألم والمرض والتعب كلها تزول في ذلك اليوم (فتأمل) .

ولتصوير مسألة حلول الروح في البدن ومن ثم العودة الى العالم العلوي فقد شبه بعض العلماء روح الانسان بالغواص الذي يربط في رجله جسم ثقيل للغوص في اعماق البحر لاستخراج الجواهر الثمينة ، فإنه عندما يصل الى قعر البحر ويجمع الجواهر يُلقي بذلك الجسم الثقيل من اجل العود الى سطح البحر ، وهذا هو معنى « الرجوع » (فتأمل) .

النتيجة :

وخلاصة البحث ان يوم الحساب له مراحل ومواقف عبّر القرآن المجيد عن كل منها بتعبير خاص .

فأولاً جرى البحث عن « قيام الساعة » وتحولات العالم .

ثم يصل البحث الى مرحلة « احياء الموتى » .

بعد ذلك يبعثهم الله وتبدأ مرحلة « البعث » .

ثم يجمعهم ، وهذه هي مرحلة « الحشر » وبعد ذلك يفرّقهم وهذه هي مرحلة

« النشر » .

ثم يعيدهم الى الله وهذه هي مرحلة « المعاد » .

ثم يسوقهم الى لقاءه وهذه هي مرحلة « لقاء الله » .

واخيراً يتجهون نحو ذلك الوجود المنبسط اللامتناهي والكمال المطلق وهذه

مرحلة « الرجوع » الى الرب .

للقيامة سبعون عنواناً في القرآن

تمهيد :

إذا تجاوزنا عن التعبيرات العامة التي اوردناها في البحث الماضي لوجدنا ان القرآن انتخب « للمعاد » اسماً كثيرة تشير جميعها الى جزئيات أوصاف ذلك اليوم العظيم ، وهذه المسألة وهي ان القرآن المجيد لا يعبر عن القيامة بتعبير واحد ملفتة للنظر ؛ وذلك بسبب ما يظهر في يوم القيامة من حوادث مختلفة ومتنوعة كثيرة ، وكل واحد من تلك الاحداث تمثل وجهاً وبعداً من ابعاد ذلك اليوم .

انّ القرآن ومن اجل توضيح هذه الخصائص والمميزات ، ذات الآثار التربوية العميقة استخدم القرآن اسماً متنوعة ؛ وذلك لاعطاء صورة دقيقة من خلال الآيات لذلك اليوم العظيم والاحداث المهيبة جداً .

ولا شك ان المقصود من « الاسم » هنا ليس هو « الاسم العلم الشخصي » بل ما هو أوسع معنى والذي يشمل « الاسماء الوصفية » ايضاً ، اي العناوين التي تعبر عن صفات ذلك اليوم ومميزات تلك الحياة .

بعد هذه الاشارة نذهب للاطلاع على اسماء القيامة في القرآن ، ونودّ ان نذكر

القراء ثانيةً بهذه المسألة وهي ان التعمق في هذه الاسماء له آثار تربوية عميقة وله تأثير كبير في تهذيب النفوس واصلاح القلوب والدعوة الى التقوى والردع عن ارتكاب السيئات في اليقظة والنوم .

قال المرحوم « الفيض الكاشاني » في « المحجّة البيضاء » : « ... تحت كل اسم من أسماء القيامة سرّ . وفي كلّ نعتٍ من نعوتها معنى ، فاحرص على معرفة معانيها ، ونحن الآن نجمع لك أساميها . . » . ثم ذكر مائة اسم ليوم القيامة ^(١) .

ولم يأت ذكر هذه الاسماء جميعها في القرآن المجيد ، بل استُخرجَ قسم منها من الاحاديث الشريفة ، لذلك فهي خارجة عن بحثنا التفسيري ، ونحن لانتابع فعلاً الأسماء القيامة الواردة في القرآن . هذا من جانب .

ومن جانبٍ آخر فإن الاسماء التي ذكرها الفيض الكاشاني لم ترد لا في صريح القرآن ولا في صريح الاحاديث ، بل هي استنباطات إجمالية من الكتاب والسنة ، لذا من الافضل متابعة الاسماء التي صُرح بها في القرآن المجيد (وليس المهم ان تكون تلك الاسماء من الاسماء الخاصة التي لها عدد محدّد أو مما يقصد بها الوصف والبيان لخصوصيات ذلك اليوم) .

ويمكن تقسيم تلك الاسماء الى ثلاثة اقسام :



القسم الاول :

الاسماء التي رُكِّبت من كلمة « يوم » باضافة كلمة أخرى ، وهي الاسماء التي تبين احد ابعاد أو خصوصيات ذلك اليوم ، وهي عبارة عن :



١ - يوم القيامة :

هذا الاسم هو من اشهر اسماء ذلك اليوم ، وقد تكرر ذكره بالتحديد سبعين مرّة في القرآن المجيد ، فمنها قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الانبياء / ٤٧) .

وللجواب عن سبب تسميته بيوم القيامة فالقرآن نفسه يرفع الستار عن هذا السر فيقول : لأن ذلك اليوم هو : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين / ٦) .

وهو يومٌ يقوم فيه اشرف ملائكة الله الذي يسمى « الروح » مع سائر الملائكة

وفيه أيضاً يقوم الشهود للشهادة على اعمال الناس : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر / ٥١) .

واخيراً في ذلك اليوم يقوم الحساب : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (ابراهيم / ٤١) .

إن هذا الامر من الامور المتَّبعة في المحاكم ، فعند اعلان رأي المحكمة يقوم جميع الحاضرين من القضاة والمتهمين وغيرهم ثم يُعلن الرأي النهائي . فهذا القيام لأجل احترام رأي المحكمة والخضوع أمامه .

واذا تجاوزنا هذا الامر فإن الانسان اذا اراد أن ينجز عملاً جاداً فإنه يقوم حتى يتبهاً لإنجازه ، لذلك فإن مسألة « القيام » تدل على الارادة الصلبة والتهيؤ والاحترام لانجاز مثل هذا العمل ، ومن المحتمل إن تكرر كلمة « القيامة » في القرآن المجيد هو

لهذه العلة .

بالإضافة الى ذلك فإن قيام الموتى وخروجهم من القبور من احد اسباب تلك التسمية .

جاء في الحديث عن الامام علي بن الحسين عليه السلام : « اشدُّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات : الساعة التي يُعَاين فيها ملك الموت ، والساعة التي يقوم فيها من قبره ، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى » ^(١) .

٢ - اليوم الآخر :

اليوم الآخر هو الاسم الثاني ، وهو مشهور ومعروف وورد بشكل واسع في القرآن المجيد مثل : « الدار الآخرة » و « اليوم الآخر » وجاء باختصار مثل « الآخرة » وقد تكرر ذكر هذه الاسماء مائة واربعين مرة في القرآن المجيد وفي سور مختلفة . ففي الآية (١٧٧) من سورة البقرة ورد في توضيح معنى البرّ ، قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ .

وفي عبارة أخرى في الآية (٨٣) من سورة القصص قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ .

وفي تعبير آخر ايضاً في الآية (٤) من سورة البقرة قال تعالى : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

التعبير بـ « اليوم الآخر » أو « الدار الآخرة » أو « الآخرة » يقع في مقابل التعبير عن دار الدنيا بـ « النشأة الاولى » كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . (الواقعة / ٦٢) .

وفي الآية (٤) من سورة الضحى : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ .

قال اصحاب اللغة إن « الآخر » هو ما يقابل الاول ، و « الآخر » هو ما يقابل « الواحد » .

قال المرحوم الطبرسي في مجمع البيان : سميت الآخرة بذلك لكونها بعد الدنيا ، والدنيا من اجل دنوّها من الناس سميت بالدنيا (من مادة دُنُو) وقال آخرون من اجل دنائتها وضعتها بالنسبة للآخرة (١) .

وجاء في تفسير روح البيان وتفسير الفخر الرازي ايضاً ما يشابه ذلك (٢) . وهذا التعبير يبيّن هذه الحقيقة ، وهي أن مسير تكامل الانسان يبدأ من هذا العالم ويستمر ، وأنّ العالم الآخر هو نهاية هذا المسير . فالدنيا هي بمثابة منزل استراحة في وسط ذلك الطريق ، والآخرة هي المقرّ النهائي والابدي . وهذا هو تحذير لجميع البشر كي لا يعتبروا الدنيا منزلاً للخلود وكي لاتتعلق بها قلوبهم ولايعتبرونها الهدف الرئيسي ولايبدلوا قصارى جهدهم للحصول على نعيمها ، بل ليجعلوها ممراً للوصول الى دار الآخرة .



٣ - يوم الحساب :

« يوم الحساب » ايضاً من الاسماء المشهورة للقيامة . وقد ورد في خمس آيات من القرآن الكريم . والسبب في هذه التسمية هو أن جميع اعمال الانسان صغيرها او كبيرها ، جزئية او كلية ، معنوية او مادية ، من اعمال الجوارح او الجوانح ، يشملها الحساب بدون استثناء في ذلك اليوم .

جاء في القرآن نقلاً عن موسى بن عمران عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (غافر / ٢٧) .

(١) « مجمع البيان » الجزء ١ ، الصفحة ٤٠ .

(٢) « روح البيان » الجزء ١ ، الصفحة ٤١ . وتفسير الفخر الرازي : الجزء ٢ ، الصفحة ٣٢ .

وعبر عن ذلك تارةً بـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ . (ابراهيم / ٤١) .

ذكر في مقاييس اللغة اربعة معان لمادة « حساب » : « العدّ » و « الاكتفاء » و « حسابان » بمعنى الوسادة الصغيرة و « أَحْسَب » اي الذي ابيضّ لون بشرته وسقط شعر رأسه إثر المرض .

وذكر عدد من اصحاب اللغة معاني اكثر للحساب . وقد بلغت سبعة معانٍ منها الجزاء والعذاب ^(١) .

ولكن الظاهر على مايفهم اجمالاً من مفردات الراغب إن جميع تلك المعاني المذكورة تعود الى معنى واحد وهو المحاسبة ، وإن استعمل بمعنى الاكتفاء فهو يعني ان هناك محاسبة وصلت الى حد الاكتفاء ، وهكذا في الجزاء فإنه يعني إن الجزاء يأتي بعد الحساب ، والمعاني الاخرى ايضاً تعود الى هذا المعنى بنحو ما (فمثلاً ، السبب في اطلاقه على نوع من الامراض الجلدية هو تشبيهه بالمجازاة الالهية التي تتم بعد الحساب ، ومن المحتمل ان اطلاق حسابان على الوسادة الصغيرة لأن المحاسبين عند انجاز عملية الحساب يتكثرون عليها) .

على اية حال فإن الحساب الالهي - الذي يأتي توضيح كلفيته بعون الله في ابحات منازل الاخرة - من ابرز الاعمال التي تمارس يوم القيامة ، وفي الواقع إن قيام يوم القيامة إنما هو لأجل الحساب .



٤ - يوم الدين :

استعمل هذا الاسم ايضاً بشكل واسع في القرآن الكريم ، وقد بلغ عدد الآيات التي ورد فيها التعبير بـ « يوم الدين » ثلاثة عشر آية ، وأكثر مايرد على اللسان هو ما جاء في سورة الحمد : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

(١) نهاية ابن الاثير ولسان العرب .

(يعتقد بعض اصحاب اللغة إن « دين » في الاصل بمعنى الخضوع والطاعة والانقياد ، وإذا اطلقت هذه الكلمة على معنى الجزاء فإنه إما من أجل وجوب قبول الجزاء أو من أجل أن الجزاء من مخلفات الطاعة) .
 وقُسر يوم الدين ايضاً بمعنى يوم الحساب في بعض الروايات ، وهو في الواقع من قبيل ذكر العلة وارادة المعلول ؛ وذلك لأن الحساب مقدمة للجزاء .

٥ - يوم الجمع :

ورد هذا التعبير مرتين في القرآن المجيد . منها ماورد في سورة التغابن الآية (٩) ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ .
 وما ورد في سورة الشورى الآية ٧ ، قال تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ .

وكيف لا يكون ذلك اليوم يوم الجمع في حين أن جميع الاولين والآخرين وجميع الجن والانس وحتى الملائكة المقربين مجموعون في ذلك اليوم ، ولم يُجْمَعوا لوحدهم فحسب بل جُمِعوا هم وجميع اعمالهم ، وقد تأهبوا للمثول امام محكمة العدل الالهي .

وقد ورد هذا الاسم بصورة اخرى في الآية ١٠٣ من سورة هود . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾ .

٦ - يوم الفصل :

« يوم الفصل » (يوم الافتراق) هو اسم آخر من اسماء يوم القيامة . تكرر ذكر

هذا الاسم في القرآن المجيد ست مرات ^(١). منها ماورد في سورة النبأ الآية ١٧ قال تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْل كَانَ مِيقَاتًا ﴾ .

إنَّ هذا التعبير عميق جداً يدلُّ على الافتراق في ذلك اليوم العظيم مثل : افتراق الحق عن الباطل وافتراق صفوف المؤمنين والصالحين عن صفوف الكفار والمجرمين وافتراق الاخ عن اخيه والام والاب عن الابناء وافتراق مصير الصالحين عن مصير (الطالحين) الفاسقين .

ويأتي هذا التعبير تارةً بمعنى يوم القضاء والتحكيم ؛ ذلك لأنَّ القاضي يخصم النزاع بحكمه ، لذا أطلق « الفصل » على الحكم والقضاء لأنه السبب في خمود النزاع .



٧ - يوم الخروج :

جاء هذا التعبير في آية واحدة من القرآن المجيد في سورة ق الآية (٤٢) وذلك من خلال الإشارة الى نفخ الصور الثاني . قال تعالى : ﴿ ذلك يومُ الخروج ﴾ نعم ، إنه يوم الخروج من الموت الى الحياة ومن عالم البرزخ الى عالم الآخرة ومن الباطن الى الخارج ومن الخفاء الى الظهور !

وجاء هذا المعنى بصورة اخرى في الآية (٤٣) من سورة المعارج عندما قال تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الاجداثِ سراعا كأنَّهم الى نُصْبٍ يوفضون ﴾ ^(٢) .

(١) الصافات / ٢١ - الدخان / ٤٠ - المرسلات / ١٣ ، ١٤ ، ٣٨ - النبأ / ١٧ .

(٢) « سراع » جمع « سريع » (على وزن ظراف و ظريف) بمعنى الشخص أو الشيء الذي يسير بسرعة و « نُصْب » جمع « نصيب » و « نُصْب » جمع « نصب » (على وزن كُشِب) في الاصل بمعنى الشيء الذي ينصب في مكان ما ، لذا لم يطلق الأ على المحل الذي يُنصب فيه . قالوا إن الفرق بين النصب والصنم هو ان الصنم له شكل معيّن لكن النصب حجر خالي من اي صورة ، وكانوا يعظمونه ويذبحون له القرابين .

وبدلاً هذا التعبير على أنّ أحداث يوم القيامة في أوّل الامر تمرُّ بسرعة هائلة ، وفي نفس الوقت استعمل هذا التعبير للطعن والاستهزاء بعبدة الاوثان الذين يعتبرون الاوثان من أهم الامور في حياتهم ، وقد استقطبت الاوثان اكثر اصحاب العقول الناقصة ، فإنهم وصلوا الى حدٍ من الجهل جعلهم يعتبرون الهرولة نحو الاصنام من اوضح مصاديق « الاسراع » في العبادة . اذ كانوا يعدون بسرعة نحو الاوثان في ايام الفرح أو ايام العزاء ، أو عند العودة من السفر ومن هنا يظهر السر المكنون في هذه الآية .



٨ - اليوم الموعود :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة في آية واحدة من القرآن ايضاً في بداية سورة البروج في الآية (٢) وبصورة قَسَم عظيم قال تعالى : ﴿ واليوم الموعود ﴾ . اليوم الذي هو موعد الجميع وقد وعد جميع الانبياء بذلك .
وفسّر بعض المفسرين اليوم الموعود على أنّه اشارة ليوم الخروج من القبور أو اليوم الذي يشفع فيه النبي ﷺ ، ولكن المعنى الاول يشمل جميع هذه المعاني (١) .

وورود هذا القَسَم في القرآن المجيد بعد القسم : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ هو اشارة الى عظمة ذلك اليوم وأنّ عظمته كعظمة السماء ، او اشارة الى أن خلق هذه السماء العظيمة وذلك النظام الدقيق المهيم عليها لا يتم الا من أجل ذلك اليوم الموعود ؛ ذلك لأن هذه الدنيا الفانية لوحدها لا تستحق مثل هذا النظام العظيم المنبسط .

ومهما يكن من أمر فقد ورد تعبير آخر يشابه هذا التعبير ، ففي الآية (٨٣) من

(١) روح المعاني : الجزء ٣٠ ، الصفحة ٨٦ .

سورة الزخرف . قال تعالى : ﴿ فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُدُونَ ﴾ ^(١) .

٩ - يوم الخلود :

لم يرد هذا التعبير في آيات القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ . (ق / ٣٤) .

ورد هذا التعبير بعد وصف « الجنة » في آيات سورة ق ، وإن دلّ على شيء فإنه يدلّ على خلود ودوام تلك النعمة الالهية والمكافأة العظيمة وجميع نعمه تعالى التي وهبها للمحسنين إلى الابد ، وفي الحقيقة إنّ يوم الخلود يبدأ من وقت الدخول إلى الجنة .

وهذا التعبير يؤيد بوضوح ما قلناه مسبقاً وهو أن كلّ واحد من اسماء وصفات القيامة يحمل في طياته اشارة إلى احد ابعادها ، والكلام هنا عن الدوام الابدی . ومن الطبيعي أن عذاب جهنم كذلك ولكن لم يعبر القرآن بـ « يوم الخلود » إلا في هذا المورد ، أما بشأن جهنم فيوجد تعبير مشابه آخر وهو « دار الخلد » قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ (فصلت / ٢٨) .

١٠ - يوم عظيم :

ورد اطلاق وصف اليوم العظيم في آيات متعددة من القرآن المجید ، منها : في الآية ٣٧ من سورة مريم قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٢) .

(١) ورد ما يشابه هذا التعبير في الآية ٤٣ من سورة المعارج والآية ٦٠ من سورة الذاريات ايضاً .

(٢) جاء ايضاً ما يشابه هذا التعبير في الآية (١٥ / يونس) - (١٥ / الانعام) - (٥٩ / الاعراف) - (١٣٥)

من الجدير بالذكر أنَّ التعبير بـ « عذاب يوم عظيم » جاء ايضاً في آيات القرآن في موارد العذاب الدنيوي المهيب ، وبمجرد البحث في الآيات السابقة واللاحقة يمكن تمييزه عن عذاب يوم القيامة بسهولة .

على اية حال فإن نعت ذلك اليوم بالعظمة انما جاء لأمرٍ مهمة كثيرة تحصل في ذلك اليوم العظيم مثل : المكافأة والمجازاة العظيمة ، والقضاء والحساب العظيم ، والحضور العظيم للمخلوقات في ذلك اليوم ، وعظمة امتداد ذلك اليوم ، وعظمة الخوف والرهبة والفرع ، وهيبة المحشر والحساب ، وفي عبارة مختصرة هي العظمة في جميع جوانبها .



١١ - يوم الحسرة :

ورد هذا التعبير في آية واحدة من القرآن وهو من التعبيرات التي تهز المشاعر عن يوم القيامة ، فهو يوم الحسرة والاسف والندامة . قال تعالى في الآية (٣٩) من سورة مريم : ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . « الحسرة » من مادة « حَسَرَ » قال (صاحب) المفردات و (صاحب) مقاييس اللغة وعدد آخر من اصحاب اللغة إنها بمعنى الكشف ، فمعنى حسرتُ عن الذراع كشفتُ عنها ورفعتُ عنها الكُم ، ثم اطلقت كلمة حسرة على الغم والهم الحاصل من ضياع الفرص او بعض الامور ، فكأن حجاب الجهل يُرفع عن الانسان ويكتشف اضرار الاعمال التي كان يمارسها وتظهر له الحقيقة على ما هي .

لكن البعض الآخر يعتبر الاصل في الحسر هو « الانسحاب » ، ولكن الحقيقة أنَّ الانسحاب من لوازم المعنى الاول ، فعندما ينسحب ماء البحر الى الخلف مثلاً فإن من الطبيعي أن تظهر السواحل التي كان يغطيها الماء ، او عندما يسحب الانسان

كُفَّهِ الى الخلف فإن ذراعه سوف تنكشف^(١) .

على اي حال فإن الهم والاسف والندامة من لوازم مفهومه ، وان يوم القيامة هو يوم الهم والندامة والحسرة حقاً ، لا للمذنبين فحسب بل للمحسنين ايضاً ؛ ذلك لأنهم عندما يشاهدون المكافآت الالهية العظيمة فإنهم يتأسفون على انهم لماذا لم يحسنوا اكثر مما احسنوا ؟!

وقد صرّح بهذا عدد من المفسرين^(٢) ، إلا ان الفخر الرازي يقول إن الحسرة لاتشمل اصحاب الجنة بل تكون من نصيب المُسيئين فقط وذلك لعدم امكان وجود اي غم أو هم في الجنة^(٣) .

ولكن يجب الاعتراف بأن غماً كهذا هو نوع من الكمال وليس منبعاً للعذاب الروحي ، وبناءً على هذا فإن وجوده في الجنة لامانع منه (فتأمل) .

فإن كان التأسف والحسرة مما ينجر في هذه الدنيا فإنه لامجال لذلك هناك ، ولذا يجب أن يسمى ذلك اليوم بيوم الحسرة الحقيقية والحسرة الكبرى ، وقد جاء نفس هذا المعنى ولكن بصورة اخرى في الآية (٥٦) من سورة الزمر ، قال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^(٤) .

١٢ - يوم التغابن :

ورد هذا التعبير في القرآن مرّة واحدة وذلك في الآية (٩) من سورة التغابن ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ .

(١) التحقيق : الجزء ٢ .

(٢) تفسير مجمع البيان : الجزء ٦ ، الصفحة ٥١٥ . وروح البيان : الجزء ٥ ، الصفحة ٣٣٥ . وروح المعاني :

الجزء ١٦ ، الصفحة ٨٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازي : الجزء ٢١ ، الصفحة ٢٢١ .

(٤) ورد ايضاً مايشابه هذا المعنى في سورة الانعام الآية ٣١ .

« التغابن » من مادة « غَبْن » وهنا جاءت بمعنى انكشاف الغبن ، اي يظهر في ذلك اليوم من هو المغبون ^(١) .

قال المرحوم الطبرسي في مجمع البيان : وهو تفاعل من الغبن وهو أخذ شر وترك خير او العكس ، فالمؤمن ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له وأخذ ما هو خير له فكان غابناً ، والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير وأخذ الشر فكان مغبوناً ، فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون . وفي صحاح اللغة « الغبن » بمعنى الخدعة والمكر ، والمغبون من وقع ضحية الخداع والمكر ، وعندما تستخدم في موارد التفكير والتعقل فإنها تعني الضعف وعدم الاقتدار ، لذا « غبين » جاءت بمعنى ضعيف الفكر .

على أية حال ففي يوم القيامة يكشف عن الحُجب وتظهر نتائج الاعمال والاعتقادات والنبات ، ويرى الانسان نفسه بين كمية عظيمة من نتائج وآثار اعماله ، وهناك يُخبر المسيئون عن خسارتهم وفشلهم وعن خداع ومكر الشيطان وعن ضياع رأس مالي عظيم وعن فقدانهم للسعادة الخالدة والوقوع في مخالف العذاب الالهي ، وهذا هو الغبن الحقيقي .

١٣ - يوم التناد :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة ايضاً في القرآن المجيد في سورة غافر (المؤمن) الآية ٣٢ عندما كان مؤمن آل فرعون يحذر الفراعنة من العذاب الالهي الذي يحلّ بهم في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ . « التناد » هو « التنادي » حذفت ياؤه واضيفت الكسرة في آخره للدلالة على حذف الياء ، وهو من مادة « نداء » .

ذهب كثير من المفسرين الى أن « يوم التناد » من اسماء القيامة ^(١) ، وجاء كل منهم بدليل لاثبات مدّعه .

قال بعضهم ان الدليل عليه هو ان اصحاب النار ينادون أصحاب الجنة كما في الآية الكريمة : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ فيجيبهم اهل الجنة ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الاعراف / ٥٠) .

نقل هذا المعنى في كتاب « معاني الاخبار » خلال حديث روي عن الامام الصادق عليه السلام .

وقال آخرون إن العلة في هذه التسمية هي إن الناس في يوم الحشر ينادي بعضهم بعضاً يطلبون العون .

أو أن الملائكة تنادي الناس للحساب وينادي الناس الملائكة لطلب العون ! أو لأن المؤمن عندما يرى صحيفة اعماله ينادي من شدة الفرح : ﴿ هَؤُومُ اقْرؤُوا كِتَابِيَهٗ ﴾ (الحاقة / ١٩) ، وينادي الكافر عندما يُعطى كتابه بيده من شدة الفزع : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ ﴾ .

وهناك وجوه اخرى ذكرت لهذه التسمية . ففي بعض التفاسير عدّوها ثمانية وجوه ، ولكن بعض تلك الوجوه ضعيفة . ومن الممكن ان جميع هذه المعاني قد جُمعت في مفهوم الآية وذلك لعدم المنافاة .

١٤ - يوم التلاق :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة في القرآن المجيد في (سورة المؤمن الآية ١٥) ، قال تعالى : ﴿ يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

(١) ادعى الفخر الرازي في تفسيره الاجماع واتفاق المفسرين على هذا القول (ج ٢٧ ، الصفحة ٦١) .

المراد من لقاء الروح بقريضة الآيات الاخرى هو الوحي والكتب السماوية ، كما جاء في خطابه تعالى للنبي ﷺ في الآية (٥٢) من سورة الشورى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ .

وعلى هذا الاساس فإن القرآن المجيد روحٌ تُفخِثُ في المجتمع الانساني من قبل الله عزوجل !

قال الراغب في المفردات : سُمِّيَ القرآن روحاً لأنه هو السبب في ايجاد الحياة المعنوية .

والهدف من لقاء هذه الروح هو الانذار من هول يوم التلاقي العظيم .

إن كل انواع اللقاءات التي جُمِعت في مفهوم الآية تحصل في ذلك اليوم ، وإن اشار المفسرين الى بعض زوايا تلك اللقاءات .

إنه اليوم الذي يلتقي فيه العباد بربهم ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْهِ ﴾ (الانشقاق / ٦) .

وهو اليوم الذي يلتقي فيه الانسان بملائكة الحساب والثواب والعقاب ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (الانبياء / ١٠٣) .

وهو اليوم الذي يلتقي فيه الانسان بحساب الاعمال والاقوال ﴿ إِنِّي ضَنْتُ أَنِّي مَلَأْتُ حِسَابِي ﴾ (الحاقة / ٢٠) .

إنه اليوم الذي يلتقي فيه الاولون والآخرين .

يوم تلاقي دعاة الحق ودعاة الباطل بأعوانهم .

يوم تلاقي الظالم والمظلوم .

يوم تلاقي أهل الجنة وأهل النار !

نعم ، إن الهدف الرئيس من بعث الانبياء ونزول الكتب السماوية هو تحذير

وانذار العباد من ذلك اليوم ، يوم التلاقي العظيم وما أعجبه من مفهوم واسع ورهيب .

١٥ - يومٌ ثَقِيلٌ :

وهذا الاسم ايضاً من الاسماء التي وردت مرّة واحدة في القرآن في سورة الانسان الآية (٢٧) قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَائِهِمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ .

انّ نعت ذلك اليوم بالثقل هو وصف واسع وعميق المعنى : ثقل من حيث المحاسبة وثقل من حيث المجازات وثقل من حيث الفضائح وثقل من حيث شدائد الحشر وثقل المسؤوليات وثقل من حيث الذنوب التي تثقل كاهل المجرمين ! وعبر بـ « يذرون ورائهم » مع ان القاعدة تقتضي ان يقال « امامهم » وذلك من اجل الاشعار بأن المجرمين نسوا ذلك اليوم الى حدّ كأنه تركوه ورائهم .



١٦ - يومُ الآزفة :

إن كل اسم من اسماء يوم القيامة يحمل في طياته خطاباً متميزاً ، ومنها اسم « يوم الآزفة » الذي ورد مرّة واحدة في القرآن المجيد في سورة المؤمن الآية (١٨) (التعبير بـ « الآزفة » ورد مرتين ، ولكن « يوم الآزفة » مرّة واحدة) قال تعالى : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴾ .

« الآزفة » من مادة « آزَفَ » (على وزن صَدَفَ) قال في مقاييس اللغة والمفردات ومصباح اللغة وكتب اخرى آزَفَ بمعنى إقترَبَ ، ولكن البعض الآخر قال انها بمعنى الاقتراب المشوب بضيق الوقت .

هذه التسمية تشير الى هذه الحقيقة وهي ان موعد وقوع القيامة اقرب مما يتصوره الناس ، كي لا يقول الغافلون لدينا متسع من الوقت وان يوم القيامة موعد مؤجل ! فإنه يوم قريب تصل القلوب فيه الى الحناجر من شدّة الخوف وتبلغ الروح

الحلقوم ، إن الهم المشوب بالخوف في ذلك اليوم يخنق الناس .

نعم يجب التأهب في كل لحظة لمثل هذا اليوم .

وقد اشار القرآن الكريم ويتعبير آخر الى نفس هذا المعنى في الآية الاولى من سورة الانبياء : ﴿ اقترِب للناس حسابُهم وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ معرضون ﴾ وهو اشارة الى ان حساب يوم القيامة قريب جداً .

ولا بد من الالتفات الى ان جملة (اقترِب) فيها تأكيد للمعنى اكثر من (قرب) وهو اشارة الى ان يوم الحساب قريب جداً .

فالقرآن الكريم لقرب القيامة وحتمية وقوعها اخبر عنها بصيغة الماضي في كثير من تعبيراته ، مثل الآيات (٦٥) و (٦٦) من سورة الفرقان قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ . وغيرها من الآيات الشريفة .

١٧ - يومٌ عسير :

ورد هذا التعبير مرتين في القرآن المجيد (في سورة المدثر الآية ٩ ، وسورة الفرقان الآية ٢٦) ، جاء في الآية الاولى : ﴿ فذلِكَ يَوْمُئِذٍ عَسِيرٌ ﴾ . وفي الآية الثانية : ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ .

وورد هذا التعبير مرة واحدة بلفظ « عَسِير » (على وزن خَشِن) في الآية (٨) من سورة القمر ، قال تعالى : ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ ^(١) .

من البديهي ان يكون ذلك اليوم منهكاً ومؤلماً ومحزناً للكافرين ، بنحوٍ ينهار فيه القوي منهم ويصبح عاجزاً ذليلاً منهك القوى .

يقول الفخر الرازي في تفسيره : عسرُ ذلك اليوم على الكافرين لأنهم يناقشون في الحساب ويعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ويحشرون زرقاً وتتكلم جوارحهم فيفتضحون على رؤوس الاشهاد ^(٢) .

(١) « عسير » و « عَسِير » كلاهما صفة مشبهة .

(٢) تفسير الفخر الرازي : الجزء ٣٠ ، الصفحة ١٩٧ .

وهذه مرحلة واحدة من صعوبات المحشر، والمراحل الاخرى اصعب واكبر بلاءً من تلك المرحلة عندما يساقون الى جهنم ثم يُسْقَوْنَ انواع العذاب ويقعون في امر الغضب الالهي . فذلك اليوم ليس ببسير حتى على المؤمنين . إن حساب جميع الاعمال حتى إذا كان بمثقال ذرة والعبور من تلك المسالك الصعبة امرٌ عسيرٌ جداً .

١٨ - يوم اليم :

ورد هذا التعبير مرتين ايضاً في القرآن المجيد (وإن وردت كلمة « اليم » مجردة عشرات المرات في وصف عذاب القيامة في سور مختلفة من القرآن الكريم) .

احداها في سورة هود الآية (٢٦) نقلاً عن لسان النبي نوح عليه السلام عندما كان يخاطب قومه ، قال تعالى : ﴿ وَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِ ﴾ .
والاخرى في سورة الزخرف الآية (٦٥) عن لسان الوحي الالهي : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِ ﴾ .

إن وصف ذلك اليوم بالاليم ليس من حيث العذاب المؤلم فحسب ، بل علاوة على هذا إن ذلك اليوم هو مصدر الألم والعذاب من عدة وجوه ، من حيث الفضيحة ومن حيث الندامة والحسرة القائلة ، ومن حيث انواع الالام الروحية الاخرى ، فمثلاً الانسان الذي يرى الآخرين قد دخلوا الجنة بواسطته في حين يجد نفسه من اهل النار ، وأليم لعدم امكان العودة ثانية وأليم لدوام العذاب في ذلك اليوم .

ومن الجدير بالذكر هو ان احد الايتين السابقتين تحدثت عن المشركين والاخرى تحدثت عن الظالمين ، ونحن نعلم بأن الشرك نوع من الظلم ، وأن الظلم والاضطهاد ايضاً هو من دوافع الشرك على نوعيه الجلي والخفي .

١٩ - يومُ الوعيد :

وردت هذه التسمية مرّة واحدة في القرآن المجيد بأجمعه في سورة ق الآية (٢٠) ، قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ .

ولا يخفى ان كلمة « وعيد » تكرر ذكرها في القرآن كثيراً ، ولكن التعبير بـ « يومُ الوعيد » لم يرد إلا في مورد واحد .

كلمة « وعيد » اشتقت من مادة « وعد » قال الراغب في المفردات « وعد » تستعمل في موارد الخير والشر معاً ، ولكن « وعيد » لاتستعمل إلا في موارد الشر ، ولذا فسرها « ابن منظور » في لسان العرب بالتهديد ، وكلمة « ايعاد » جاءت بهذا المعنى ايضاً .

على اية حال فإن هذا التعبير اشارة عميقة الى جميع انواع عقوبات يوم القيامة ، فهو اشارة الى عقوبات المحشر والى محكمة العدل الالهية والى عقوبات النار وجميع العقوبات المادية والمعنوية مثل الخزي امام الناس والبعد عن فيض وقرب الرب .

وللمفسرين اقوال في مسألة نفخ الصور التي وردت في هذه الآية . فهل هو نفخة الموت وانتهاء الحياة الدنيا ، ام هي نفخة عودة الحياة وبداية الآخرة ؟ ولكن جاء في الآية التالية لهذه الآية : ﴿ وَجاءت كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ وهذا دليل على ان المراد منها هو النفخ الثاني وهذا اليوم (يوم الوعيد) هو نفس ذلك اليوم ايضاً^(١) .



(١) رجع هذا المعنى كثير من المفسرين مثل ابو الفتوح الرازي والعلامة الطباطبائي والفخر الرازي والآلوسي في روح المعاني والمراغي في تفسيره عند تعليقه على تلك الآية .

٢٠ - اليوم الحق :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة ايضاً في القرآن المجيد في سورة النبأ الآية (٣٩) وقد عبّر به عن يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ . نعم انها حقيقة لاتنكر ، وحقيقة تعطي مفهوماً لفلسفة خلق كل مافي الدنيا ، ولولا ذلك اليوم لما بقي هدف ومفهوم لخلق هذا العالم .

ان الدنيا في الواقع ليست اكثر من سراب ، وهي « مجاز » وليست « حقيقة » ، بل هي فناء لابقاء ، وموت لا حياة . نعم ان حقيقة المفهوم الرئيسي للحياة يتجلى في يوم القيامة ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ (العنكبوت / ٦٤) .

وأشار بعض المفسرين في تفسيرهم لحقانية ذلك اليوم الى ثلاثة أمور :

١ - ذلك اليوم هو الحق وغيره باطل ؛ وذلك لأن باطل ايام الدنيا اكثر من حقها .

٢ - الحق بمعنى الوجود الثابت ولذا اطلقوا كلمة الحق على الله تعالى لأنهم قالوا باستحالة تصور الفناء له ، ويوم القيامة كذلك ايضاً ، وعلى هذا فإن القيامة حق .

٣ - إن ذلك اليوم يستحق اطلاق كلمة اليوم (بمعنى النهار) عليه وذلك لأن في ذلك اليوم المنير يُكشف عن الاسرار الخفية بينما تكون احوال الخلق مجهولة ومكتومة في الدنيا (كما هو الحال في الليل) ^(١) .



٢١ - يومٌ مشهود :

ورد هذا الوصف مرّة واحدة ايضاً في القرآن المجيد في الآية (١٠٣) من سورة هود . وذكر ذلك اليوم بعد ذكر عذاب الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وذلك يومٌ مشهود ﴾ .

ولا يكون ذلك اليوم مشهوداً من قبل الاولين والآخرين فحسب ، بل سوف تشاهد في ذلك اليوم الاعمال والحساب ومحكمة العدل الالهي ومكافآت وعقوبات الاعمال ايضاً .

وعن المرحوم الطبرسي في مجمع البيان والعلامة الطباطبائي في الميزان انهم قالوا: إن هذه الآية تدل على ان الانسان لا يحضر لوحده ويشاهد ذلك اليوم ، بل إن الجن والملائكة ايضاً سوف يحضرون ويشهدون ذلك اليوم فإنه يوم الجمع الشامل^(١) .

وقال القرطبي ايضاً إن سكان السموات يحضرون ويشهدون ذلك اليوم ايضاً .

ومن البديهي ان جميع الايام يمكن مشاهدتها ، ولكن انتخاب هذا الوصف ليوم القيامة يقع تارةً من حيث الدلالة على حتمية وقوعه ، واخرى للدلالة على اهمية تلك الاحداث التي تقع في ذلك اليوم والحضور الشامل لسائر الخلق فيه .



٢٢ - يومٌ معلوم :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة ايضاً في القرآن الكريم في الآية (٥٠) من سورة الواقعة في جواب استفسار الكفار عن الحياة ما بعد الموت ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْاَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .
إن العلم بذلك اليوم يمكن ان يكون له مفهومان :

١ - « العلم التفصيلي » اي العلم بذلك اليوم وتاريخ وقوعه الدقيق . ونحن نعلم بأن هذا العلم يختص بالله تعالى ، ولا احد يعلم بذلك حتى الانبياء والمرسلين

(١) الميزان : الجزء ١١ ، الصفحة ٧ - مجمع البيان : الجزء ٥ ، الصفحة ١٩١ ورجح « المراغي » هذا القول في تفسيره ايضاً .

والملائكة المقربين . لكنّه ثابت ومقطوع به ومعلوم من جميع الجهات في علم الله عزوجل .

٢ - « العلم الاجمالي » اي العلم بأننا سوف نواجه جميعاً مثل هذا اليوم ، فيما ان علمنا نابع من اعماق فطرتنا - كما سيأتي في الابحاث اللاحقة انشاء الله - ومع وجود الدلائل المتعددة عن طريق العقل التي يمكن ان يحصل عليها العالم والعامي بالاجمال ، وبإضافة علم جميع الرسل والانبياء ، يكون ذلك اليوم يوماً معلوماً وحتمياً وضرورياً وإن لم يعلم احد تاريخه بالدقة .

واكثر المفسرين رجحوا المعنى الاول ، لكن الاكثرية اخذوا بالمعنى الثاني واستدلوا على شمولية هذا العلم بكلمة « قل » وذلك لأن مفهومها يتضمن تبليغ هذا الامر للجميع^(١) .

لكن يمكن الجمع بين التفسيرين في مفهوم الآية ايضاً .

ان الخطاب الذي يوجهه الينا تعبير (يوم معلوم) هو ان نكون صادقين في تعاملنا مع هذا اليوم وان نتأهب للقاءه ، وان نعلم علم اليقين بأن القيامة على اية حال واقعة بجميع آثارها ونتائجها ، وهذا العلم واليقين له اثر كبير في التربية .



٢٣ - يوماً عبوساً قمطيراً :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة ايضاً في القرآن المجيد في سورة الانسان (هل اتى) الآية (١٠) في نقل خطاب « الابرار »^(٢) عند قولهم : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِيرًا ﴾ .

(١) تفسير الفخر الرازي : الجزء ٢٩ ، الصفحة ١٧٢ .

(٢) والمعلوم ان هذه السورة نزلت في بيان شأن الامام علي وفاطمة والحسن والحسين (سلام الله عليهم اجمعين) الذين هم في الركب الاول من « الابرار » والعالحين .

كلمة « عبوس » هي من صفات الانسان وهذا مما لا يحتاج الى تفسير، وتطلق هذه العبارة على الانسان الذي تقطّب وجهه وكان حاله على غير مايرام ، ووصف ذلك اليوم بـ « عبوس » كناية حيّة عن وضع ذلك اليوم الرهيب المرعب ، اي ان وقائع ذلك اليوم بلغت من الصعوبة والايلام حداً كبيراً لا يكون الانسان لوحده عبوساً في ذلك اليوم ، بل كأن اليوم بنفسه عبوس مقطّب بشدة !

و « القمطير » عند كثير من المفسرين بمعنى « الصعب الشديد » أو الانسان العبوس السيئ الخلق ، وبناءً على هذا يكون مفهومه قريباً من مفهوم العبوس . ثم إنّ هذه الكلمة مشتقة من مادة « قطر » (على وزن قفل) والميم زائدة فيها ، وقيل انها مشتقة من مادة « قمطر » (على وزن خنجر) .

على اية حال فإن التعبير المذكور يشير الى أن احداث ذلك اليوم تبلغ من الصعوبة والشدة والالام درجة يجعل آثارها تظهر من بواطن الناس على وجوههم ، ويسيطر الخوف والاضطراب على تمام وجودهم ، وذلك لأن احداً لا يعلم الى اين ينتهي مصيره ، والجميع ينتظرون الحساب وينتظرون لطف الله .

قال بعض المفسرين في شدة هذا اليوم : سبحان الله ما اشدّ اسم هذا اليوم وهو من اسمه اشد .

٢٤ - يوم البعث :

ورد هذا التعبير مرتين في القرآن المجيد وذلك في آية واحدة وهي (الآية ٥٦ من سورة الروم) : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانُ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

من الواضح ان التعبير عن احياء الموتى بـ « البعث » (والافعال المشتقة منه) في آيات القرآن المجيد كثير جداً واستعمل استعمالاً واسع النطاق كما اشرنا اليه

سابقاً ، وكل تلك التعبيرات تبين هذه الحقيقة وهي ان ذلك اليوم يوم حياة الجميع بعد موتهم ، وبما اننا اشرنا الى ما فيه الكفاية في هذا الصدد فلا نرى ثمة حاجة الى توضيح اكثر .



الى هنا ينتهي القسم الاول :

ومن خلال الاسماء والادوصاف والتعبيرات المختلفة التي وردت في هذا القسم تتجلى لنا بوضوح هذه الحقيقة وهي ان القرآن جاء لينبّه الناس من غفلتهم ، ومن اجل تربيتهم وتعليمهم وهدايتهم الى التكامل والسمو ، وكذلك من اجل عرض وتوضيح الصور المختلفة للمعاد . فقد انتخب للمعاد اسماءً متنوعة يشير كل واحد منها الى بُعدٍ من ابعاد ووقائع ذلك اليوم واحداثه العظيمة المزلزلة التي لانظير لها . فكل واحد من هذه الاسماء ، او بتعبير آخر كل واحد من اوصاف ذلك اليوم يحمل في طياته خطاباً متميزاً لجميع البشر وعلى مرّ القرون والعصور .

خطابٌ اذا ما اعتُبرَ به فإنه سيكون عاملاً مؤثراً في الردع عن الانحرافات والسيئات والخطايا والجرائم والمنكرات والمظالم .

انه خطاب يكشف البحث فيه بوضوح عن ابعاد فصاحة وبلاغة القرآن في الميادين المختلفة وخصوصاً في المواضيع التربوية ، وهو افضل هادٍ لسالكي طريق الحق وللباحثين عن طريق القرب الالهي (فتأمل) .



القسم الثاني :

والآن نبحث في قسم آخر من اسماء القيامة والتي لا تصف القيامة في كلمة واحدة بل من خلال جملة كاملة .

٢٥ - يومَ نطوي السماء كطيِّ السَّجَلِّ للكَتُب :

بعض هذه التعبيرات تتحدّث عن الوقائع التي تحدث في العالم عند ظهور مقدمات القيامة ، والبعض الآخر يتعلق بأحوال البشر في ذلك اليوم ، ويخبر قسم آخر عن انتهاء كل شيء .

التعبير اعلاه هو من ضمن التعبيرات التي تتعلق بـ « مقدمات القيامة » والذي جاء في سورة الانبياء الآية (١٠٤) بعد الاشارة الى عدد من مكافآت المحسنين وعقوبات المسيئين ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعْيَدُهُ وَعَدًا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

« السجل » من مادة سَجَلَ (على وزن سَطَلَ) بمعنى الدلو الكبير المملوء بالماء ، وقيل انه بمعنى « الجمع والادّخار لأجل الاراقة والنثر » ، من اجل هذا اطلقوا كلمة « سَجَلَ » على الدلو الكبير ، واطلقوا كلمة « سِجِلٌّ » (بكسر الميم والجيم وتشديد اللام) على الصحائف التي تكتب عليها المطالب وتطوى احياناً كما كانت تطوى « الوثائق » في السابق ، ويستعمل طي السجل في هذا المورد .

ويعتقد البعض إن السَّجَلَ بمعنى الملفات التي تكتب وتحفظ فيها الدعاوى

وامور اخرى مشابهة ، لذا جاء التسجيل بمعنى التقرير والاثبات (١) .

على اية حال فإن ظاهر الآية يشير الى إن السماء كلها تطوى عندما يفنى العالم وتبدأ القيامة ، فتصير بصورة قطعة واحدة كما كانت عليه في البداية . وهذا مما صرح به العلم الحديث ، وهو ان العالم في البداية كان على شكل حزمة واحدة ثم دار حول نفسه بسرعة تحت تأثير علل خفية وتناثرت اجزائه تحت تأثير القوة الطاردة عن المركز وهو الان في حال الاتساع والانبساط ثم يعود ثانية وبسرعة الى الانقباض والاتجاه نحو المركز ، ثم اخيراً تعود الاجزاء الى بعضها وتشكل حزمة واحدة . وهذه هي نهاية نظام هذا الكون .

ثم تبدأ حركة جديدة وتظهر سموات وارض جديدة لعالم اخر ، وعلى هذا المعنى فلا حاجة الى تفسير الآية بالمعنى الكنائي ، ولو ان كثير من المفسرين مالوا اليه . وربما كان ذلك بسبب عدم وجود هذا التفسير في ذلك الزمان .

لكن انطواء السموات في أية صورة كان ، لايعني فناءها المطلق وانعدام العالم المادي ؛ وذلك لأن القرآن اشار في آيات متعددة وبصراحة الى إن الناس يخرجون من القبور وتعود الحياة الى رفاتهم وتبقى الذرات الحاصلة من تفسخ ابدانهم وتجمع وتبدأ حياة جديدة .



٢٦ - يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات :

من خلال ما قيل في البحث السابق بشأن القيامة يتضح معنى هذا التعبير القرآني ايضاً . هذا التعبير الذي ورد مرة واحدة لاغير في القرآن المجيد في سورة ابراهيم الآية (٤٨) يدل على الانتقام الإلهي من الظالمين والمجرمين ، قال تعالى :

﴿ يوم تُبدّل الارض غير الارض والسموات ﴾ .

في اول الامر يُبعثر كل شيء ، ثم يضع باني عالم الوجود تصميماً جديداً ، ويُبدع ارضاً وسماءً جديدة تكونا ارقى واعلا مرتبة من سابقتيهما حتى تليق بطبيعة يوم القيامة .

(١) القاموس والمفردات والتحقيق وكتب اخرى .

وللمفسرين نقاش حول المُبدّل . هل هو ظاهر الارض وصفتها ام هو ذاتها ؟ فقال بعضهم : إن جميع الجبال والغابات وغيرها تُبدّل وتصبح الارض مستوية بيضاء اللون كالفضة ، وكأنما لم يُرقّ على تلك الارض دماً ولم يرتكب عليها ذنب قط ، وتبدل السموات بذلك النحو ايضاً .

وقال البعض الآخر : إن هذه الارض وهذه السماء تفنى بالمرّة ويحلّ محلها ارضٌ وسماؤٌ جديدة . لكن هذا الاحتمال - كما اشرنا سابقاً - لا يتلائم مع الآيات القرآنية الاخرى التي تتحدث عن قبور الناس وعن تراب ابدانهم التي تبقى كما كانت عليه . فإن قيل إن تبديل الارض هذا يتم بعد انتهاء الحياة البشرية . قلنا ان هذا الكلام ينافي ذيل الآية القائلة : ﴿ وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ وذلك لأن ظاهرها يدل على ظهور وبروز الخلق بعد تبديل الارض .

٢٧ - يوم تمورُ السماءُ مَوراً :

ورد هذا التعبير مرّة واحدة فقط في القرآن الكريم في سورة الطور الآية (٩) ، ورد بعد بيان وقوع العذاب الالهي حيث لامانع ولادافع لوقوعه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * ماله من دافع * يوم تمور السماءُ موراً * وتسير الجبال سيراً ﴾ .

« المور » (على وزن موج) له معانٍ مختلفة - على حد قول اصحاب اللغة - : جاء بمعنى الحركة الدائرية وبمعنى الموج وبمعنى الحركة السريعة وبمعنى الذهاب والاياب وبمعنى الغبار الذي يذهب به الريح في كل جانب ^(١) . واكثر المعاني مناسبةً هنا هو الحركة السريعة .

(١) لسان العرب ومفردات الراغب ومجمع البيان : الجزء ٩ ، الصفحة ١٦٣ - وروح البيان : الجزء ٩ ، الصفحة ١٨٩ .

فمن الممكن ان تكون هذه الحركة بيان لتلك الحركة السريعة نحو مركز الكون التي تحدث عند انقباض اجزاء عالم المادّة كما اشرنا اليها في الصفحات السابقة ، ومن الممكن ايضاً ان تكون بياناً لحركة العالم المستديرة في مسير انبساط وانقباض المجموعة الكونية .

وقال الفخر الرازي خلال تعليقه على هذه الآية : وقوله ﴿ وتسير الجبال ﴾ يُحتمل أن يكون بياناً لكيفيّة مور السماء . وذلك لأنّ الجبال اذا سارت وسيرت معها سكّانها يظهر أنّ السماء كالسيّارة الى خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة ، فأنّه يرى الجبل الساكن متحرّكاً ^(١) .

مفهوم هذا الكلام هو ان السموات ثابتة في الحقيقة ولكنها تبدو للانظار متحركة ، لكن هذا على خلاف ظاهر الآية .

٢٨ - يوم تشقّق السماء بالغمام :

٢٩ - يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً :

هذان التعبيران عن يوم القيامة واللذان وردا في الآية (٢٥) من سورة الفرقان والآية (٤٤) من سورة ق متشابهين في احد ابعادها .

ففي الآية الاولى قال تعالى : ﴿ تشقّق السّماء بالغمام ﴾ .

وفي الآية الثانية قال تعالى : ﴿ يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً ﴾ .

إن انشقاق الارض من فوق الناس له مفهوم واضح وهو بيان لزلزال القيامة الذي يشق القبور ويحيي الناس بأمر الله ويخرجون بسرعة للحساب والجزاء .

أمّا تمزق السموات والغمام فيمكن ان يكون بياناً للانفجارات الهائلة التي تحدث في الاجرام السماوية عند فناء الكون وإن الغمام الحاصل من هذه الانفجارات يملأ السماء (هذا على ان « الباء » في « بالغمام » باء الملاسة اي يلبس ويصطحب مع الغمام) .

او إن السموات اي « الاجرام السماوية » تتمزق بتأثير الغيوم التي تحمل امواجاً قوية هائلة حاصلة من الانفجارات النووية أو غيرها (وفي هذه الحالة تكون الباء سببية) (١) (٢) .

قال المرحوم العلامة الطباطبائي في تعليقه على هذه الآية : ليس من البعيد ان يكون هذا الكلام كناية عن انكشاف غمة الجهل وبروز عالم السماء وهو من الغيب وبروز سكانها وهم الملائكة ونزولهم الى العالم الارضي موطن الانسان (٣) .
ولكن بما ان الحمل على الكناية يحتاج الى قرينة ولا قرينة عليه في الآية فإن التفسير الاول يظهر على انه اكثر مناسبة . وهكذا في الآية الثانية ايضاً فإن انشقاق الارض يحمل المعنى الظاهري لا الكنائي والمعنوي .
والشاهد الآخر وجود الآيات الكثيرة في القرآن المجيد والتي تدل على حدوث تغيّرات وانقلابات شديدة في جميع شؤون عالم المادّة لافي السماء والارض والجبال والبحار فقط .



٣٠ - يوم تكون السماء كالمهل :

هذا وصف آخر ليوم القيامة والتغيّرات الحادة التي تطرأ على العالم ، ورد هذا التعبير مرّة واحدة في القرآن في الآية (٨) من سورة المعارج ، قال تعالى : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ .

و « مُهل » (على وزن قُفْل) فسروها تارة بمعنى المعادن المنصهرة ، وتارة

(١) قال بعض المفسرين ان « الباء » بمعنى « عن » فيكون المعنى هو ان تتمزق وتنحى عن واجهة السماء لكن هذا المعنى بعيد جداً .

(٢) « الغمام » من مادة « غم » بمعنى الحجب ، ومن حيث ان الغيوم تحجب السماء فإنهم اطلقوا عليها « الغمام » ومن حيث ان الهم والحزن يملأ قلب الانسان فإنهم اطلقوا على ذلك الغم .

(٣) الميزان : الجزء ١٥ ، الصفحة ٢٠٢ .

بمعنى الثقل او الرسوبات التي ترسب في قعر أناء الزيت وامثاله ، وتارة أخرى بمعنى الفضة المذابة وتارة بمعنى رسوبات الزيت^(١) ، هذا ولكن المعنى الاول ارجح عند إمعان النظر في آيات أخرى تحدثت عن وقائع يوم القيامة .

والمراد بالسماء هنا هو اما الاجرام السماوية أو واجهة السماء التي تصبح على هيئة معدن منصهر بفعل انفجار الاجرام .

قال بعض المفسرين : من المحتمل ان عدداً كبيراً من الاجرام السماوية والتي هي حالياً على هيئة غازات مضغوطة تتبدل صورها يوم القيامة وتتحول الى اشكال ذائبة . وهي الصورة الجديدة لتلك الغازات والتي تكون مقدمة لحدوث القيامة^(٢) .

٣١ - يوم ترجف الارض والجبال :

لوحظ هذا الوصف في آيتين من القرآن المجيد على تفاوت ضئيل بينهما في وصف يوم القيامة ، وجاء هذا الوصف في الآية (١٤) من سورة المزمل قال تعالى :

﴿ يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ .

قال تعالى في الآية (٦) من سورة النازعات : ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ ، اليوم الذي تتعرض فيه كل الارض للزلازل العنيفة وتتحطم الجبال بشدة حتى تصبح اكواماً من الرمل ، فما هو حال الانسان الضعيف المنهك في ذلك اليوم ؟ !

جميع تلك الامور تتعلق بالوقائع التي تؤدي الى فناء هذا العالم ، ثم تبدأ مرحلة العالم الآخر . فالقرآن جمع بين هاتين المرحلتين ووضعهما في وصف واحد .

فتارةً يبين ضعف الانسان واخرى يُخبر عن التطورات الرهيبة عند فناء العالم

(١) « مجمع البيان » و« تفسير الفخر الرازي » و« الميزان » وتفسير أخرى في التعليق على الآية .

(٢) في ظلال القرآن : الجزء ٨ ، الصفحة ٢٧٨ و٢٧٩ .

وثالثة يصور تغيرات العالم الممهدة لقيام القيامة . كل هذه التعبيرات جاءت من اجل تربية الانسان وتشكل انذاراً مؤكداً ومتواصلاً له .

ان « ترجف وراجفة » من مادة « رَجَفَ » بمعنى الاهتزاز الشديد ولذا اطلق على البحر المائج « بحرٌ رَجَافٌ » . و« إرجاف » بمعنى بث الشائعات التي تهز المجتمع . و« اراجيف » تطلق على جذور الفتن والوقائع .

وقد احتملوا لمعنى « الراجفة » في الآية السابقة معانٍ مختلفة منها الواقعة والصيحة الكبرى و...، ولكن الآية الأخرى تشكل قرينة على انها الارض التي تُزلزل بشدة في ذلك اليوم .

و« الكثيب » بمعنى « الرمل المتراكم » والبعض حملها على معنى « التل الكبير من الرمل » .

و« المهيل » بمعنى الرمل الناعم جداً الذي يتطاير عند وضع القدم عليه ، واذا ما خُلِّي جانبه انهار ما تبقى منه، ولذا فسره البعض بالرمل السيال^(١) .

٣٢ - يوم يَسْمَعُونَ الصيحةَ بالحق :

٣٣ - يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُضْعَقُونَ :

التعبيران اعلاه، واللذان يتقاربان في الافق هما ايضاً وصفان آخران لذلك اليوم العظيم . ففي الآية الاولى (الآية ٤٢ من سورة ق) قال تعالى : ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ .

نحن نعلم بأنه عند انتهاء الدنيا وابتداء القيامة تطلق هنالك صيحتان على حد تعبير القرآن المجيد والتي عبّر عنها احياناً بـ « نفخ الصور » وهما : « الصيحة الاولى » وهي صيحة فناء العالم والموت الشامل . و« الصيحة الثانية » صيحة الحياة الجديدة

(١) مفردات الراغب ومجمع البيان والفخر الرازي وتفسير اخرى في التعليق على آيات البحث .

والقيامة، والآية التي وردت اعلاه تدل على الصيحة الثانية وذلك بقرينة ﴿ ذلك يومُ الخروج ﴾ التي جاءت في آخر الآية .

أما ما هي كيفية هذه « الصيحة العظيمة » ؟ وبأي الوسائل يحدث هذا الصوت ؟ وما هو تأثيره في احياء الموتى ؟ فإن هذه الامور لا يعلم احد تفاصيلها، بيد أن القرآن اشار اليها اشارةً اجمالية . ولاعجب من جهلنا بها في هذا الزمان ؛ وذلك لأن كل ما يتعلق بالقيامة يختلف اختلافاً تاماً عما في الدنيا ، ومحفوف بهالة من الابهام . كما هو الحال في الجنين فإنه لايمكن ان يُدرك حياة هذه الدنيا وإن كان بالفرض يمتلك قدرة فكرية عظيمة .

وفي الآية الثانية (الآية ٤٥ من سورة الطور) قال تعالى : ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ .

« يصعقون » من مادة « إصعاق » اشتقت في الاصل من « الصاعقة » . وبما ان الصاعقة لها صوت عظيم بالاضافة الى انها مهلكة فقد فُسِّرَت هذه الجملة بهذين المعنيين معاً . فإن كانت بمعنى الهلاك فتكون دليلاً على ارادة النفخة الاولى وفناء الكون، كما جاء في الآية (٦٨) من سورة الزمر، قال تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض ﴾ . وإن كانت بمعنى الصوت فإنها من الممكن ان تكون دليلاً على النفخة الاولى أو الثانية التي هي نفخة يوم القيامة . فعلى هذا تكون مرادفة للآية السابقة .

ورجَّح كثير من المفسرين المعنى الاول، وفي نفس الوقت لم يهجرُوا المعنى الثاني^(١) .

وأما ما احتمله البعض من ان الآية تشير الى هلاك مجموعة من المشركين في غزوة بدر فيبدو بعيداً جداً (بدليل الآية (٦٨) من سورة الزمر التي مرّ ذكرها) .

(١) مجمع البيان : الجزء ٩، الصفحة ١٦٩ . والقرطبي : جلد ٩، الصفحة ٦٢٤٧ . وروح المعاني : الجزء ٣٧، ص ٣٤ . والميزان : الجزء ١٩، الصفحة ٢٣ . وروح البيان : الجزء ٩، الصفحة ٢٠٥ .

٣٤ - يوم يُنفخُ في الصور :

ورد هذا التعبير اربع مرات في القرآن المجيد في الآيات (٧٣) من سورة الانعام و (١٠٢) من سورة طه و (٨٧) من سورة النمل و (١٨) من سورة النبأ، ففي الآية الاولى قال تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَلِكُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ ﴾ .

وفي الآية الثانية قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ .

وفي الآية الثالثة قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ففزعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الْأَمِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ .

وفي الآية الرابعة قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ .

يتحدث القرآن المجيد - كما سيأتي في بحث « نفخ الصور » انشاء الله - عن نوعين من نفخ الصور : ففي النفخ الاول تموت جميع الاحياء الموجودة في الارض والسماء، وفي النفخ الثاني والذي هو نفخة الحياة يحيا الجميع ويتأهبون للحساب والكتاب . لكن الآيات الاربع السابقة الذكر كلّها او جلّها تتعلق بالنفخ الثاني اي نفخ الحياة في القيامة .

ومهما يكن من شيء فإن هذا التصوير للقيامة من قبل القرآن يجسم للانظار الوقائع العديدة التي تقع عند ذلك اليوم، وهذا التعبير هو احد التعابير العديدة التي تحتوي على معنى دقيق والتي تصوّر للضمائر وقائع ذلك اليوم الصعبة المرعبة فتنبّئها من غفلتها .

أمّا البحث عن معنى « الصور » ومفهوم « النفخ » والخصوصيات الاخرى فسوف يبحث عنها في محلها انشاء الله، ولكن ولاجل الاطلاع على محتوى هذا التعبير نتطرق لذكر الحديث النبوي الشريف الذي يذكر مجموعة من تلك الوقائع والذي ورد في تفسير الآية الرابعة (الآية ١٨ من سورة النبأ) :

قال « معاذ بن جبل » سألت رسول الله ﷺ عن تفسير الآية ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « يا معاذ بن جبل سألت عن أمرٍ عظيم » ثم أرسل عينيه باكباً ، ثم قال : « يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاناً قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين ، وبدل صورهم ، فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ، أرجلهم أعلاهم ، ووجوههم يسحبون عليها ، ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم ، فهي مدلاة على صدورهم ، يسيل القيح من أفواههم لعباً ، يتقذرهم أهل الجمع ، ، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار ، وبعضهم أشد نتناً من الجيف ، وبعضهم ملبسون جلابيب ساذجة من القطران لاصقة بجلودهم ؛ فاما الذين على صورة القردة فالتَّمَتَات من الناس - يعني الثمام - وأما الذين على صورة الخنازير ، فأهل السحت والحرام والمكس ، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم ، فأكلة الربا ، ، والذين يمضغون ألسنتهم : فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم ، ، والمصلبون على جذوع النار : فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم ، والذين يلبسون الجلابيب : فأهل الكبر والفخر والحيلاء ، (١) .



٣٥ - يومٌ كان مقداره خمسين الف سنة :

وصف القرآن المجيد وفي آيتين يوم القيامة بأنه يومٌ طويل للغاية، قال تعالى في احد الآيتين : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج / ٤) .

(١) ذكر هذا الحديث عدد كبير من المفسرين مثل ابو الفتوح والرازي والقرطبي وروح البيان وقد اوردنا الحديث باختصار .

وقال في محل آخر: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة / ٥) .

لاشك في ان الآية الاولى تختص ببيان يوم القيامة ، والآيات التي انت بعدها تتعرض لصفات القيامة ولعذاب المجرمين في ذلك اليوم وكذلك الى اوصاف جهنم .

لكن اختلف المفسرون في مورد الآية الثانية على عدة اقوال ^(١) فالبعض قالوا انها تلميح الى قوسي تدبير الامر الالهي النزولي والصعودي في هذه الدنيا، او بتعبير آخر اشارة الى مراحل التدبير الالهي في هذا العالم والتي تتم كل مرحلة منها في مدة الف عام على يد الملائكة المكلفين بأمر من الله باجراء هذا التدبير التكويني، ثم بعد انتهاء هذه المرحلة تبدأ مرحلة اخرى وهلمّ جرّاً .

لكن بعد البحث في الآيات القرآنية التي تحدثت عن انطواء السماء والارض، وكذلك الروايات التي وردت في شرح هذه الآية يفهم منها انها تتحدث عن يوم القيامة .

ولذا رجّح المرحوم الطباطبائي في الميزان هذا التفسير ايضاً بعد ان ذكر عدة احتمالات لهذه الآية ^(٢) .

لكن يبقى هنالك سؤال وهو كيف قُدِّرَ ذلك اليوم في الآية الاولى بخمسين الف سنة - من سنين الدنيا - وفي الآية الثانية بالف سنة ؟

أجيبَ بوضوح على هذا السؤال في حديث نقله المرحوم الشيخ الطوسي في اماليه عن الامام الصادق عليه السلام ، قال عليه السلام :

(١) ذكر الالوسي في « روح المعاني » سبعة تفاسير للآية احدها هو القيامة . (روح المعاني : الجزء ٢١ ، الصفحة ١٠٧) .

(٢) الميزان : الجزء ١٦ ، الصفحة ٢٦١ ، وجاء نفس هذا المعنى ايضاً في تفسير ظلال القرآن (ج ٦ ، الصفحة ٥١١) .

« إِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا كُلُّ مَوْقِفٍ مِثْلُ الْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

والكلام في ان العددين (الف وخمسين الف) سنة هل جاءت هنا لبيان العدد أم للدلالة على الكثرة ؟ فيه احتمالان ، ولكن على اية حال فإن مضمون خطاب هذه الآية هو ان ذلك اليوم يومٌ صعبٌ جداً ومعضلٌ، ولا يتيسر لاحد تجاوزه بسهولة، ويجب على الجميع ان يتأهبوا لمثل هذا اليوم الطويل المليء بالمخاطر . وهناك امرٌ يثير الاهتمام وهو ان اليوم (اي دوران الكواكب السماوية حول محورها دورة كاملة) يختلف تماماً من كوكب لاخرى، فالكرة الارضية تدور حول محورها في كل ٢٤ ساعة دورة كاملة بينما تطول مدة الدوران الموضعي في القمر لمدة شهر تقريباً (فالنهار فيه يبلغ اسبوعين والليل فيه يبلغ اسبوعين تقريباً) وهكذا الحال في الكواكب الشمسية الأخرى فكل منها له ليلٌ ونهار يختص به ويمتد زمانه بمقدار متميز ، والآن ، في هذا الزمان من الممكن ان تكون في عالم الوجود كواكب يمتد دورانها الموضعي الى مئات او الاف من السنين، بناءً على هذا فلا عجب من ان يكون امتداد كل يوم في القيامة يعادل خمسين الف سنة .

ونواصل التأكيد على ان هدف القرآن الرئيسي هو الجانب التربوي الكامن في مثل هذه التعبيرات .



القسم الثالث :

٣٦ - يومَ يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ :

كل ما قرأنا لحد الآن في وصف ذلك اليوم انما يتحدث عن الوقائع المزلزلة التي تقع في مقدمة ذلك اليوم في عالم الدنيا وإن كل وصف يحمل في طياته خطاباً خاصاً، ففي الوصف الأخير طرحت مسألة طول وامتداد ذلك اليوم وهذا ايضاً يحمل انذاراً متميزاً .

والآن نذهب صوب الاوصاف التي تصوّر حال الناس في ذلك اليوم . ونلتفت الى أنّ تعبيرات كل واحد منها اقوى تأثيراً من الآخر وكأنها تأخذ بيد الانسان وتسير به في اروقة المحشر وتعرفه على كل موضع منه فتجسّم له وقائع ذلك اليوم العظيم وكأنه يراه بعينه المجردة .

في الوصف الذي نتناوله بالبحث والذي ورد مرّة واحدة في القرآن المجيد فقط (في الآية ٤ من سورة القارعة)، يجسّم وضع الانسان المفزع في ذلك اليوم بهذا النحو : ﴿ يومَ يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ ﴾ .

وجاء مثل هذا التعبير ولكن باختلاف ضئيل في الآية ٧ من سورة القمر عندما قال تعالى : ﴿ كأنهم جرادٌ منتشر ﴾ .

للمفسرين آراء مختلفة في سبب تشبيه الناس في ذلك اليوم بالفراشات، ومن جملة ما قالوا هو ان السبب في هذا التشبيه هو كثرة الناس واضطرابهم وخوفهم وفرارهم في كل صوب وضعفهم وتخبّطهم .

ومن الممكن ايضاً ان تكون هذه المسألة من مكنونات التعبير المذكور اعلاه وهي ان الفراشات عادةً يرمين بانفسهن نحو نار الشمع والمصباح بصورة جنونية

فيحترقن ، وان المجرمين ايضاً في ذلك اليوم تعتربهم هذه الحالة عند مواجهتهم لنار جهنم، وكل هذا يدل على الحيرة والضلال الشديد والاضطراب والرعب العظيم الحاصل في ذلك اليوم .

على اية حال فإنه تعبير ناطق وتجسيم واضح عن حالة الناس العجيبة الحاصلة في ذلك اليوم والتي عبّر عنها القرآن بتعبير وجيز ، ويرى البعض ان السبب في دوران الفراشة حول النار حتى الاحتراق هو فقدانها للذاكرة، فإنها تقترب من الشعلة وتحس بحرارتها فتهرب ولكنها تنسى بسرعة وتعود ثانية وتقترب من شعلة النار وتكرر هذا العمل حتى تلقي بنفسها في النار وتحترق .

وكذلك الحال بالنسبة للمسيئين والمجرمين ، فمن شدة الاضطراب والجزع كأنهم يفقدون صوابهم ويلقون انفسهم في النار كما تفعل الفراشات .

وذكر اهل اللغة والمفسرون معاني متعددة لـ « الفراش » : فالبعض فسّره بمعنى الجراد الذي ينتشر بكثافة في السماء، والبعض فسّرها بمعنى البعوض الذي يطير على شكل افواج، ولكن اغلب المفسرين واللغويين فسروها بذلك المعنى وهو الفراشات، على الاخص ما قاله « الخليل بن احمد » في كتاب « العين » فإنه قال : « الفراش التي تطير طالبة للضوء » وقال في صحاح اللغة ايضاً : « الفراش » جمع « فراشة » تلك الحشرة الطائرة التي تطير وتقع في النار .



٣٧ - يوم تبلى السرائر :

٣٨ - يوم هم بارزون :

هذان الوصفان يبينان خلال تعبيرين اثنين حقيقة واحدة عن ذلك اليوم العظيم (ووردا في الآية ٩ من سورة الطارق والآية ١٦ من سورة المؤمن) . ويقرران امراً خطيراً اذا ما آمن به الناس كان له اثر عميق في تربيتهم .

ففي ذلك اليوم لا تخفى خافية ؛ وذلك لارتفاع الاستار الطبيعية مثل الجبال والتلال، وتكون الارض ﴿ قاعاً صفصفاً ﴾ (طه / ١٠٦) (اي صافية خالية من المرتفعات) .

ومن ناحية اخرى يخرج الناس من القبور وتُخرج الارض ما في باطنها .
﴿ واخرجت الارض اثقالها ﴾ (الزلزال / ٢) .

وثالثة تنشر صحف اعمال الناس والامم ويُعلن عن محتواها امام الملائكة :
﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ (التكوين / ١٠) .

وتنطق الايدي والارجل وجميع الجوارح حتى الجلود، وتبدأ بالعويل وعلان الفضايح .

فالارض والزمان كلها تنطق وشهداء الاعمال يشهدون على اعمال الناس، ففي ذلك اليوم يعلن امام الملائكة حتى عن نيات الناس واعتقاداتهم فضلاً عن اعمالهم . إنه يوم الفضيحة الكبرى للمسيئين ويوم الفخر العظيم للمحسنين حقاً .
ويجب الانتباه إلى ان « تبلى » من مادة « بلاء » بمعنى الامتحان وبما ان حقائق الاشياء تظهر عند الاختبار فقد فُسر البلاء هنا بمعنى الاتضاع .

جاء في الحديث عن « معاذ بن جبل » انه قال : (سألت رسول الله ﷺ ، وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة، فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال الرجل صليت ولم يصل وإن شاء قال توضأت ولم بتوضأ، فذلك قوله يوم تبلى السرائر)^(١) .

والجدير بالذكر هو ان ما جاء في الحديث الشريف المذكور هو بيان امثلة من هذه الحقيقة الكلية، والآية الشريفة تشتمل على جميع « العقائد » و « النيات » و « اعمال الناس » سواء الحسن والسيئ .

ومن هنا يظهر ان العناوين البراقة الكاذبة التي حصلت عليها الشخصيات بواسطة تضليل الواقع في هذه الدنيا سوف تذهب هباءً بفعل براكين المحشر وتحل محلها الفضيحة العظمى . وما اعجب سقوط هؤلاء الافراد واصحاب الواقع السيئ المتلبسين بالظاهر الانيق ، من اوج العزة والكرامة الى قعر الذلة والمهانة !
وما اجمل كرامة المؤمنين المخلصين الذين لم يراؤو وحافظوا على اخفاء ارتباطهم بالله في هذه الدنيا وما اجمل ظهورهم في ذلك اليوم وجلسهم على عرش العزة والعظمة !

هذا هو النداء الذي يقدم لنا الوصف المذكور اعلاه وهو انذار لجميع الناس العالم منهم والجاهل .



٣٩ - يوم ينظرُ المرأُ ماقدَّمت يداه :

٤٠ - يوم تجدُ كُلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ من خيرٍ مُحضراً وما عملت من سوءٍ :
هذان التعبيران ايضاً يوضحان أحد الحقائق التي صُبَّت في قلوبنا ، ووردا في الآية (٤٠) من سورة النبأ والآية (٣٠) من سورة آل عمران ، ويبينان حقيقة مهمة اخرى لذلك اليوم تقصم الظهر وتزلزل القلوب وتجعل الإنسان يغط في تأمل عميق .
ففي الآية الاولى قال تعالى : ﴿ يوم ينظرُ المرءُ ماقدَّمت يداه ﴾ .

بما ان مسألة تجسّم الاعمال في ذلك اليوم العظيم ومشاهدة جميع الاعمال التي ارتكبها الانسان في هذه الدنيا يُعتبر امراً غير معقول لكثير من المفسرين فإنهم فسّروا « ينظر » حيناً بمعنى « ينتظر » ، وحيناً آخر بمعنى مشاهدة كتاب الاعمال أو مشاهدة ثوابها وعقابها .

والسبب الذي دفعهم الى ذلك هو ان المفسرين في تلك العصور لم يمعنوا النظر في مسألة تجسّم الاعمال ، والآ فما الضرورة لهذه التقديرات والتأويلات ؟

وذلك لأن القرآن يقول : ان الانسان سوف يشاهد بعينه في ذلك اليوم كل ما ارتكب من قبل ، أي أن نفس اعماله التي فُتيت مادياً في الظاهر لم تغنى في الواقع وسوف تبقى وتظهر للعيان بصورة ما ، وليس بالضرورة أن يراها جميع أهل المحشر ، كما جاء نفس هذا المعنى أكثر وضوحاً في الآية (٤٩) من سورة الكهف ، قال تعالى :

﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ !

وورد نفس هذا المعنى بجلاء في الآية الثانية ايضاً ، قال تعالى : ﴿ يومَ تجدُ كُلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تودُّ لو انَّ بينها وبينه امداً بعيداً ﴾ .

ومما يشير الاهتمام هنا هو ما قاله المرحوم « الطبرسي » في « مجمع البيان » في تعليقه على الآية الثانية ، قال : « فأما اعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولايجوز عليها الاعادة ، فيستحيل أن ترى محضرة » . لذا ذهب الى تفسيرين آخرين احدهما حضور كتب الاعمال ، والثاني حضور جزاء الاعمال من ثواب وعقاب .

ولكن كمات اشرنا في كتاب تفسير نمونه (التفسير الامثل) ، ان اعمال الانسان هي نوعٌ من الطاقة مثل جميع وانواع الطاقة الموجودة في العالم ، فإنها لاتفنى ابداً بل تتغير اشكالها وهي باقية قطعاً .

وقلنا ايضاً بأن تحوّل « المادة » الى « طاقة » و« الطاقة » الى « مادة » كلاهما امر ممكن من الناحية العلمية ، فعلى هذا لامانع من بقاء اعمال الانسان وتحولها في ذلك اليوم الى مادة ، وظهور كل واحد منها على هيئة مناسبة لحاله . وبناءً على هذا فإن الآيات المذكورة تُمثّل في الواقع جزءً من المعجزات العلمية للقرآن والتي لم تكن حين نزول القرآن معروفة لاحد ، وهذه الحقيقة أتضحّت لنا بسبب الاكتشافات العلمية الحديثة .

ومما يشير الاهتمام ايضاً ان الروايات الاسلامية تحدثت كثيراً ايضاً عن تجسم الاعمال في البرزخ والقيامة ، ولكن لايعلم علّة عدم اهتمام المفسرين السابقين بهذه

الروايات ، ومن المحتمل ان يكون السبب في ذلك هو اعتقادهم بأن الاعمال «اعراض» وبأنها فانية وبأن اعادة المعدوم محال ، بينما اتضح لنا في هذا الزمان بطلان هذا الاستدلال كلياً (وسوف نقرأ في بحث تجسم الاعمال تفصيلاً أكثر في هذا المجال) .



٤١ - يوماً تتقلب في القلوب والابصار :

٤٢ - يوم تشخص في الابصار :

التعبيران المذكوران في الآيتين اعلاه واللذان يجمعها شبه كبير يرفعان الستار عن اسرار اخرى من اسرار ذلك اليوم العظيم ، ويحملان لجميع الناس نداءات جديدة .

ففي الآية الاولى قال تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب في القلوب والابصار ﴾ (النور / ٣٧) .

وفي الآية الثانية قال تعالى : ﴿ إنما يؤخّرهم ليوم تشخص في الابصار ﴾ (ابراهيم / ٤٢) .

حلبة المحشر رهيبة من عدة جوانب : من جانب ما يستجد فيها من الوقائع الرهيبة التي تقع عند قيام القيامة ، ومن جانب استعداد الملائكة مع حضور الاشهاد لمحاسبة العباد ، ومن جانب نشر الصحف التي تحتوي على سائر اعمال الانسان التي ارتكبها خلال حياته صغيرها وكبيرها ، ومن جانب اتضاح ملامح النار والعذاب الالهي واستحالة العودة لاصلاح ما فات وعدم وجود خليل ومنقذ !

إن هذه الوقائع والتي يكفي كل واحد منها بوحده لقلب افئدة الناس تقع جميعها في وقت واحد ، تجعل الانسان في حصار شديد مما يؤدي به الى ان يقلب عيناه في كل جانب بدون ارادة يتلفت الى كل جانب باضطراب يطلب العون ، وعلى

حد تعبير القرآن انها تتقلب الابصار واحياناً تقف عن الحركة نهائياً وتبقى الاجفان مفتوحة وكأن روح الانسان فارقت جسده !

من الجدير بالذكر ان الآية الاولى تختص بالمؤمنين والآية الثانية بالظالمين ، وهذا يدل بوضوح على ان الجميع من المحسنين والمسيئين سوف يستولي عليهم الرعب في ذلك اليوم المفزع ، وذلك (لجهل الناس بعواقب اعمالهم بسبب الدقة والشدة في الحساب الالهي فلا أحد يعلم بالضبط الى اين ينتهي مصيره .

« تتقلب » بمعنى انقلاب الشيء رأساً على عقب وبمعنى التحول ، وللمفسرين تعابير مختلفة في تفسير هذه الجملة تشير جميعها الى الخوف والاضطراب الشديد الذي يهيمن على ظاهر وباطن الانسان وعلى بصره وبصيرته .

« تَشْخُصُ » من مادة « شخوص » بمعنى توقف العين والاجفان عن الحركة والتركيز بالنظر على نقطة دون التفات .

والاصل في « شخوص » (على وزن خلوص) هو بمعنى القيام او الخروج ، و« الشخص » من حيث انه يبدو من بعيد على هيئة بارزة اطلق عليه كلمة شخص ، وخروج الانسان من محل الى محل آخر يطلق عليه الشخوص ايضاً .

و« شاخص » المشتق من نفس هذه المادة ايضاً بمعنى الجسم المرتفع الذي يستخدم لقياس الوقت وامثال ذلك^(١) .

وبما أن عين الانسان حين التعجب والبهت كأنها تريد ان تخرج من حدقتها فقد استعمل هذا التعبير في عدة موارد ، بلى ان الناس في عرصة المحشر يصبحون اسارى الخوف بنحو يجعل عيونهم تتوقف عن الحركة وتشخص وكأنها تريد ان تخرج من حدقتها ، وهذه الحالة تظهر على الانسان احياناً في حال الاحتضار .

ومن البديهي ان تكون هذه الحالات اشد بكثير عند المذنبين والمجرمين ، ولذا جاء في القرآن المجيد : ﴿ واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين

(١) مفردات الراغب ومقاييس اللغة والمصباح والتحقيق في كلمات القرآن الكريم .

كفروا ﴿ (الانبياء / ٩٧) .

٤٣ - يوم يتذكّر الانسان ماسمى

هذا التعبير ايضاً من التعبيرات التربوية التي وردت مرّة واحدة في القرآن المجيد (في الآية ٣٥ من سورة النازعات) ، قال تعالى : ﴿ يوم يتذكّر الانسان ماسمى ﴾ .

هذا التذكّر والانتباه اما ان يحصل بسبب مشاهدة صحيفة الاعمال ، واما بسبب تجسم الاعمال ، او بسبب شهادة الجوارح او الملائكة التي تشهد على الاعمال امام الله ، او بسبب ارتفاع الحجب عن قلب وروح الانسان وزوال مسببات الغفلة والنسيان .

ولذا تبرز جميع الحقائق المكنونة ويتذكّر الانسان كل سعيه ومحاولاته ، ولكن بالاحسرة فلا مجال امامه لجبران الخطايا والتقصير والغفلة .

وجاء هذا التعبير بصورة اخرى في الآية ٢٣ من سورة الفجر ، قال تعالى : ﴿ وجني يومئذ بجهنم يومئذ يتذكّر الانسان وائى له الذكرى ﴾ . ثم يضيف الى ذلك : ﴿ يقول ياليتني قدّمت لحياتي ﴾ .

انه أسف وحسرة لافائدة منها هناك ابداً سوى مضاعفة المعاناة والألم . وكلمة لحياتي تستثير الانتباه ، وهي تدل على ان الحياة الحقيقية هي الحياة الاخرة ، وان الحياة الدنيا لاتستحق حتى اطلاق اسم الحياة عليها ، وعلى حد تعبير القرآن ماهي الألهو ولعب .

والهدف هو اذار سائر بني الانسان بأن يستفيدوا من الفرصة المتاحة امامهم قبل الابتلاء بمثل هذا البلاء فالتذكّر في ذلك اليوم لاينفع مثقال ذرة .

٤٤ - يوم تأتي كُلُّ نفسٍ تُجادِلُ عن نفسها

هذا التعبير يرسم صورة أخرى لذلك اليوم العظيم ، قال تعالى : ﴿ يوم تأتي كُلُّ نفسٍ تُجادِلُ عن نفسها ﴾ (النحل / ١١١) .

نعم ان الرعب والخوف من العذاب والعقاب الالهي يهيمن كل وجود الانسان مما يجعله ينسى أعزَّ أحبائه ، فهو لايهتم بالابناء ولا بالزوجة ولا بالوالدين ولا بأعز الاصدقاء ، ولا يهتم إلا بانقاذ نفسه لاغير .

وجاء في الحديث الشريف : (كُلُّ احِدٍ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفْسِي نَفْسِي مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سِوَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ فِي امْتِهِ)^(١) .



٤٥ - يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين

هذا التعبير في الواقع هو توضيح لاسم (القيامة) وجاء في الآية ٦ من سورة المطففين ، قال تعالى : ﴿ يوم يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ﴾ .

انه قيام يدل على جدية الموقف في ذلك اليوم ، ودليل على الحضور في محكمة كبرى ، ودليل على خضوع جميع الاعمال للحساب .

ومن الجدير بالذكر ان القرآن المجيد اتى بهذا التعبير في سورة المطففين لتحذير وتنبيه الذين يبخسون الميزان ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ثم يضيف ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ .

اي انهم لو كانوا على يقين بان مثل هذا « الحضور » ، و « القيام » ، في يوم كهذا واقع حتماً لما ارتكبوا السيئات ابداً ، ولكن للأسف ان حب الدنيا والغفلة والغرور وطول الامل ظلل على افكارهم وقلوبهم وارواحهم ظل الشؤم والظلام مما جعلهم يغفلون هذه الحقائق .

(١) تفسير القرطبي : الجزء ٦ ، الصفحة ٣٨٠٩ .

جاء في بعض الروايات « عن ابن عمر : أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ بكى بكاءً شديداً أعجزه عن مواصلة القراءة » (١).

٤٦ - يوم يقوم الاشهاد

٤٧ - يوم يقوم الروح والملائكة صفاً

التعبيران المذكوران اعلاه يذكّران بجانب آخر من ابعاد ذلك اليوم العظيم ويتركان اثراً اخلاقياً كبيراً لدى الانسان ، ويشتملان على مناجاة تستهوي القلب والروح .

في التعبير الاول يصف ذلك اليوم بـ ﴿ ويوم يقوم الاشهاد ﴾ (المؤمن / ٥١) . و « اشهاد » جمع « شاهد » او « شهيد » (مثل « اصحاب » التي هي جمع « صاحب » ، و « اشراف » جمع « شريف ») والاشهاد هنا هم شهود يوم القيامة ، ويرى بعض المفسرين ان المراد من الاشهاد هم فقط الملائكة الذين يراقبون الاعمال ، ويرى البعض الآخر ان المراد بهم الانبياء ﷺ والمؤمنون جميعاً . ويرى آخرون ان المراد منهم جميع ماذكر بالاضافة الى الجوارح التي تشهد على اعمال الانسان ايضاً ، ولكن نظراً لوجود التعبير « يقوم » فإن هذا التفسير يبدو بعيد الاحتمال .

والتعبير بـ « قيام » في موارد كهذه هو بيان للوضع الخاص المتعارف عليه في المحاكم وهو قيام الشهود عند الإدلاء بشهادتهم ؛ وذلك تأكيداً لجذهم وحزمهم في اداء الشهادة واحتراماً لرسمية ووضع المحكمة .

على اية حال فهو يوم لا يكفي فيه شاهد واحد فحسب بل يشهد فيه شهود كثيرون في تلك المحكمة العظمى ، شهادة تكون مصدر عز وفخر للمؤمنين وتأتي

بالخزي والذلة للمجرمين ، شهادة تحيط بكل شيء ولا يخفى على شهودها شيء ، شهادة لا يسع المجرمون انكارها ابداً وتكون مدعومة بالقرائن الكثيرة حتى لا يبقى امامهم طريقاً الا التسليم والاذعان .

ومن هنا ينبغي الامعان في المعاني التي يحملها هذا الوصف عن القيامة والى مدى ما بلغت من التأثير والجاذبية .

وفي الآية الثانية عبّر عن ذلك اليوم بـ ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴾ (النبا / ٣٨) .

بما ان « الصف » له معنى مصدرى ويستعمل في الجمع والمفرد على السواء ، فقد رأى جمع من المفسرين احتمال أن يكون المراد من الصف هو بيان صفوف مختلف الملائكة ، أو المراد منه صفين على الأقل يستقر الروح في الصف الاول وفي الصف الثاني بقية الملائكة .

وفي الجواب عن ماهو المراد من « الروح » هنا ؟ اختلفوا على اقوال عدة بلغت الى ثمانية اقوال او اكثر ، ومن بين هذه التفاسير المشهورة :

١ - الروح هو احد ملائكة الله المقربين ، وهو افضل من جميع الملائكة حتى جبرائيل عليه السلام ، وهو الذي كان يرافق الانبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام .

٢ - المراد هو جبرائيل الامين رسول وحي الله .

٣ - المراد هو ارواح البشر ، ولكن قبل الحاقها بالابدان .

٤ - المراد هو مخلوق عظيم لامن البشر ولامن الملائكة .

٥ - المراد هو القرآن المجيد ، ومعنى قيامه هو ظهور آثاره في عرصة

المحشر .

وقد استدل على كل من هذه التفاسير المذكورة ببعض آيات القرآن .

مع أن للروح معانٍ مختلفة في مختلف آيات القرآن ، واكثر هذه التفاسير قرناً للصحة كما يبدو هو التفسير الاول ، وقد ورد هذا التفسير صريحاً في بعض روايات

المعصومين عليهم السلام ايضاً .

(عن علي بن ابراهيم باسناده عن الامام الصادق عليه السلام قال هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل)^(١) .

وروي عن ابن عباس ايضاً بأنه قال : (ان النبي ﷺ قال : الروح جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل ، ثم قرأ : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴾ قال : هؤلاء جند وهؤلاء جند)^(٢) .



٤٨ - يوم لا ينفع مال ولا بنون

٤٩ - يوم لا بيع فيه ولا خلاق

ينعكس في هذين التعبيرين نداء ان آخران متقاربان في الافق حول اوضاع ذلك اليوم العظيم ، ففي التعبير الاول قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ ﴿ الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ (الشعراء / ٨٨ و ٨٩) .

وفي التعبير الثاني قال تعالى : ﴿ يوم لا بيع فيه ولا خلاق ﴾ (ابراهيم / ٣١) . في الواقع ان رأسمال هذه الدنيا يتلخص في ثلاثة اشياء : المال والثروة ، والاولاد الراشدون ، والاصدقاء الاوفياء . لكن معضلات المحشر وابتلاءاته المهيبة لا يمكن الخلاص منها بالمال والثروة ولا بمعونة الاولاد ولا الاصدقاء ، ولو افترضنا ان جميع اموال الانسان تنقل الى هناك وكان جميع الاولاد والاصدقاء الى جانبه فهذا لا يحل حتى عقدة واحد من مشاكله ؛ وذلك لأن المقاييس والمعايير هناك شيئاً آخر ، والمنقذ في المحشر هو الايمان والعمل الصالح والقلب السليم ، القلب الخالي من اي شرك ورياء ولا يحتوي على غير الله .

(١) مجمع البيان : الجزء ١٠ ، الصفحة ٤٢٧ .

(٢) تفسير القرطبي : المجلد ١٠ ، الصفحة ٦٩٧٧ .

اغلب المشكلات في هذه الدنيا يمكن حلّها عن طريق المال والثروة وتقديم الفدية والخسائر والرشوة وما شابه ذلك بصورة مشروعة او غير مشروعة ، ويمكن حل كثير من المصاعب ايضاً بواسطة الجهود الانسانية بالاختصاص الاولاد الطيبين والاصدقاء المخلصين ، بناءً على هذا فإن اغلب مشاكل هذا العالم تُحل بهذه السبل ، بينما لا يكون لهذه الامور اي تأثير هناك .

ولاشك في ان المراد من المال والاولاد هنا هو غير الاولاد الذين أُستخدموا في الطريق المؤدي الى رضوان الله او الاعداء الذين يمكنهم الشفاعة بين يدي الله ، بل المراد هو ان هذه الامور لو نقلت الى هناك بمجرد ما فهي لا تغني شيئاً .

ولذا جاء في الآية ٦٧ من سورة الزخرف : ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ !



٥٠ - يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً

٥١ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً

٥٢ - يوم لا يجزي والد عن ولده .

احد طرق الخلاص من مخالب العقوبات في هذه الدنيا هو ان يتحمل شخص مسؤوليات الآخر نيابة عنه ويؤدي الغرامات المالية التي تحملها الشخص الآخر ويتقبل عقوبة ذنبه برحابة .

يعلن القرآن الكريم في هذه الآيات المذكورة والتي هي من صفات يوم القيامة عدم جواز القاء اوزار اعمال احد على عاتق الاخرين مطلقاً ، فلكل مسؤول عن اعماله وهو لوحده يتحمل جزاءها ويؤدي غراماتها التي عليه .

ففي الآية الاولى التي وردت في القرآن المجيد مرتين قال تعالى : ﴿ واثقوا يوماً لا تجزي نفس لنفس شيئاً ﴾ (البقرة / ٤٨ و ١٢٣) .

وجاء، هذا المعنى باختلاف ضئيل في الآية الثانية ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ﴾ (الانفطار / ١٩) .

وفي الآية الثالثة ركّز على مورد متميز فقال : ﴿ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً ﴾ (لقمان / ٣٣) .

تقوم العلاقة بين الاب والاولاد على اساس « العاطفة والمحبة » ، وتقوم العلاقة بين الاولاد والاب على اساس « الاحترام والمحبة » ، وفي الواقع ان هاتين العلاقتين هما اقرب واقوى الروابط العاطفية لدى الانسان ، ولكن رعب وخوف يوم القيامة يبلغ حداً من الهول العظيم مما يجعل هذه الروابط تتحطم وتذوى وتبلغ حداً يؤدي الى أن لا يفكر احد الا بنفسه فحسب ، دون غيره .

وأفادَ عدد من المفسرين في تفسير الايات المذكورة بأن « لاتجزئ » ات بمعنى « لاتغني »^(١) .

قال « الراغب » في « المفردات » : الجزاء في الاصل بمعنى الاستغناء والاكتفاء ، واطلقوا على الثواب والعقاب جزاء لأنهما يكفيان لاصلاح العمل المرتكب ، وجاء نفس هذا المعنى في مقاييس اللغة ايضاً .

ومن الجدير بالذكر ان الخطاب في الآيتين الأوليين موجّه الى بني اسرائيل الذين يضرب بهم المثل على مدى الدهور بالتعصب العرقي والقومي ، فالقرآن ينذرهم ، وانتم الذين تحملون روح التعصب فيما بينكم فإنكم سوف تنسون كل شيء في ذلك اليوم العظيم الا انفسكم .

والحقائق الناصعة التي تحملها هذه الايات لاتحتاج الى توضيح ؛ وذلك لأنها تُثبت بوضوح ان شدائد القيامة والوقائع الصعبة التي تقع في ذلك اليوم العظيم لامثيل لها في هذه الدنيا ، ففي هذه الدنيا يوجد الكثير ممن يضحي للآخرين بنفسه

(١) مجمع البيان : الجزء ١ ، الصفحة ١٠٣ - والميزان : الجزء ١٦ ، الصفحة ٢٥١ - وروح البيان : الجزء ١

من اجل الروابط العاطفية ، ولكن هذا الامر لا يصدق في يوم القيامة على احد .

٥٣ - يوم تبيضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ

هذا التعبير الذي جاء في مورد واحد من القرآن المجيد هو بيانٌ لبعدي آخر من ابعاد ذلك اليوم العظيم ويعكس صورة اخرى عن يوم المحشر ، قال تعالى : ﴿ يوم تبيضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ ﴾ (آل عمران / ١٠٦) .

والوجوه المنيرة هي لأولئك الذين تنعموا بنور الايمان فيظهر هذا النور على وجوههم لأن يوم « القيامة هو يوم اظهار السرائر ، قال تعالى : ﴿ اما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ (آل عمران / ١٠٧) .

اما اصحاب القلوب المظلمة الذين خلَّتْ قلوبهم من النور ، والكفار والمجرمون الذين اسودَّت قلوبهم فإن ظلمات باطنهم تخرج الى ظاهرهم ، ويُغمرون في عذاب الله ويقال لهم : ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (آل عمران / ١٠٦) .

وهذا التعبير المذكور اعلاه انعكس بصورة اخرى في آيات القرآن المجيد ايضاً . ففي احدي الصور قال تعالى : ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ﴾ (يونس / ٢٧) .

وفي صورة اخرى قال تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ مسفرةٌ * ضاحكةٌ مستبشرةٌ ﴾ (عبس / ٣٨ و ٣٩) . ﴿ وجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ * ترهقها قترةٌ ﴾ (عبس / ٤٠ و ٤١) .

متى تجلُّ هذه الواقعة ؟ ومتى تبيضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ اخرى ؟

يرى البعض ان هذا سيقع عندما تتفرق الصفوف عن بعضها للورود الى الجنة

او الدخول الى النار ، ويرى البعض الآخر ان هذا سيقع عند مشاهدة صحائف

الاعمال ، ويرى آخرون انه سيقع عند الخروج من القبور او عند الوقوف إزاء ميزان العدل الالهي .

ولكن بما ان ذلك اليوم هو يوم ابراز وظهور حقائق الافراد والاعمال فإنه يبدو ان وقوع هذا الامر يتم في اول وهله عند خروج الناس من القبور ويستمر فيما بعد . من هم اصحاب الوجوه البيض ومن هم اصحاب الوجوه السود ؟ للمفسرين في الجواب على ذلك احتمالات عدة ، واحياناً حصروا ذلك في اشخاص محدودين ، ولكن الظاهر ان جميع المؤمنين اصحاب العمل الصالح يكونون في صف اصحاب الوجوه المبيضة وجميع اهل الكفر والمجرمين في صف اصحاب الوجوه المسودة .

واخيراً اراد بعض المفسرين ان يحمل هذين التعبيرين على مفهومهما المجازي فقالوا البياض هو لبيان السرور والفرج والسواد لبيان الغم والهم^(١) . ولكن لا يوجد هناك ضرورة لارتكاب مثل هذه المخالفة للظاهر ، بل يجب حمل الآية على المعنى الحقيقي لها ، فعندما يقول القرآن : ﴿ يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ﴾ فما الذي يثير العجب من ان تكون هناك وجوه بيض مثيرة ووجوه سود مظلمة ؟

ما اعظم خوف ذلك اليوم حقاً ! عندما يظهر ما في قلب الانسان وروحه على وجهه ، انه يوم الخزي العظيم لسود القلوب ويوم الكرامة الكبرى لبيض القلوب ، ولهذا السبب يكون المؤمنون في ذلك اليوم موضع احترام وتكريم في المحشر ويكون الكافرون مورد لعنٍ وطرده !

٥٤ - ويخافون يوماً كان شرُّهُ مستطيراً

في هذا التعبير الذي جاء في مورد واحد من القرآن الكريم عند وصف الابرار والمحسنين قال تعالى : ﴿ ويخافون يوماً كان شرُّهُ مُستطيراً ﴾ (الانسان / ٧) .

« مستطير » من مادة « طيران » وهي هنا بمعنى واسع ومذبذب ، لذا فسرها البعض بمعنى الشيء الذي اتسع بشكل خارق للعادة ، واطلق هذا التعبير على الفجر عندما ينبسط في الافق فقالوا « فجرٌ مستطيرٌ » .

و « الشر » جاء هنا بمعنى عذاب يوم القيامة ، او الخوف والرعب من ذلك اليوم الذي ينتشر حتى يغطي جميع الارض والسماء مما يجعل الملائكة ايضاً يتملكهم الخوف . هناك يَتَمَلَّكُ الخوفُ الجميعَ لا المجرمين والمسيئين فحسب ، بل حتى المؤمنين والمحسنين يتملكهم الخوفُ وذلك لأنهم لا يعلمون ما ينتهي اليه مصيرهم أو مآلهم .

والجدير بالذكر يُعتبرُ في الآية المذكورة الخوفُ من مثل هذا اليوم من الصفات الممدوحة والامور الايجابية في اخلاق الابرار والطاهرين ؛ وذلك لأن خوفاً كهذا يكون منبع التقوى والتوجُّه الى الطاعة المطلقة للخالق جلَّ شأنه .

٥٥ - يوم يفرُّ المرءُ من اخيه :

التعبير اعلاه والذي ورد ذكره مرّة واحدة في القرآن المجيد هو تجسيم آخر بيّن لمشهد يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لَكُلِّ امْرٍءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس / ٣٤ الى ٣٧) .

من الطبيعي ان يكون أقرب وأحب الافراد للانسان هم الأخوة والام والأب والزوجة والاولاد ، ومن العجيب أن القرآن لم يقلْ إِنَّ الانسان في غفلة عن هؤلاء في ذلك اليوم بل قال : إِنَّه يفرُّ من الأم التي كان يحبها كثيراً أو الأب الذي يَكُنُّ له التقدير والاحترام ومن الزوجة التي كان يعشقها ، والاولاد الذين كانوا ثمرة قلبه ونور عينه ! بلَى إِنَّه يفرُّ منهم جميعاً !

إِنَّ هؤلاء كانوا ملجأً له من مشاكل الدنيا ، وسكناً له في المصائب والشدائد

فيها ولكن ما الذي يحدث هناك بحيث يفرّ منهم ؟ !

إن صيحة القيامة وتعبير القرآن لها الذي جاء في الآية السابقة لهذه الآية ،
الصاخة مذهلة حقاً مما يجعل هذه الروابط تنفصم وتنقطع بأجمعها ، وكذلك تجعل
الانسان غريباً عن كل شيء بسبب صوتها الرهيب الذي يصمّ الأذان ويرعبُ القلوب .
لماذا يفرّ المرء ؟

هل يفرّ خوفاً من الفضيحة امام أقرب الخلق اليه ؟

أو خوفاً من تبعات الذنوب التي ارتكبها ؟

أو يفرّ من الدّين الذي يثقل عاتقه ؟ فمن المحتمل ان يطالبه هؤلاء بحمّهم في

ذلك اليوم الذي تكون فيه يد الانسان خاوية من كلّ شيء !

أو لا هذا ولا ذاك بل انه يهرب من شدّة الخوف والرعب في المحشر مما
يرغمُ كلّ انسانٍ على الافتراقِ عن أحبّته والاهتمامِ بنفسه فحسب ، كي يجد لها
مخلصاً مما هي فيه .

إن كل واحد من هذه الامور الاربعة يكفي لوحده ان يكون مدعاة للهرب

والخلاص فكيف الحال اذا اجتمعت معاً ؟

جاء في الحديث الشريف إن احد اقرباء النبي ﷺ سأله عن : ثلاثة مواقف

يوم القيامة لا يفكر احد إلا بنفسه . ١ - الميزان ٢ - الصراط ٣ - تطاير الكتب^(١) .

٥٦ - يوماً يجعلُ الولدان شيباً :

هذا التعبير الذي ورد ذكره في القرآن المجيد مرّة واحدة تصوير أو تجسيد

آخر للوقائع المروّعة لذلك اليوم العظيم ، فقد خاطب الكفار والمشرّكين فقال تعالى :

(١) تفسير البرهان الجزء ٤ الصفحة ٤٢٩ الحديث ١ .

﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعلُ الولدان شيباً ﴾ (المزمل / ١٧) (١)(٢).

إن هذا التعبير من ابلغ التعابير التي تكشف القناع عن الوقائع المرعبة لذلك اليوم كما تؤثر تلك الوقائع على عالم الطبيعة وعلى الجبال والصحراء وتجعلها هباء فانما تؤثر كذلك في هذا الانسان الترابي بحيث ينتابهُ الاضطراب والخوف والانقباض الى درجة تشيبُ الولدانُ من هولها .

وحمل بعض المفسرين هذا التعبير على معناه الحقيقي اي إن آثار المشيب تظهر على الاطفال حقيقة وإن كانت الفاصلة الزمنية بين الطفولة والمشيب كبيرة . وجاءوا لاثبات ذلك بأدلة ايضاً فإننا في هذه الدنيا نشاهد افراداً يبيضُ شعر رؤسهم خلال عدّة ايام أو حتى لعدّة ساعات من شدّة المصاب الذي يحلّ بهم ، فإن كان بوسع احداث هذه الدنيا ان تؤثر مثل هذا التأثير على الانسان فإن وقائع المحشر التي هي اشدّ واصعب كثيراً ستؤثر مثل هذا التأثير لامحالة .

ولكنّ جمعاً من المفسرين حملوه على المعنى المجازي لان مثل هذه الكناية من الامور الشائعة على ألسنة العرب وغيرهم ، فإنهم من أجل بيان عظمة احدى الشدائد يقولون « شيبني هذا الامر » !

وكلا التفسيرين وجيه بالنسبة لهذه الآية ، أمّا ما قيل بأن مشيب الاطفال يحصل من طول ذلك اليوم فهذا بعيد ، لأن هذه الآية مثل كثير من الآيات الاخرى المختصة بالقيادة ناظرة الى الوقائع المريعة لذلك اليوم ، والآيات السابقة لهذه الآية والتي تتحدث عن ذلك الجبال تصلح دليلاً مؤيداً لهذا القول .

(١) يرى جمع من المفسرين ان « يوماً » الذي جاء في الآية المذكورة اعلاه هو ظرف لـ « يتقون » ، ولكن احتجّل بأنه « مفعول به » ليتقون ، ففي هذه الصورة قدروا كلمة عذاب في الآية فتصبح الآية على هذا بهذه الصورة : فكيف تتقون ان كفرتم (عذاب) يوم يجعل الولدان شيباً .

(٢) « شيب » (على وزن فَعَلَ) جمع « أَشْيَبَ » بمعنى الشيخ المُسِنَّ ، ومادة شَيْب (على وزن فَعَلَ) بمعنى تغيّر لون الشعر من الاسود الى الابيض .

٥٧ - هذا يومٌ لا ينطقون :

ورد ذكر هذا التعبير مرّة واحدة ايضاً في سورة المرسلات ، قال تعالى ﴿ هذا يومٌ لا ينطقون ﴾ (المرسلات / ٣٥) .

هل يكون الفرع والخوف العظيم الحاصل في القيامة السبب في توقف السنتهم عن النطق كما هو الحال في الدنيا عندما تصيب الانسان داهية تجعله لا يستطيع الكلام ؟ !

أم لأنهم لا يمتلكون خطاباً ولا عذراً وحجة ؟ ! أم تتوقف اللسان عن التكلم بأمر الله وتشهد الجوارح على اعمالهم ؟ كما جاء في الآية الكريمة : « اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون » (يس / ٦٥) .

من الممكن ان تجتمع هذه التفاسير الثلاثة معاً في الآية ، وإن كان التفسير الثالث اكثر مناسبة . على اية حال فإن هذا لا يمنع من ان يتكلم الانسان في بعض مواقف القيامة بأمر الله ، لأن القيامة لها مواقف مختلفة . وقد اتضح من خلال الآيات القرآنية أن المجرمين في بعض هذه المواقف يكونون صمّ بكم لا ينطقون وأنهم في مواقف اخرى يتكلمون بأمر الله .



٥٨ - يومٌ يُكشَفُ عن ساقٍ ويُدْعَوْنَ الى السُّجُودِ فلا يستطيعون :

ونواجه هنا ايضاً من خلال هذا التعبير الفريد من نوعه وجهاً عبوساً آخر لذلك اليوم العظيم ، قال تعالى : ﴿ يومٌ يُكشَفُ عن ساقٍ ويدعون الى السُّجُودِ فلا يستطيعون ﴾ (القلم / ٤٢) .

يرى الكثير أو جمع من المفسرين بأن التعبير ﴿ يكشف عن ساقٍ ﴾ هو كناية عن هول المطلع وشدة الخوف والفرع ، وذلك لان الناس قديماً كانوا يرفعون الاكمام

عن ذراعهم ويرفعون ذيل ثوبهم الى المحزم تأهباً عند مواجهة الشدائد والحوادث وفي هذه الحالة تكون السيقان مكشوفة طبعاً .

ويرى بعض من المفسرين ان هناك احتمالاً آخر في تفسير هذه الآية وهو ان « ساق » بمعنى الأصل والاساس لكل شيء (مثل ساق الشجرة) ، وبناءً على هذا تكون جملة « يُكشَفُ عن ساقٍ » دليل على ظهور و بروز حقائق الاشياء في ذلك اليوم^(١) .

وعلى أي حال فإن الجميع يُدعون في ذلك اليوم المرعب للسجود امام عظمة خالق الكون فيسجد المؤمنون ، ومن المحتمل ان تكون هذه السجدة من بواعث اطمئنان القلب والروح ، اما من تدنس قلبه بالكفر والذنوب فلا يستطيع السجود .

جاء في الحديث عن الامام الرضا عليه السلام : في قوله ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود ﴾ قال : حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً وتدمج اصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود^(٢) .

وقال البعض ان المراد من ﴿ يوم يكشف عن ساقٍ ﴾ هو ظهور النور الالهي .



٥٩ - يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم :

هذا التعبير ايضاً يوضح واقعة اخرى مؤلمة من وقائع ذلك اليوم ، قال تعالى ! ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (المؤمنين / ٥٢) . من المتعارف في هذه الدنيا اللجوء الى الاعتذار وطلب المغفرة من اهل النجاة من مخالف العقوبات ، لكن طبيعة يوم القيامة تكون على نحو لا مجال فيه

(١) « روح المعاني » الجزء ٢٩ الصفحة ٣٥ - القرطبي الجزء ١٠ الصفحة ٦٧٢٨ .

(٢) « نور الثقلين » الجزء ٥ الصفحة ٣٩٥ الحديث ٤٩ .

لعذر الظالمين ، لأن ذلك اليوم وُضِعَ أساساً لجني ثمار الاعمال لا لترميم الماضي الذي يعتبر نوع من العمل .

في بعض الآيات السابقة اتضح لنا عدم الاذن لهم بالاعتذار في ذلك اليوم ، وفي البعض الآخر من الآيات اتضح أنهم وإن اعتذروا بالسنتهم إلا إن ذلك الاعتذار ايضاً لا ينفعهم ، فبناءً على هذا لا يبقى امامهم إلا طريق الاستسلام للغضب الالهي وبئس المصير .

ويخاطب القرآن الكريم جميع الناس في هذا التعبير بأن يسارعوا لطلب العفو من الله لمحو آثار الذنوب فإن محوها غير ممكن إلا في هذه الدنيا ، ومحو آثار الظلم عن طريق اداء حق المظلومين ، فيجب الاستفادة من هذه الفرصة وإلا فإن في ذلك الموقف العظيم والمحكمة الكبرى لا ينفع الندم ولا الاعتذار ولا البكاء والبعويل .

٦٠ - يوم يعصُ الظالمُ على يديه :

هذا التعبير من التعبيرات الرهيبة ايضاً ، وقد ورد ذكره مرة واحدة في القرآن المجيد ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعصُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ ثم أعقبه تعالى ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ﴾ (الفرقان / ٢٧ و ٢٨) .

يعصُّ الانسان احياناً على اصابعه عند الندم للتأسف الشديد من الاعمال الماضية ، ويعصُّ احياناً على ظاهر كفّه ايضاً ، وعندما يكون الندم والتحسر شديداً جداً فإنه يعصُّ على كلتا يديه بالتناوب ، وهذا أروع تعبير لبيان شدة الندامة والأسف .

بلى ان الظالمين يعصون على ايديهم في ذلك اليوم العظيم بصورة مستمرة ، لأننا نعلم بأن احد اسماء ذلك اليوم هو ﴿ يوم الحسرة ﴾ (مريم / ٣٨) .

ولكن ما الفائدة من ذلك ؟ هل أن إدماء الأيدي بالأسنان والذي هو نوع من الانتقام من النفس يصلح لحل المشكلة ، أو لجلب الاطمئنان ؟ ام يزيد من الم الظالمين ويجعل فضيحتهم اشنع ؟ !

جاء في تفسير «الميزان» ، إن «الظالم» في هذه الآية يشمل جميع الظالمين ، كما أن «الرسول» أيضاً يشمل جميع الرُّسل ، (أي اللام فيهما للاستغراق) وإن كان الخطاب في هذه الآية موجهاً إلى ظالمي هذه الأمة والمراد من الرسول هو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

وقد ذكروا اسباباً مختلفة لنزول هذه الآية بطول تفصيلها . ولكننا نعتقد بأن اسباب النزول لاتحدد مفهوم الآيات ^(١) .

٦١ - يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ :

٦٢ - يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ :

يلاحظ هنا ايضاً تعبيران متشابهان ومتقاربان لوصف مشهد ذلك اليوم

العظيم : ففي التعبير الاول والذي ورد ذكره مرتين في سورة (الاحقاف الآية ٢٠ و ٣٤) ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ .

ففي الآية الاولى بعد ذكر هذا المقطع قال تعالى ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ .

وفي الآية الثانية قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

لقد ورد التأكيد في الآية الاولى لبيان ان السبب يقع على الجانب العملي ، أي

(١) للاطلاع اكثر راجع « تفسير نمونه » الجزء ١٥ الصفحة ٦٨ .

تلك اللذات اللامشروعة والاستفادة المحرمة من الهبات الالهية ، وفي الآية الثانية جاء التأكيد على الجانب الاعتقادي الذي يكون سبباً في هلاك اهل النار .

من الملفت للنظر : إن بعض الآيات القرآنية تُذكر بأن يوم القيامة يؤتى بالنار صوب المجرمين ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ (الفجر / ٢٣) ولكن في هذه الآية التي هي محل بحثنا ذُكر بأن الكفار هم الذين يساقون تجاه النار ، وكأنما هنالك قوة جذب بينهما ، فتارة يؤتى بجهنم صوبهم وأخرى يؤتى بهم إلى النار ! ليتجرعوا العذاب .

وفي التعبير الثاني يُشار إلى نوع آخر من انواع العذاب المؤلم ليوم القيامة ويسمى ذلك اليوم باسم ذلك العذاب ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الاحزاب / ٦٦).

وللمفسرين اقوال عدة في المراد من تقلب الوجوه في ذلك اليوم . فتارة قيل بأن المراد من التقلب هو تغيير لون الوجوه ، فتكون مصفرة وذابلة وأخرى تصير محمرة كالنار وثالثة تسود وتصبح كقطع الليل .

وقال البعض منهم ان المراد من التقلب هو تقلب الوجوه كما تقلب الاشياء على النار للطهي من طرف إلى آخر ، فهكذا يفعل بوجوه المجرمين ايضاً في ذلك اليوم العظيم .

وقيل بأن المراد القاؤهم على وجوههم في النار ، والحكمة من ذكر الوجوه هنا هو إن الوجوه اشرف اعضاء بدن الانسان وأجلها لديه .

وهناك احتمال آخر ايضاً وهو الجمع بين التفاسير الثلاثة في هذه الآية وإن كان التفسير الاول والثاني اقرب للصحة فعلى اية حال فإن الآية تُنبئ عن الفاجعة الكبرى والعذاب العظيم الذي يواجهه المجرمون والكافرون والمعاندون يوم القيامة .

والخطاب الذي تحمله هذه الآية هو دعوة الناس إلى الاجتهاد في طاعة الله ورسوله في الدنيا قبل حسرة ذلك اليوم العظيم وقولهم يا ليتني ... والتي لا تعود

عليهم بآية فائدة حينئذٍ ؟ لماذا يرجحون اليوم طاعة العباد الذين يتخلقون باخلاق الشيطان وطواغيت العصر على طاعة الله ؟ الامر الذي يكون السبب الرئيسي في ندمهم يوم القيامة .

٦٣ - يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا :

هذا التعبير ايضاً له شبه كبير للتعبيرات السابقة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴾ (الطور / ١٣) ثم يقال لهم ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ (الطور / ١٤ و ١٥) .

« يُدْعَوْنَ » من مادة « دَعَّ » كما قال الراغب في المفردات بمعنى « الطرد الشديد » ، فهذا التعبير يدل على أَنَّ نَفْسَ الْأَخْذِ إِلَى جَهَنَّمَ ايضاً يكون مصاحباً للشدة والفرع والخوف والاضطراب الشديد في يوم القيامة العظيم . ان تصور هذا التعبير يكفي لأن يرتعد الانسان ويتفكر في عاقبة أمره ، ويوضح للانسان عِظَمَ المصير الذي سوف يلاقه .

ما اكثر التباين بين اصحاب جهنم واصحاب الجنة ، حتى في كيفية انتقالهم الى مقرهم النهائي ! فقد جاء في القرآن الكريم عن كيفية انتقال اهل الجنة إليها : ﴿ سلامٌ عليكم اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل / ٣٢) .

وجاء في موضع آخر بأن الملائكة تقول لهم : ﴿ سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد / ٢٤) .

٦٤ - يوم نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى :

٦٥ - يومٌ لَامَرَدٌ لَهُ مِنْ اللَّهِ :

التعبير الاول تعبيرٌ مروّع عن ذلك اليوم العظيم ، وذلك لأن الله عز وجل بعظمته وقدرته الخالدة يهدد الكافرين والمجرمين بأشدّ اسلوب فيقول : ﴿يوم نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ (الدخان / ١٦) .

كلّما أمعنَ الانسان النظر في مفردات هذه الآية ؟ كالتعبير بـ «البطش» الذي يعني الأخذ بشدّة المصحوب بالهجوم ، وكالتعبير بـ «الكبرى» الذي هو دليل على قوة البطش أو عظمته ، والتعبير بـ «إنا منتقمون» الذي هو جملة اسمية وبنفس الوقت مؤكد بـ «أنّ» فسوف يرتعد له بدنه ، لأن الله الرحيم الغفور والله القادر القاهر يهدد بمثل هذا التهديد .

قال جمع من المفسرين واحتمل آخرون أنّ الآية تدلّ على العقاب الشديد الذي اصاب المشركين في غزوة بدر الكبرى ، لكنّ مفردات الآية تتناسب مع عذاب اكبر واشدّ واشمل ، وهذا مما لا يصدق الاّ على عذاب الآخرة ، بالاضافة الى ان الآيات السابقة لها لاتناسب النزول في غزوة بدر الكبرى .

وفي التعبير الثاني أشير الى بُعد آخر من ابعاد ذلك اليوم ، قال تعالى : ﴿يومٌ لَامَرَدٌ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ (الشورى / ٤٧) .

فلا يوجد هناك سبيل لجبران الماضي ولا سبيل للعودة الى هذه الدنيا لتدارك مافات .

ويرى بعض المفسرين ان هذه الجملة تدل على حتمية وقوع ذلك اليوم لأنه تعالى قال : ﴿يومٌ لَامَرَدٌ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ اي انه واقع حتماً ، فعلى هذا المعنى يكون مفهوم الآية قريباً من جملة «لا ريب فيه» التي وردت للتعبير عن يوم القيامة . لكنّ ذيل الآية : ﴿مالئكم من ملجأ يومئذٍ وما لكم من نكير﴾ يناسب التفسير الاول .

وهناك احتمال آخر هو أنّ المراد من الآية أنّ احداً لا يستطيع في ذلك اليوم منَع وإيقاف العذاب الالهي عنكم ، وهذا المعنى يتناسب مع ذيل الآية .
فعلى اية حال فإن ايّ تفسيرٍ نرجّحه من بين هذه التفاسير فهو يحمل خطاباً بليغاً وشديداً .



٦٦ - يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٌ :

هذا التعبير الذي ورد ذكره في القرآن المجيد مرّة واحدة هو تعبير غامض ومُفْرَعٌ ، وينبّه الانسان الى امور مهمة فيما يتعلق بذلك اليوم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٌ ﴾ (القمر / ٦) .

وللمفسرين احتمالات عدّة في مسألة من هو « الداعي » فهل هو الله ؟ ام الملائكة المقربون ؟ مثل جبرئيل ، أو اسرافيل الذي يدعوا الناس الى القيامة بواسطة نفخ الصور . فلو اخذنا بنظر الاعتبار الآية الشريفة : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ (الاسراء / ٥٢) فإن المعنى الاول يكون مناسباً ، وإن كانت الآيات اللاحقة اكثر تناسباً مع الملائكة وعمّال الحساب والجزاء .

ماهو المراد من « شَيْءٍ نُكْرٌ » ؟

هل يكمن هذا الشيء في انواع العذاب الرهيب التي لم تخطر على بال أحد من البشر ؟ ام هو الحساب الدقيق للاعمال الذي لم يكن يتوقّعه احد من قبل ؟ ام هو مجموع هذين ؟ فمهما يكن من شيء فإنه امر رهيب ومُفْزِع وعسير ومؤلم .



٦٧ - يوم يُسحبون في النار على وجوههم :

إن الانذار الشديد الذي يحتوي عليه هذا التعبير عن القيامة عجيب حقاً ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وجوههم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر / ٤٨) . نحن نعلم بأن الوجه اشرف محل في الانسان وفي نفس الوقت الطف جزء من اعضاء البدن ، ونعلم بأن كثيراً من الاجزاء المهمة مثل العين والفم والانف توجد في الوجه ، ومن جانب آخر نعلم بأن نار جهنم اشد من نار الدنيا بكثير فإن نار الدنيا في مقابل تلك النار ضئيلة أو محدودة جداً .

تصوروا ماذا سيحدث اذا سُحِبَ احدٌ في النار على وجهه ؟ بالاضافة الى ذلك فإن هذا العمل دليل على شدة التحقير لهؤلاء المتكبرين عبّاد الذات ، فعلى هذا يجتمع هناك العذاب الجسمي والعذاب الروحي في آن واحد .

ويوجد هناك احتمالان في معنى « سقر » (على وزن سفر) الاحتمال الاول هو انها نفس جهنم الاحتمال الثاني ان المراد منها قسم معين من جهنم الذي هو مقر المتكبرين وذو حرارة عالية واحراق شديد . والاحتمال الثاني تؤيده رواية الامام الصادق عليه السلام ، قال عليه السلام :

ان في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سفر شكا الى الله شدة حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس فأحرق جهنم^(١) .



٦٨ - يوم نقول لجهنم هل امتلأت :

هذا التعبير الذي ورد ذكره مرة واحدة في القرآن المجيد يعتبر من جملة صفات يوم القيامة ومن التعبيرات التي تبعث على الرهبة ايضاً ، ويشير الى حجم

(١) تفسير الصافي في التعليق على الآية . الجزء ٥ الصفحة ١٠٤ - ١٠٥ .

النار الكبير وكثرة اصحاب جهنم . ذلك الزحام الذي يرتعب كل انسان أن يكون فيه ، قال تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (ق / ٣٠) .

ويوجد في تفسير هذه الآية رأيان ، الأول هو أن الاستفهام هنا « استفهام انكاري » ، اي ان جهنم في الجواب على هذا السؤال هل امتلأت ؟ تقول بتعجب هل من الممكن الزيادة على هذا ؟ للدلالة على أنه لم يبق فيها مكان فارغ .

والاحتمال الثاني ان الاستفهام « استفهام تقريري » ، اي هل هناك افراد آخرون يردون جهنم ؟ على هذا المعنى تكون النار دائماً في حالة البحث عن الظالمين المجرمين ، ويشبه حالها حال الانسان الشره الذي يطلب دائماً طعاماً كثيراً ولا يشبع من ذلك ابداً . ولا عجب ان لاتشبع النار من المذنبين الظالمين ولا تشبع الجنة من الصالحين .

إلا أن المؤمنين بعض المفسرين اوردوا على هذا التفسير إشكالاً بأنه لا يتناسب مع هذه الآية : ﴿ لأملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾ (السجدة / ١٣) ، فلا بد من الرجوع الى التفسير الأول^(١) . ولكن يمكن الجواب على هذا الاشكال بأن الامتلاء له درجات ، كما لو ملئ صحن من الطعام وأعطى لشخص فيطلب أن يزداد له فيه .

وفي مسألة كيفية الاستفسار من جهنم وجوابها قال البعض أنه سؤال من خزنة وحفظة جهنم وجوابهم ، وقال البعض ان هذا الاستفسار والجواب هو بلسان الحال وقيل ايضاً إنه يفهم من مجموع آيات القرآن وبعض الاخبار بأن جهنم موجود حتى قادرة على النطق ، وبناءً على هذا فإنه من الممكن تفسير الآية بنفس المعنى الظاهري لها^(٢) .

(١) هذا الاشكال في تفسير الرازي الجزء ٢٨ الصفحة ١٧٤ وروح المعاني الجزء ٢٦ الصفحة ١٧ والميزان الجزء ١٨ الصفحة ٣٨٤ نقلاً من بعض المفسرين .

(٢) ذكر في تفسير روح البيان شواهد من الايات والروايات لاثبات هذا المعنى الجزء ٩ الصفحة ١٢٧ .

وعلى اية حال فإن هذه الآية توحى بكثرة اصحاب النار وجديّة التهديد الالهي لهم ، وتنذر الجميع أن لا يكونوا من هذه الزمرة فيها . فهذه التحذيرات من الممكن ان توقظ الانسان وتجعله يراجع نفسه ويتوقف عن الاستمرار في ارتكاب الذنوب والخطايا .

٦٩ - يومَ يقولُ المنافقونَ والمنافقاتُ ... :

هذا التعبير عن يوم القيامة ورد ذكره مرّة واحدة في القرآن المجيد في (سورة الحديد / ١٣) قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ اي القوا علينا نظرة حتى نستلهم من نوركم ، أو (أمهلونا حتى نستفيد من نوركم) . هذا والحال ان المؤمنين والمؤمنات يمرّون على الصراط بسرعة خاطفة وأشعة انوارهم تسطع امامهم وعن أيماهم .. ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرِيكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ۖ ﴾ (الحديد / ١٢) .

اما المنافقون فانهم ينظرون الى المؤمنين بحسرة ولهفة يطلبون حزمة أو قبضة من نور المؤمنين ولكنهم يجابون حينها ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَائِكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ . إن القيامة وساحة المحشر ليستا محلاً لكسب النور ، بل محل ذلك هو الدنيا فارجعوا اليها ان استطعتم واطلبوا النور والضياء لأنفسكم من مصباح الهداية المنير والعمل الصالح ، فما أسوأ حال المنافقين اصحاب القلوب الغلف والافكار المظلمة ! وما اجمل نور الايمان والعمل الصالح وما اعظم فحوى هذا الخطاب الذي تحمله لنا الآية الكريمة في بيانها لحال الفريقين معاً !

٧٠ - يومٌ لا ريب فيه :

التعبير السبعون وهو الاخير في وصف يوم القيامة هو التعبير المذكور اعلاه الذي ورد ذكره مرتين في سورة آل عمران ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (آل عمران / ٩) .

وورد هذا التعبير في نفس هذه السورة في الآية ١٢٥ ايضاً ، قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

وبما اننا تحدثنا في بحث « حتمية يوم القيامة في منظار القرآن الكريم » - بالقدر الكافي - في موارد هذه الآيات (في هذا الجزء من الكتاب ، فلا نرى ضرورة تكرار ذلك . لكننا نشير الى مسألة فقط هي ان حتمية وقوع ذلك اليوم وتحقق الوعود الالهية فيه ليست من المسلمات والبديهيات في القرآن الكريم فحسب ، بل هي كذلك عند جميع المؤمنين الراسخين في ايمانهم ، فإنهم يعترفون ويجمعون على أنَّ المقولات السابقة ليوم القيامة تخبر عن وقائع ذلك اليوم الغضيب ، بينما يخبر هذا التعبير عن حتمية وقوعه بلا شك ، وفي الواقع فهذا التعبير تأكيد لجميع تلك التعبيرات ولهذا انتخبنا هذا الوصف ليكون آخر حلقة تُذكر من سلسلة التعبيرات الواردة في يوم القيامة .

وهذه المسألة من المسائل الجديرة بالذكر لأنَّ المؤمنين عندما يتحدثون عن ذلك اليوم العظيم فإنهم يأتون بالدليل عليه ودليلهم ما جاء في ذيل الآية الاولى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ وهذا دليل على حتمية وقوع ذلك اليوم وعدم إمكان الشك فيه .

ثمرة البحث :

من خلال هذا البحث الواسع حول « أسماء القيامة في القرآن » اتضح لنا بأن « ليوم القيامة » في القرآن المجيد على الأقل « سبعون اسماً » . وبديهي إن مانريده من الاسم هنا ليس هو الاسم العلم بل جميع التعبيرات التي وردت في مورد اسم القيامة في القرآن الكريم التي ابتدأت بكلمة « يوم » (اسم توصيفي) .

لكننا قسّمنا هذه الاسماء الى مجموعتين إحداهما الاسماء التي احتوت على كلمة واحدة فقط للتعبير عن ذلك اليوم العظيم ، مثل « يوم البعث ويوم القيامة ويوم الدين ويوم الحساب » البالغة اربعة وعشرين اسماً ، والاخرى الاسماء التي وصفت يوم القيامة من خلال جملة واحدة (وهي بقية التعبيرات) .

وهذه الاسماء والصفات السبعون غنية جداً بالمواضيع فهي تنظر الى يوم القيامة من نوافذ وزوايا مختلفة ، وقد أبانت عن جميع الوقائع التي تقع في ذلك اليوم العظيم من بدايته التي هي احياء الموتى حتى نهايته عندما يُساقُ اصحاب الجنة الى الجنة واصحاب النار الى النار .

ان هذه الاسماء السبعين ترسم لنا لوحة عجيبة ورهيبة وواضحة وناطقة عن ذلك اليوم العظيم ، وتحدث عن كل مايمكن ان يقال عنه ، وتخبر عن عاقبة جميع البشر في مواقف المحشر جمعياً .

انه ليس من المعقول ان يتأمل الانسان في هذه الاسماء وينظر اليها نظرة موضوعية فلا تؤثر فيه الاثر التربوي العميق فالهدف منها في الواقع هو ايقاظ الانسان من خلال هذه التعبيرات التي صور كل واحد منها زاوية معينة من المعاد . فإنها تدعوه الى الخروج من الضلال الى الهدى ومن الرجس الى الطهارة ، ومن حب الدنيا الى الزهد فيها ، ومن الفسق الى التقوى ومن الظلمة الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الشرك الى التوحيد .

إن هذا القرآن كتاب هداية حقاً ، وما اعجب سبله التربوية العالية .
ضَعُوا هذه الاسماء الى جنب بعضها مرّة اخرى ومَرّوا بها على نوافذ قلوبكم ،
وتأملوا في كل مورد وردت فيه ، وماهي العواقب التي يصوّرها للانسان ؟ ثم
استفيدوا منها في تربية انفسكم .

اللهم اعطنا ادراكاً وبصيرة نرى ذلك اليوم العظيم من جميع زواياه التي بينتها
لنا في القرآن الكريم .

ونصغي لنداء هذه الآيات .

ونحفظ فحوى هذه الاسماء .

ووقّتنا للتأهب لذلك اليوم العظيم آمين يارب العالمين .

دلائل المعاد

أدلة اثبات المعاد

تمهيد

نظراً للاهمية الفائقة التي يكتنها القرآن الكريم للمعاد من ناحية المعارف الدينية ومن جهة التأثير التربوي لها في الآخرين معاً ، فإنه خصص لبيان ادلة اثبات المعاد آيات جمّة بشأنه .

وهذه الادلة في الواقع تنقسم الى قسمين رئيسيين :

القسم الاول : الادلة التي استدل بها على اثبات وقوع المعاد واثبات وجود الحياة بعد الموت من طرق متعددة .

القسم الثاني : الادلة التي تُمثل في الواقع جواباً على الاشكالات التي اوردها المخالفون ، الذين يعتقدون باستحالة الحياة بعد الموت .

وَادَّعَوْا من خلال تعبيرات مختلفة « عدم امكان » وقوعه .

لقد طرح القرآن المجيد في مقابل ذلك مجموعة من الادلة « العقلية »

و« الحسية التجريبية » واثبت لهم « امكان المعاد الاخروي وأدحض إدعاءهم .

وجريان البحث يوجب علينا طبعاً ان نطرح اولاً ادلة « امكان » المعاد ،

فنبتدئ بالانطلاق من مرحلة « الاجهاد المطلق » الى مرحلة « الامكان المطلق » ،

بعد ذلك نطرح « ادلة حتمية » المعاد و « ادلة اثبات الوقوع » كي نتعرف من خلال

ذلك وبصورة صحيحة ومنطقية على حقيقة المعاد ومراحله جميعها .

والملاحظة المهمة التي يجب ان نؤكد عليها هنا : إن جميع مناظرات القرآن الكريم في مجال امكان المعاد جاءت لاقتناع منكري المعاد الجسماني ، والقرآن الكريم يؤكد على مسألة إعادة « الروح » و « الجسم » معاً في الدار الآخرة وأنه امر ممكن بلا شك وذلك لأننا نشاهد في هذا العالم نماذج مختلفة لمصاديق ذلك .
على أية حال فإن الطرق التي يسلكها القرآن لاثبات ذلك كثيرة جداً ومتنوعة ويمكن تلخيصها في ست طرق :

١ - آيات الخلق الاول (خلق العالم والانسان) .

٢ - آيات شمول القدرة الالهية .

٣ - آيات احياء الارض .

٤ - آيات تطور مراحل الجنين .

٥ - آيات عودة الطاقة .

٦ - آيات النماذج الحيّة والتأريخية للمعاد في هذه الدنيا .

ومن اجل التعرف على هويّة المخالفين الذين يعنهم القرآن الكريم وعلى مقصود الآيات في ذلك يجب قبل الدخول في البحث ان نطرح بعض الجوانب من منطق المخالفين الذي بينته آيات القرآن الكريم ، ذلك المنطق الذي يطرحه المخالفون في يومنا هذا احياناً ويؤكدون عليه .

بعد هذا التوضيح نتوجه للبحث في ادلة (امكان المعاد) ونتحدث اولاً في

تحديد منطق المخالفين ووجهة نظرهم فيه :

١ - امكان المعاد ومنطق المخالفين :

اشارة :

قلنا بأن القرآن المجيد من اجل تهيئة الارضية الفكرية اللازمة لاستيعاب هذه المسألة يبدأ اولاً بالحديث عن « امكان المعاد » ، ويثبت ذلك بطرق مختلفة (الطرق الست) ، بعد ذلك يبدأ بذكر ادلة « وقوع المعاد » .

يحتمل ان لا تكون هناك ضرورة للتنبيه على ان المخالفين للمعاد لا يمتلكون دليلاً معيناً لأثبات مقصدهم فهم عادةً يؤكدون على مسألة استبعاد الحياة بعد الموت بسبب عقليتهم الساذجة ، حتى انهم يعتبرون الاعتقاد بمسألة الحياة بعد الموت من علامات الجنون وكانوا يسخرون ممن يقول بذلك ويتهمونهم بالافتراء على الله .

بعد ذكر هذه الاشارة نعود الى القرآن الكريم لنستمع خاشعين الى آيات

التالية :

١ - ﴿ وَقَالُوا ءَاذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءَاِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾

(الاسراء / ٤٩ و ٩٨)

٢ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُم اِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ

اِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ، ﴿ افترى على الله كذباً ام به جِنَّةٌ ﴾ (سبأ / ٧ و ٨)

٣ - ﴿ وَقَالُوا ءَاذَا ضَلَّلْنَا فِي الْاَرْضِ ءَاِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

(السجدة / ١٠)

٤ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ءَاذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا ءَاِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا

نَحْنُ وَاَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ ﴾ (النمل / ٦٧ و ٦٨)

٥ - ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾

(ق / ٢ و ٣)

٦ - ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْتُمْ مَخْرَجُونَ هِيَ هِيَ

هِيَ هِيَ لَمَّا تُوْعَدُونَ ، ان هِيَ الْآ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَى وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

(المؤمنون / ٣٥ الى ٣٧)

٧ - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ أَنْ هِيَ الْآ مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾

(الدخان / ٣٤ و ٣٥)^(١)



جمع الآيات وتفسيرها :

هل يعود التراب انساناً مرة اخرى ؟ !

هذه الايات وإن كان لها مضامين مشتركة إلا أن هناك تفاوتاً في تعبيراتها ومحتوياتها وتحتاج الى الدقة والامعان .

ففي الآية الاولى اشارة الى مقولة مشركي العرب ، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً ءَاَنَّا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ .

كيف يمكن للانسان بعد ان يتفسخ لحمه ويصبح تراباً ثم تدرس عظامه وتُضحي رميماتاً ورفاتاً ان تجمع ثانياً ثم تلبس ثوب الحياة من جديد فإين العظام الرميمة والمتلاشية من الانسان الحي المتحرك القوي ؟ !

«رُفَات» من مادة «رَفَت» (على وزن فَعَلَ) بمعنى حطام ، وعدّ البعض

(١) يوجد في هذا المجال آيات متعددة اخرى متقاربة الافق مع هذه الايات المذكورة مثلاً ماجاء في سورة الواقعة الآية ٤٧ و ٤٨ وفي سورة الصافات الآية ٥٣ وسورة يس الآية ٧٨ و.....

«الالتواء» من معانيه ايضاً ، وقال البعض إنّ «الرفات» بمعنى الذرات العتيقة المتفسخة وهي الحالة التي تحصل للعظام بعد ان تمضي عليها سنون متمادية وهذه التفسيرات جميعها كثيرة الشبه ببعضها^(١).

وما فسره البعض - نقلاً عن روح المعاني - بأنه بمعنى التراب أو الغبار أو ما اصبح دقيقاً إثر الدقّ الكثير فهو في الواقع بيان لبعض مصاديقه .

الانسان العاقل لا يتحدث بمثل هذا !

والآية الثانية تصور الاسلوب المعاند والاكثر غروراً للمشركين في قوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا هل نُدَلِّكُمْ على رجلٍ ينبئكم اذا مَزَقْتُم كل مُمَزَّقٍ انكم لفي خلقٍ جديدٍ ، أفترى على الله كذباً﴾ (لانه يدّعي ان هذا الخبر من الله) ﴿ام به جنة﴾ (فكلامه كلام المجانين) (والعياذ بالله) .

هكذا كان يتصور هؤلاء بأن اخبار النبي ﷺ عن المعاد الجسماني ناتج عن احد امرين فكانوا يقولون : اما ان يكون هذا الرجل عاقلاً وفطناً لكنه من اجل المطامح الشخصية نَسَبَ هذه الامور الى الله كذباً كي يجمع الناس حوله ، واما ان لا يكون لديه غرض شخصي ولكنه (والعياذ بالله) اصيب بالجنون ! والافان العاقل لا يمكن ان يقول بأن العظام البالية والتراب المنثور الذي ركبت ذراته امواج الرياح وذهبت في كل صوب أن تجتمع يوماً وتحيي من جديد !

إن هؤلاء الحمقى المغرورين الذين لم يذكروا النبي الا بعنوان « رجل » وبصيغة نكرة قد نسوا نشأتهم الاولى بالمرّة وخيمت على بصائرهم حُجب الجهل فمنعتهم من مشاهدة مصاديق المعاد في حياتهم اليومية . وسوف نتطرق للبحث في هذا المجال بإذن الله بعد ذكر هذه الآيات .

(١) مفردات الراغب ومقاييس اللغة والتحقيق وتفسير روح المعاني .

و « مُزَّقَّتُمْ » من مادة « تمزيق » بمعنى الشق والتقطيع ، وجاءت هنا للدلالة على تحليل الانسان وتناثر عناصره واختلاطها بالتراب والماء والهواء .

وفي الآية الثالثة نجد تعبيراً جديداً في هذا المجال ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ .

التعبير بالضللال في الارض يكون تارةً للدلالة على تحول اعضاء جسم الانسان الى تراب بحيث تكون كالارض ، وتارةً اخرى للدلالة على إنبثائها في مناطق متواريه من العالم على نحو لا يمكن تمييزها ابداً .

بهذا الاسلوب كانوا يريدون ان يثبتوا بأن عودة كهذه أمرٌ محال جداً ! بينما قد تحقق نفس هذا الامر في بداية خلق الانسان ، فإن العناصر المنبثقة في عالم الطبيعة اجتمعت بقدرة الله ووجد منها الانسان (والوقوع افضل دليل على الامكان) .



انها أساطير فحسب :

ورد ذكر هذا الإدعاء في الآية الرابعة مع بعض الاضافات الاخرى ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ ، لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(١) .

يفهم من هذا التعبير بأن مسألة المعاد وبالتحديد المعاد الجسماني لم تكن من مختصات القرآن والشريعة الاسلامية فحسب ، بل مما اخبر عنه الانبياء المتقدمون

(١) « اساطير » جمع « اسطورة » ويرى بعض اللغويين انها جمع « أسطار » وهي بدورها جمع « سطر » بمعنى الشيء المدون كذباً ، وقال البعض ايضاً : بما أن « اسطورة » من الصيغ « المزيد فيها » فإنها تدل على زيادة في السطر المعهود ، ولذا اعتبروها بمعنى « السطر المنمق » ، ومهما يكن من أمر فإن الاسطورة بمعنى المقولة الباطلة الخرافية التي لا اصل لها . (مقاييس اللغة - المفردات - مصباح اللغة - التحقيق) .

ايضاً ، ولكن للأسباب التي سوف نذكرها لاحقاً - انشاء الله - لم يخضع متكبرو الامم للحق ابداً ، وكانوا يعتبرونه امراً خرافياً واسطورياً بعيداً عن العقل والمنطق .
فالآية الشريفة ذكرت ان هؤلاء تمسكوا بأمرين لانكار المعاد : الاول ان عودة الحياة للتراب تبدو امراً مستبعداً .

والثاني بما ان جميع الانبياء السابقين وعدوا الامم السالفة ولم يتحقق وعدهم ابداً ، فهذا دليل على ان هذا الامر اسطورة وخرافة لاغير . (وكأنهم يتوقعون بأن القيامة يجب ان تتحقق على الفور والأفهي كذب وافتراء) .



وفي الآية الخامسة يردّ تعبير آخر عن ذلك الإنكار والاستبعاد ، قال تعالى :
﴿ وقال الكافرون هذا شيء عجيّب ءإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجّع بعيد ﴾^(١) .

فهم في مبتدأ مقولتهم يعتبرون ذلك امراً « عجبياً » ، وفي ذيل مقولتهم يعتبرونه « بعيداً » ولكنهم لم يفكروا بخلقهم وإن هذا الامر « العجيب والبعيد » قد تحقق بوضوح في خلقهم الأول ، بل كما سوف يأتي لاحقاً بأن مسألة المعاد وتجدد الحياة من الامور التي شاهدناها ونشاهدها دائماً في هذه الدنيا ، فكيف يكون هذا الامر عجبياً وبعيداً ؟ .



وفي الآية السادسة نرى المخالفين يكررون هذا اللون من الإنكار ولكن بأسلوب آخر ، فكانوا يقولون لقرنائهم واقربائهم مشككين متخذين اسلوب الاشاعة

(١) بعض المفسرين لا يرون فرقاً بين « رَجَعَ » و « رجوع » (مثل صاحب الميزان) بينما يعتقد البعض الآخر بأن « رَجَعَ » استعمل متعدياً و « رجوع » لازم (روح البيان الجزء ٩ الصفحة ١٠٣) وجاء في تفسير الرازي ايضاً الفرق بين هذين التعبيرين ، ولكن الآية تحتل كلا المعنيين (تفسير الرازي الجزء ٢٨ الصفحة ١٥٢) .

والاثارة : ﴿أيعدكم انكم اذا ميّتم وكُنْتُمْ تراباً وعظاماً انكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون﴾ .

ثم ان هؤلاء الحمقى لا يخالون أن هناك حاجة للاستدلال فيقولون بِتَعَسُفٍ :
﴿ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين﴾ ﴿إن هو الا رجل
افتري على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾ .

وهذا من اشد تعبيرات المنكرين المعاندين في مجال انكار المعاد ، وذلك من دون ان يفكروا في فلسفة خلق الانسان وانه هل من الممكن ان تكون هذه الحياة القصيرة المليئة بالمصائب والمشاكل الهدف والغرض الرئيسي من خلق الانسان ؟ ومن دون ان يفكروا بفلسفة الاوامر الالهية وانه هل من الممكن ان يعامل الله العادل ، الصالحين والطالحين على حد سواء ؟ وأن لا يفرق بينهم لافي الدنيا ولا في الآخرة ، ومن دون ان يفكروا بنشأتهم الاولى حين كانوا في البداية تراباً وعناصر متفرقة .

قد يكون تقديم كلمة التراب على العظام في الآية الكريمة - مع ان بدن الانسان يتحول الى عظام رميمة اولاً ثم يكون تراباً - وذلك للإشارة بالتراب الى اللحم الذي يصبح تراباً قبل العظام ، او الذكر له بالتراب على الاجداد والماضين الذين الذين تحولت ابدانهم الى تراب تماماً ، وللدلالة بالعظام الى الاء والامهات الذين فارقوا الحياة قريباً ، او لان عودة الحياة الى التراب ابعد الى التصديق في عودته الى العظام ، لذا تقدمت كلمة التراب ، وفي كل الاحوال فيه بيان لشدة معارضتهم لهذه المسألة .



إن هي الا حياة واحدة وموته واحدة :

وفي الآية السابعة والاخيرة نلاحظ تعبيراً جديداً ايضاً ، هو إن مشركي العرب ومنكري المعاد من دون ان يتحدثوا عن الرفات والتراب وامثال هذه الامور ، ادعوا

بدون دليل : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ الْآ مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

الامر العجيب في هذه الآية إن هؤلاء قالوا إن هي الآ موتتنا الأولى . فلماذا اتوا بهذا التعبير بينما كان عليهم ان يقولوا : إن هي الآ حياتنا الأولى ؟

وقد اجاب المفسرون على هذا السؤال باجوبة مختلفة ، ولكن الجواب الاكثر مناسبة ان يقال بأنهم كانوا يقصدون من كلامهم هذا إنه لا يوجد بعد هذه الحياة الآ الموت ولا شيء يحدث بعد الموت ، أي لا يوجد هناك حياة اخرى .

وآخر الكلام في هذه الآية قال الزمخشري بعد ان طرح هذا الاشكال في الكشف : انه قيل لهم انكم تموتون موته تعتبها حياة ، كما تفاد متكم موته قد تعقبها حياة ، وذلك قوله عز وجل ﴿وكنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ (البقرة / ٢٨) .

فقالوا ﴿ان هي الا موتتنا الأولى﴾ يريدون : ما الموتة التي من شأنها ان يتعقبها حياة الا الموتة الأولى دون الموتة الثانية وما الصفه التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا للموتة الأولى خاصه^(١) .

لكنّ التكلف واضح على هذا التفسير ، والتفسير الاول هو المناسب (فتأمل) .

السؤال الآخر الذي طرح في مورد هذه الآية إن كل « اول » يجب ان يكون له « ثاني » فعلى هذا كيف يمكن ان لا يتلو « الموت الاول » « موت ثانٍ » ؟

والجواب على هذا السؤال واضح ، وهو انه ليس من الضروري ان يكون لكل اولٍ ثانٍ ، فمثلاً لو نذر الانسان على نفسه أن يسمي أول ابن يهبه الله له « محمداً » ، فمن الممكن ان لا يهب الله له الا ذلك الابن ، أو أن ينذر الله على نفسه أن يهدي أول كتاب يؤلفه الى أبيه ، ومن الممكن ان لا يؤلف كتاباً غيره ، ونحن نعلم ايضاً أن أحد

(١) تفسير الكشف الجزء ٤ الصفحة ٢٧٩ في ذيل الآية المعنية .

أسماء الله تعالى هو الاول مع انه لا يوجد هناك إله ثان .

ثمرة البحث :

تعرفنا من خلال الآيات السبع المذكورة والآيات الاخرى المقاربة لها على منطق منكري المعاد وبالاخص اولئك الذين عاصروا نزول القرآن . ويمكن تلخيص اقوالهم في مجال انكار المعاد الجسماني غالباً في عدّة جمل ادعائية :

كيف يمكن للعظام الرميم ان تلبس ثوب الحياة من جديد ؟

كيف يمكن لِلْحَمِينَا وعظامنا التي تحولت الى تراب وتفرقت عناصرها في كل صوب وتحللت واختلطت بالارض واضمحلت أن تجمع ثانياً وتدبّ فيها الحياة من جديد ؟ أليس هذا افتراء على الله ، أو من علائم الجنون ؟ !

لا يوجد هناك غير هذه الحياة الدنيا وهذا الموت ، فهل قام احد من مرقده كي نصدق هذا الادعاء ؟ إنّ هذا الادعاء لا اساس له وهو امرٌ عجيب وغير ممكن فلا يمكن تصديقه !

انّ هؤلاء المنكرين المغرورين الذين لم يتأملوا حتى في خلقهم الاول ، ولم يعوا نماذج الحياة بعد الموت التي يشاهدونها باستمرار في حياتهم ، وهؤلاء الذين يعتمدون على الادعاءات الواهية ، لالشيء الا من اجل العناد والحمية لا يختصون بذلك الزمان فحسب ولا بأيّ زمانٍ معيّن ، فنحن في هذه الايام ايضاً نسمع مثل هذه الاقاويل على لسان افراد آخرين من الذين حشروا انفسهم بين الفلاسفة والعلماء .

وعلى اية حال فإن القرآن المجيد أجاب عن هذه الادعاءات بكل قوة كما سوف يأتي ذلك في البحوث القادمة ، فهي اجابات لجميع فرق منكري المعاد وعلى جميع المستويات العلمية ، ومن الممكن ان تقنع هذه الاجوبة حتى اولئك الذين لم يمتلكوا شيئاً من العلم ، ولكن على شرط ان يكونوا من طلاب الحقيقة .

والان نستمع لبيانات القرآن في مجال ادلة امكان المعاد .

القسم الأول:

دلائل امكان المعاد

١ - الخلق الاول

تمهيد :

هنالك طرق كثيرة لاثبات امكان المعاد في القرآن المجيد وقد وردت جميعها على شكل استدلالات منطقية ، فصورها القرآن بتعابير راقية جداً . ويمكن تلخيص ماأورده القرآن - كما اشرنا سابقاً - الى ستة مواضيع :

١ - الخلق الاول .

٢ - شمول القدرة الالهية .

٣ - تكرار حدوث الموت والحياة في عالم النباتات .

٤ - التطورات الجنينية .

٥ - اعادة الطاقة .

٦ - النماذج الحية لوقوع المعاد .

إنّ القرآن الكريم أوردَ آيات متعددة لكلٍ من العناوين المذكورة ، والتدبر في هذه الآيات لا يوصلنا الى اثبات امكان المعاد فحسب ، بل يدلّنا على مواضيع مهمة اخرى ايضاً .

بعد هذه الاشارة الوجيزة نعود الى القرآن المجيد فنستمع خاشعين للقسم

الاول أي الآيات المتعلقة بالخلق الاول :

- ١ - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس / ٧٨ - ٧٩)
- ٢ - ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق / ١٥)
- ٣ - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم / ٢٧)
- ٤ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (العنكبوت / ١٩)
- ٥ - ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الاعراف / ٢٩).



جمع الآيات وتفسيرها :

من الذي يحيي العظام وهي رميم ؟ !

تبدأ الآية الاولى بسرد القصة المعروفة للرجل المشرك الذي جاء معه بعض من بال الى الرسول ﷺ وهذا الرجل هو امّا «أبي بن خلف» أو «العاص بن وائل» أو «امية بن خلف» الذي جاء يحمل بيده عظماً رميمًا وكان يقول سأذهب وأخاصم محمداً ﷺ بهذا الدليل القاطع ! وأبطل ما جاء به عن المعاد !

فذهب الى النبي ﷺ ونادى قائلاً : « من الذي يحيي هذا العظم الرميم ؟ » ومن يصدق هذه الدعوى ؟ ومن المحتمل انه من اجل التأكيد على خطابه سحق جزءاً من ذلك العظم ونثره على الارض . ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ .

وبعد وقوع تلك الحادثة خاطب القرآن النبي ﷺ (في خمس آيات) وامره ان يجيب على هذا الرجل وامثاله بقوة ومن طرق متعددة إحداها الاشارة الى الخلق الاول وقد بينها القرآن بعبارة وجيزة ولطيفة جداً ، قال تعالى : ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ !

ثم قام بشرحها فقال تعالى : ﴿ قُلْ يحييها الذي انشأها اَوَّلَ مرَّةٍ ﴾ فإن كنت تتصور بأن العظام بعد أن تبلى وتنتشر كل ذرة منها في ناحية فاعادة جميع الاوصاف الاولى اليها امرٌ محال حيث لا يوجد أحدٌ يحيط بها علماً . فإنك في ضلالٍ بعيد ، لأن الله تعالى الذي خلق كل شيء ﴿ هو بكل خلقٍ عليم ﴾ .

و« انشأها » من مادة « انشاء » بمعنى الابداء والهداية . وهي هنا كأنها تلميح لهذه الحقيقة ان الذي خلقها في البداية من لا شيء فإنه من الأولى ان يتمكن من خلقها من التراب .

ويوجد هناك احتمالان في المراد من نسيان الخلق في هذه الآية الاحتمال الاول إن الانسان نسي خلقه الاول الذي بدأ من نقطة حقيرة وقطرة ماءٍ مهين ثم بدأ يتردد ويشكك بقدره الله على الاحياء الجديد .

والاحتمال الثاني : إن هذه الآية تشير الى خلق آدم من التراب ، وكأنها تريد ان تقول : ألم نخلق الانسان من تراب في بادئ الامر ؟ فكيف يكون من المحال تكرار هذا الامر ؟ وذلك لأن « حكم الامثال فيما يجوز وفيما لايجوز واحد » .

ومن البيديهي ان « النسيان » هنا اما جاء بمعنى النسيان الحقيقي الواقعي أو تنزيل الشخص منزلة الناسي وإن لم يكن في الواقع كذلك ، وذلك لأنه لم يعمل وفق علمه بل اتخذ موقف المنكر^(١) .



وفي الآية الثانية أشير الى هذه الحقيقة ببيانٍ آخر ، قال تعالى في جواب منكري المعاد : ﴿ أفبعينا بالخلق الاول ﴾ ؟ حتى نعجز عن خلقه مرة اخرى . ثم يضيف تعالى : إن هؤلاء لم يشكوا في قدرة الله تعالى على الخلق الاول ، بل ترددوا وشككوا بالاحياء المجدد بسبب غفلتهم ونسيانهم أو بسبب تعصبهم

(١) جاء هذان الاحتمالان في روح المعاني الجزء ٢٣ الصفحة ٥٠ .

وعنادهم أو انهم اعتادوا على ما يشاهدونه في حياتهم انهم لم يروا من خرج من قبره حياً بعد موته ﴿بل هم في لبس من خلقٍ جديد﴾ .

وهكذا ورطوا أنفسهم في تناقض واضح لا يجدون له مخرجاً ابداً .

« عينا » من مادة « عَيَّ » تأتي احياناً بمعنى العجز وعدم القدرة و احياناً بمعنى التعب والالام ، وقد جاءت هنا على المعنى الاول ، اي اننا لم نعجز عن الخلق الاول .

والمراد من « الخلق الاول » اما اليجاد الاول لكل انسان أو يختص بخلق آدم . وأما ما احتمله بعض المفسرين من أن المراد من الخلق الاول هو خلق عالم الوجود فإنه لا يتناسب مع بحثنا .

و« لبس » على وزن « حَبَس » في الاصل بمعنى ستر الشيء واللباس سُمِّيَ بذلك لأنه يستر ويغطي البدن ، أما الراغب فإنه يرى أنه يستعمل في الامور المعنوية ايضاً ، فيدل على ستر الحقائق . وفي الآية المعنية جاء هذا المعنى ، اي إن امر المعاد والحقيقة التبت على هؤلاء .



وفي الآية الثالثة نلاحظ تعبيراً آخر في هذا المجال ، هو اجراء المقايسة بين « مبدأ » الحياة و « المعاد » ، قال تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ .

فسر عدد من المفسرين جملة « يبدأ » على انها تدل على الماضي ، اي إن الله تعالى بدأ الخلق ، لكن ما هو المانع من تفسير « يبدأ » بمعناه الحقيقي بما أنه فعل مضارع ؟ وبما أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار فيكون معنى الآية هنا : « إن الله يخلق ويعيد على الدوام » اي انَّ عالم الوجود هو عبارة عن تكرار الحياة والموت واستمرار المبدأ والمعاد ، على هذا فلا يجب الشك في امكان وقوع المعاد .

فعالمنا يموت ويحيى ويخلق من جديد باستمرار ، ومن هنا تكون الاعادة الى حياة جديدة امراً غير مستغرب ، فيكون هذا جواباً دقيقاً وجميلاً للمعاندن .
وجملة « وهو أهونُ عليه » تثير هذا الايضاح ان الصعوبة والسهولة بالنسبة للقدرة المطلقة الالهية اللامتناهية لامعنى لها ، فان كل الامور متساوية لديه ، فقلع اعظم الجبال الرواسي لديه بسهولة رفع القشة الواحدة ، وخلق المنظومة الشمسية بالنسبة له مثل خلق ذرة من التراب ، والصعوبة أو السهولة لاتصدق الاًفينا نحن البشر لأن قدرتنا محدودة فنقول رفع الحجر الصغير سهل ورفع الحجر العظيم متعذراً . فما هو المراد من قوله أهونُ ؟ فهل هناك شيء صعب عليه وآخر أهون منه مع ان قدرته واحدة بالنسبة لجميع الاشياء ؟

وقد أجاب المنسّرون على هذا السؤال بعدة أجوبة وقالوا إن افضل جواب ان هذا الخطاب ذكره الله تعالى من اجل استثناس العباد بهذا المنظار وهذا المنطق ، لأن من ينجز عملاً يكون عليه انجاز ذلك العمل في المرة الثانية أهون ، وإن كانت جميع الاشياء متساوية بالنسبة للقادر المتعال .

واجيب تارةً أخرى إنّ « أهون » لم تأتِ هنا بصيغة افعل التفضيل ، بل اتت بمعنى « هين » اي سهل .

وقد أتوا باشارات اخرى اعرضنا عن ذكرها لعدم مناسبتها المقام .
على اية حال فإن مفهوم سهل وأسهل يصدق على الناس ، وإن كل شيء بالنسبة لقدرته السرمديّة متساوٍ ، ولا يوجد هنالك اسهل أو اصعب بالنسبة له .
والاية الرابعة تحمل مضمون الآية السابقة بنحو آخر ، وماهي في الحقيقة الاً تفسير وتوضيح لما جاء في تلك الآية ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدَأُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

(١) يجب الانتباه الى ان يُبدئ (من باب الافعال) ويُبدأ (من الثلاثي المجرد) كلاهما لهما معنى واحد وهو ابداء واطهار الشيء .

والإتيان بصيغة المضارع « يبدأ » و « يعيد » من المحتمل ان يكون تأكيداً لما جاء في الآية المذكورة سابقاً من ان الله يبدأ ويعيد الخلق على الدوام وبصورة مستمرة فيتجدد العالم ويتغير ويتكرر وقوع الایجاد والمعاد في كل آن وخاصة عندما اتى بهذا التعبير: أولم يروا.. الذي يشير الى أن مشاهدة هذا الایجاد المستمر والاعادة المتكررة أمر ممكن لجميع الناس .

ويوجد هناك احتمال آخر هو ان « يُعيدُ » بيان للمعاد الحاصل في يوم القيامة لاغير، ففي هذه الحالة يكون معنى الآية بهذا النحو: اولم يروا كيف يبدأ الله الخلق؟ فإن احداً كهذا يمكنه ان يعيده مرة أخرى .

وجملة « إن ذلك على الله يسير » تشير الى ان كل شيء سهل ويسير على الله تعالى ، ومن الممكن ان تكون دليلاً للذين فسروا « أهون » بمعنى « هين » في الآية السابقة .

على اية حال فإن جميع منكري المعاد يرون بأعينهم كيف تنبت النباتات في الارض الميتة؟ ، وكيف يضع البشر اقدامهم في عالم الوجود؟ وكيف تورق الاشجار الميتة وتثمر؟ وكيف تتكرر عملية الخلق والایجاد في هذا العالم في كل آن؟ .
فهل تكون هذه الاعادة لجميع الموجودات امراً عسيراً على خالقها؟ مع ان الایجاد والاعادة كلاهما واحد بالنسبة لشمول قدرته ، ووجود الشيء افضل دليل على امكانه؟

وقد بين في الآية الخامسة والاخيرة لبّ المطلب من خلال تعبير وجيز ومختصر جداً ، قال تعالى: (كما بدأكم تعودون) .

ان هذه العبارة التي جاءت في الآية ٢٩ من سورة الاعراف في الحقيقة اقصر تعبير واوضح استدلال للقرآن الكريم في مجال امكان المعاد ، فإنه قاس امكان الحياة الثانية على امكان الحياة الاولى ، وهذا قياس منطقي قضية عقلية ، اما اولئك الذين يعتبرون مثل هذه الايات دليلاً على جواز القياس في الاحكام التعبدية فإنهم

قد غرقوا في خطأ فاحش ، لأن القياس لا يجوز إعماله إلا إذا كان دليل الحكم الاول وعلته وحكمته واضحاً مبيناً ، ويجب ان تكون هذه العلة موجودة في الحكم الثاني ايضاً ، كما هو الحال في الآية المذكورة . في بحث المعاد وغيرها من الامور . لأننا نعلم بأن المؤثر في الخلق الاول هو القدرة الالهية ، وهذا الامر بنفسه يكون مؤثراً في الخلق المستأنف ، أما بالنسبة للقياس في الاحكام الفرعية التي لم تتضح عللها ولم يُصرح عنها في ذلك الدليل فإنه لاقيمة له ، وذلك لأنه قياس ظني وتخميني لا يقيني وعقلي .

على اية حال فإن التفسير المذكور اعلاه واضح جداً اذا ما إستعنا بالآيات الاخرى التي وردت في هذا المجال ، ولكن العجيب تفسير بعض المفسرين من أن المراد من هذه الآية هو : كما بدأكم اول الامر وخلق منكم السعداء والاشقياء والكفار والمؤمنين فإنه سوف يعيدكم في الآخرة على تلك الحال^(١) .

من المحتمل ان يكون السبب في هذا التفسير هو ان البعض ارادوا عن هذا الطريق ان يجدوا دليلاً لتعزيز عقيدتهم الباطلة في مسألة الجبر ، بينما لم يكن الحديث في هذه الآية إلا عن اصل خلقه الانسان وايجاده ، ثم اعادته الى حياة جديدة ، ولم تأتِ حتى اشارة واحدة للسعادة والشقاء الجبري في هذه الآية ولم يرد فيها شيء عن ذاتية الكفر والايمان .

(١) ذكر الفخر الرازي هذا التفسير واعتبره احد الاحتمالين في تفسير هذه الآية (الجزء ١٤ الصفحة ٥٨) .

ثمرة البحث :

اتضح جيداً من خلال هذه الآيات بأن السبب الرئيسي في انكار المعاد من قبل المنكرين هو غفلتهم وعدم توجههم للخلق الاول لهذا العالم والانسان ، وذلك لأنهم لو تمعنوا قليلاً في ذلك الامر لحصلوا على الجواب المطلوب .
فهل من الممكن ان يكون (الخلق الاول للانسان من التراب امراً يسيراً بينما لا تكون اعادته كذلك) ؟ !



ايضاحات :

اليوم الذي خلق فيه الانسان :

يقول العلماء بأن الكرة الارضية بعد انفصالها عن الشمس قبل خمسة مليارات عام تقريباً كانت على شكل كتلة من نار ، وبمرور عدة مليارات من السنين اخذت درجة حرارتها بالانخفاض تدريجياً ، ثم تحولت الغيوم التي كانت تحيط بالارض بكثافة الى امطار ، وتلك الامطار التي كانت تهطل بغزارة على الارض كانت تغلي لشدة حرارة الارض وتتبخّر ثانياً فتتحول الى غيوم مرة اخرى . واستمرت هذه العملية واستمر معها انخفاض درجة حرارة الارض .

بعد ذلك بدأت إنسيابية المياه الى المناطق المنخفضة من الارض وكوّنت البحار والمحيطات ، ولم يكن آنذاك للحياة أثر .

ولم يكن للنبات اثر .

ولم يخفق طائر بجناحه او يقرّد .

ولم يتحرك في تلك المحيطات العظيمة أيّ موجود حي .

وذلك لأن محيط الكرة الارضية لم يزل حاراً للغاية مما لم يفسح المجال

لظهور الحياة عليها .

ثم اخذت درجة الحرارة بالإنخفاض اكثر فاكثر حتى ظهرت بقدرة الله أوّل براعم الحياة في البحار والصحاري ثم ظهرت بعد ذلك موجودات حيّة كثيرة واخيراً خلق الانسان .

وبناءً على هذا لا يوجد أيّ شك في ان الانسان خلق من التراب ثم يعود اليه فما المانع في ان يعاد ثانياً من التراب ؟ !

إن استثناس الانسان بهذه الحياة وقصر نظره وتغطية حُجب العناد والتعصب لفكر الانسان احياناً لاتسمح ان يرى هذه الحقائق الواضحة وأن يصدق أو يعترف بها.

٢- القدرة الالهية المطلقة

تمهيد :

الطريق الآخر لاثبات امكان اعادة الحياة ثانياً في يوم القيامة هو ثبوت القدرة الالهية غير المحدودة .

لأن البحث عن المعاد يأتي بعد اثبات اصل التوحيد وقبوله والتصديق بالصفات الثبوتية والاخرى السلبية للحق تعالى ، ونحن نعلم بأن احد صفاته الثبوتية هي « القدرة المطلقة » وهيمنتها على كل شيء ، وإن افضل طريق لاثبات قدرته هي التمعن في عظمه . عالم الخلق ، بالاضافة الى ان واجب الوجود له وجود غير محدود فمن الطبيعي ان تكون قدرته غير محدودة ايضاً .

إن سعة السماوات وعظمة المنظومات السماوية وعظمة المجرات وكثرة الكواكب المحورية والسيارات التي تدور حولها وتنوع المخلوقات الحية من نباتات وحيوانات والاعمال الدقيقة العجيبة التي تؤديها الخلايا الحية ومكونات الذرة إن كل هذه الامور دليل على القدرة اللامتناهية لله تعالى .

فعند الاعتقاد بهذه الامور وتصديقها لا يبقى مورد للشك والترديد في من هو القادر على احياء العظام الرميم ؟ أو كيف يمكن للتراب المنتشر أن يجمع ويلبس ثوب الحياة ؟ !

لقد كانت هذه نبذة مختصرة عن المواضيع التي سنبحثها في هذا الباب ، وقد

أشير إلى هذه المواضع في آيات متعددة من القرآن الكريم ، وقبل أن نعطي توضيحاً أكثر نستمع أولاً إلى هذه الآيات خاشعين :

١ - ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المؤمن / ٥٧)

٢ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجْلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ (الاسراء / ٩٩)

٣ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الاحقاف / ٣٣)

٤ - ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس / ٨١)

٥ - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) (العنكبوت / ٢٠)

جمع الآيات وتفسيرها :

أنه على كل شيء قدير :

في الآية الأولى يقبس الله تعالى إحياء الموتى بخلق السموات والأرض ، قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

فحتماً يكون قادراً على إعادة الإنسان الذي خلقه أولاً ، فهذا برهان جلي في

(١) أشير إلى هذا المعنى في آيات أخرى أيضاً مثل الآية ٩ من سورة الشورى والآية ٢ من الحديد .

افادة هذا الأمر ، قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية وكان من حقهم ان يقرؤا بأنه القادر على خلق السماوات والارض ... فقد ظهر بهذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة ، بل بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب^(١).

وصرّح آخرون مثل « الطبرسي » في مجمع البيان و « القرطبي » و « روح البيان » بأن هذه الآية خوطب بها منكرو المعاد وهي تقول : من قدر على خلق السماوات والارض واختراعهما مع عظمهما وكثرة اجزائهما يقدر على اعادة خلق البشر^(٢).

والايتان بجملة ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ كما قال كثير من المفسرين ليس بمعنى انهم في الواقع لا يعلمون بأن « خلق السماوات بتلك الدقة والعظمة ارقى من اعادة خلق الانسان » ، بل قد نُزلوا منزلة الجاهل في هذه الامور لأنهم غفلوا عنها ولم يفكروا ويؤمنوا فيها وذلك لتعصبهم واتباعهم الهوى فضلوا في امر المعاد^(٣).

والعجيب هنا هو ان في تلك العصور لم تكتشف بعدُ عظمة السماوات كما هو الحال في عصرنا الحاضر ، والتليل من الناس كان له اطلاع آنذاك عن الاسرار العظيمة التي كُشفت عن طريق التقدم العلمي في العصور الحديثة ، وكانوا لا يعلمون منها الا ظاهرها ، لكن القرآن الكريم المترشح من علم الله اللامحدود رفع الحجاب عن تلك الاسرار.

وهناك ملاحظة هي ان اللام في « لخلق » هي « لام الابتداء » ظاهراً وقد جاءت هنا للتأكيد .

(١) تفسير الفخر الرازي الجزء ٢٧ الصفحة ٧٩ .

(٢) تفسير الطبرسي الجزء ٨ الصفحة ٥٢٩ والقرطبي الجزء ٨ الصفحة ٥٧٦٩ وروح البيان الجزء ٨ الصفحة ١٩٩ .

(٣) مجمع البيان ، الكشاف ، روح المعاني في تفسيرهم لذيل الآية .

وفي الآية الثانية وبعد ان نقل كلام المنكرين الذين انكروا اعادة خلق الانسان بعد تفسخ عظامه وصيرورتها تراباً ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ .

التعبير بـ « مثل » هنا من الممكن ان يكون للدلالة على خلق البشر ثانياً ، لأن خلقهم يكون كالسابق ، ومن الممكن ايضاً ان يكون للدلالة على ان الله تعالى قادر على خلق آخرين من البشر من جديد كما خلق هؤلاء ، فكأنه يقول عندما يكون الله قادر على خلق هؤلاء فإنه قادر على خلق غيرهم .

وهناك احتمال آخر هو ان الابدان المخلوقة من جديد مهما كانت فهي ليست عين تلك الابدان السابقة ، وذلك لأن مادتها الاولى تعود مع كيفية وهيئة جديدة غير تلك الصورة السابقة ، فمن اجل هذا عبّر القرآن بـ « مثل » ، ولكن روح الانسان هي تلك الروح ، فبعد ان تتعلق بالبدن تحافظ على وحدة شخصيتها السابقة واللاحقة ، بناءً على هذا فإن الناس بعد اعادتهم يكونون عينهم من ناحية ، ومثلهم من ناحية اخرى (فتأمل) .

ثم يجيب في ذيل الآية عن سؤال آخر للمنكرين ، فأولئك كانوا يقولون : اذا كانت القيامة حق فلِمَ لاتقع ، قال تعالى في جوابهم : ﴿وَجَعَلْ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .

وبتعبير آخر إنه تعالى مع الحفاظ على كامل قدرته عين وقت قيام القيامة بالدقة سوف تقع في ذلك الزمان المعين من دون اي تأخير .

﴿فَأَبْئِرِ الظَّالِمُونَ الْكَافِرَ﴾ لأن هوى النفس والتعصب والعداء للحق أرخى على افكارهم حُجبه وسدوله .

وفي الآية الثالثة ورد نفس هذا المعنى ولكن بتعبير آخر ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

عبارة «أَوَلَمْ يَرَوْا» المراد منها المشاهدة بعين البصيرة والعقل ، لذلك فسرها المفسرون بمعنى أولم يعلموا ، والبعض الآخر فسرها بمعنى العلم والاطلاع المصحوب بالدقة والتمعن .

و«يَغْنَى» من مادة «غَيَّ» بمعنى العجز وعدم القدرة على المشي عند الانسان ، واستعملت ايضاً للدلالة على شمول العجز وعدم القدرة على انجاز عملٍ ما ، أو العجز عن بيان أمرٍ ما عن طريق التحدث للآخرين ، و«دَاءٌ عِيَاءٌ» المرض الذي لا علاج له سُمِّيَ بذلك لأنه متعب ومسبب للعجز .

وفسر (العي) بعضهم بـ «الجهل» ولكن هذا المعنى لا يناسب هذه الآية . ومن البديهي ان يُتَصَوَّرَ العجزُ وعدم القدرة في الاشخاص الذين تكون قدرتهم محدودة ، ولكن هذا غير مُتَصَوَّرٍ بالنسبة لله تعالى الذي لا حدَّ لقدرته فالعجز والتعب لامعنى لهما في هذا المورد .

وعلى آية حال فإنه من الممكن ان يكون هذا التعبير بياناً لخرافات اليهود الذين كانوا يقولون : إن الله بعد أن خلق السماوات والأرض عَيِيَ وتعَب ! فخصَّصَ يوم السبت للاستراحة ومنذُ ذلك الحين أصبح هذا الامر سنَّةً لهم .

وسخافة هذا القول من الواضح الى درجة أنه لا يستحقُّ أيَّ بحث .

وفي الآية الرابعة ومن خلال اجوبة متعددة لمنكري المعاد وللشخص الذي جاء عند الرسول ﷺ يحمل العظم الرميم الذي قال : ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ ، ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ .

وعند ما يكون الحديث عن السماوات فَمِنْ البديهي ان يراد منها جميع ما

تحتويه من سيارات ونجوم ومجرات . ونحن نعلم بأن الاكتشافات الاخيرة لعلماء الفلك تنصّ على ان منظومتنا الشمسية تقع ضمن مجرة درب التبانة المعروفة ، وقالوا : بأن هذه المجرة تحتوي على عدد من النجوم يبلغ مائة مليار نجمة ! والشمس التي نراها إحدى النجوم المتوسطة الحجم لتلك المجرة ! .
وقالوا ايضاً إنّ التلسكوبات العملاقة تمكنت حتى الآن من اكتشاف مايقارب المليار مجرة !

فلو ضربنا هذه الاعداد ببعضها لحصلنا اجمالاً على رقم هائل من تلك الأجرام السماوية ، مع العلم إن هذه الارقام هي ماتوصّل اليه علم البشر لحد الآن ومن الممكن ان نكتشف في الازمنة القادمة عوالم اخرى كثيرة مما يجعل ما اكتشف الآن بالنسبة لها شيئاً قليلاً لايعتدّ به . كل هذا كان بالنسبة للحديث عن السماء اما عندما يكون الحديث عن الارض فإنه يشمل جميع أسرارها وعجائبها ايضاً .
فهل يعجز ويكلّ خالق هذا العالم العظيم العجيب الذي يحتوي على نظام دقيق ان يُعيد خلق الانسان ثانياً ؟ !

والتعبير بـ « خلاق » (اي كثير الخلق) من الممكن ان يكون للدلالة على أن الله تعالى في حالة إيجاد الخلق على الدوام ، وفي حالة خلق موجودات جديدة في كل يوم ، وكذلك في حالة إفناء وإعدام مخلوقات اخرى في كل يوم ، من اجل هذا استخدمت كلمة « خلاق » بصيغة المبالغة .

ومن الممكن ايضاً ان يكون التعبير بـ « علیم » للدلالة على ان جمع ذرات البشر الذين يموتون ويصبحون تراباً وينتشر ترابهم في كل مكان ليس بأمر صعب على الله العالم المطلع على كل شيء ، كما أنه ليس من الصعب ايضاً محاسبتهم على اعمالهم التي ارتكبوها طيلة حياتهم (يجب الالتفات الى ان « علیم » صفة مشبهة ، وبما انها جاءت مقارنة لصيغة المبالغة خلاق فإنها هنا تفيد التأكيد) .

الآية الخامسة والاخيرة في هذا المجال تضع امام منكري المعاد دليلاً حسيّاً وتجريبياً ، قال تعالى مخاطباً الرسول ﷺ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوا كيف بدأ الخلق ثم الله يُنشئُ النشأةَ الآخرةَ ان الله على كُلِّ شئٍ قديرٌ ﴾ .

و « السير في الارض » يزيد الانسان علماً بمعرفة نشأة وظهور الحياة على الكرة الارضية ، وذلك لأن الموجودات الحيّة التي وجدت منذ ظهور الحياة على هذا الكوكب بقيت آثارها في طبقات القشرة الارضية والعلماء في هذا اليوم عن طريق مطالعة تلك الآثار يتوصّلون الى كشف الكثير من أسرار خلق الموجودات الحيّة . ومن الممكن ايضاً ان يكون الهدف من السير في الارض كشف أسرار تكوّن الكرة الارضية الذي يتم عن طريق فحص الطبقات المختلفة للارض والعناصر المختلفة الموجودة فيها .

ومن الممكن كذلك ان يكون دليلاً على الخلق الذي يتكرر وقوعه في كل يوم على الكرة الارضية ، ففي كل يوم تظهر الى الوجود موجودات حيّة كثيرة وتغيب عن الانظار موجودات اخرى .

فكيف يعجز عن إحياء الموتى الاله قادر على الإتيان بخلق كهذا وتطورات كهذه ؟ وهكذا اعتُبرت قدرة الحق المطلقة دليلاً على اثبات امكان إحياء الانسان ثانياً .

ولكن يبقى هناك احتمال ايضاً هو ان الآية المذكورة دليل على النشأة الأولى للانسان ، وقياس عقلي لاثبات الخلق المستأنف على الخلق الاول ، ففي هذه الصورة تكون الآية في رديف الآيات المذكورة سابقاً ، وعلى اي تقدير تكون دليلاً على نفس المدعى .

يبقى هناك تساؤل في أنّ القرآن الكريم كيف أمر البشر بالسير في الارض لاكتشاف أسرار ظهور الحياة عليها ، مع ان بداية ظهور الحياة على هذه المعمورة تعود الى مليارات خلت من السنين ولا يمكن مشاهدتها في هذا اليوم ؟ ولكن

الجواب عن هذا السؤال يتضح بصورة جلية من خلال التفسير الذي ذكرناه لهذه الآية آنفاً . فقد ذكرنا فيما سبق ثلاثة اجوبة على هذا السؤال « فتأمل » .

والجدير بالذكر التعبير عن المعاد هنا بـ « النشأة الآخرة » و « نشأة » كما قال الراغب : هي بمعنى إيجاد وتربية الشيء ، وهذا يدل على ان في يوم القيامة يوجد خلق جديد وتربية جديدة ايضاً .



ثمرة البحث :

هذا القسم من الآيات كان محاوره مع منكري المعاد ، وهذه الآيات تقول هلم هل ثبتت لكم قدرة الله المطلقة ام لا ؟ فإن لم تؤمنوا فالتقوا بنظرة فاحصة على عالم الخلق من السماوات والنجوم الثابتة والكواكب السيارة والمجرات والمنظومات السماوية ، ثم انظروا الى الارض ولما تحويه من عجائب وغرائب والى النظام المهيمن عليهما جميعاً .

فهل في ذلك شك بعد مشاهدة كل هذه الدلائل ؟ وهل يمكنكم ان تنكروا قدرة الله المطلقة ؟ ! فإن قبلتم بقدرته المطلقة فكيف تشكّون في مسألة المعاد وإحياء الموتى وتعتبرون ذلك من الامور العجيبة التي لا يمكن التصديق بها ؟ !

٣- آيات احياء الارض

إشارة :

الاحياء بعد الموت الحاصل لدى النباتات هو ظاهرة اخرى من ظواهر المعاد التي اشار اليها القرآن المجيد مرّات متعدّدة ، وقد رسم منها لوحة جميلة لاثبات هذا الأمر ووضعها امام أنظار الجميع .

فذلك المشهود الذي يتكرر حدوثه في كل عام أمام الملاء ، ونحن نشاهد ذلك مراراً بعدد السنين التي نعيشها في هذه الدنيا .

إن النظام الحاكم على الحياة والموت هو نظام موحد في كل الموارد ، فإن كان احياء الانسان بعد موته وتحوله الى تراب من المستحيالات فما بال هذه النباتات التي تموت وتنفسخ ثم تحيى مرّة اخرى ؟ !

وما بال هذه الارض الميتة تتحرك وتستيقظ من رقدتها بعد نزول المطر وتلبس ثوب الحياة وتخرج النباتات من تحت ترابها وتنمو وتُظهرُ ازهارها وتبتسم ورودها ؟ إن كل مشاهد الحياة تدل على أنّ هناك حشراً وحياةً جديدة .

إن القرآن استقطب انظار جميع البشر لهذا الامر ، والآيات الآتية من اهم النماذج لذلك ، فلنستمع لها خاشعين :

١ - ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾

(ق / ٩ - ١١)

٢ - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم / ١٩)

٣ - ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم / ٥٠)

٤ - ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحج / ٥ ، ٦)

٥ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت / ٩)

٦ - ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر / ٩)

٧ - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الاعراف / ٥٧)

جمع الآيات وتفسيرها :

هل رأيتم كيف يحيى الارض الميتة ؟ فهكذا النشور !
بدأ القرآن الكريم في الآية الاولى بشرح جذور الحياة الرئيسية أي قطرات
المطر ، قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَصِيدِ ﴾ .

فيشير القرآن الكريم بهذه الآية الى جميع بساتين الفواكه ومزارع الغلات
والبقول (١) .

ثم أشار الى النخيل الباسقات التي تحمل ثمرأ كثيراً وهذا النوع من النخيل
يعتبر من ارقى واكمل انواع النخيل ، فأضاف تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ
نَضِيدٌ ﴾ (٢) .

والجدير بالذكر انه ذكر النخيل الباسقات من جهة انها خلقت ونشأت من تلك
الارض الميتة ، وتلك البذور الصغيرة نمت واصبحت بهذه الهيئة العجيبة .
ومن ناحية اخرى اشار الى ثمارها المتراكمة التي تحملها في عنان السماء ،
تلك الثمار اللذيذة الغذية « الحيوية » ، وهذه الثمار تحتوي على انواع من المواد
الحيوية التي يحتاج اليها جسم الانسان (٣) .

واخيراً يأخذ بأيدينا الى هذه النتيجة ، إن الهدف من هذا ان تكون (رزقاً

(١) يجب الالتفات الى ان المراد من « حب الحصد » الحبوب القابلة للحصد (و « حصيد » بمعنى
« محصود ») .

(٢) « باسقات » جمع « باسق » اي المرتفع .

(٣) « الطلع » هو اسم ثمار النخيل في بدو ظهورها ، و « نضيد » بمعنى متراكم ، ومن الغرائب هو ان
الاشجار نادراً ماتحتوي على فواكه عنقودية الشكل والاكثر غرابه من ذلك ان عنايد ثمار النخيل ثقيلة .

للعباد) ، ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾^(١) (كذلك الخروج) .

إن هذه الآية تكشف عن حقيقة أنَّ خروج الانسان يوم القيامة تابع لتلك القوانين المهيمنة على النباتات والبذور والأشجار بفواكهها المتنوعة ، ذلك الأمر الذي نشاهده كل عام بأعيننا ، ولكن بما اننا اعتدنا على ذلك فإننا نعتبره أمراً عادياً ، وبما اننا لم نشاهد عودة البشر الى الحياة بأعيننا فإن البعض اعتقد بأن ذلك امر غير معقول واحياناً يعتقد بأنه من المحالات ، مع أن النظام المهيمن على الامرين واحد .

وفي الآية الثانية جاء بنفس المسألة ولكن بتعبير آخر ، قال تعالى : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ .

إن الفاصلة الزمانية التي ترونها بين الحياة والموت لا تكون أمراً يُعتنى به بالنسبة للذات المقدسة الإلهية ، فهو على الدوام يُخرج الحي من الميت وبالعكس . (يجب الانتباه الى ان « يخرج » فعل مضارع وهو يدل على الاستمرارية ، اي ان هذا العمل مستمر ودائم) على هذا فإن منظر نهاية هذا العام الذي هو عبارة عن خروج الموت من باطن الحياة ، وكذلك منظر المعاد الذي هو عبارة عن خروج الحياة من باطن الموت أمر مستمر ويتكرر وقوعه أمام أعيننا دائماً ولو على مستوى محدود ، فما المانع من ان تموت جميع الموجودات الحية بالمرّة ويُعاد البشر الى حياة جديدة في يوم الحشر ؟ أي أن يتحقّق قانونُ تبديل الموت بالحياة والحياة بالموت بصورة أوسع وأشمل مما عليه حالياً .

وأما بالنسبة لعروض الموت على الحياة فإنه أمرٌ بديهي وواضح لدى الجميع ، ولكن بما ان عروض الحياة بعد الموت يخفى على البعض ويحتاج الى شيء من

(١) جاء هنا بالصفة « ميتاً » بصيغة المذكر مع ان الموصوف « بلدة » مؤنث والسر في ذلك هو أن « بلدة » هنا جاءت بمعنى المكان .

التأمل فقد قال تعالى في ذيل الآية : ﴿ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ .

وجملة « كذلك تُخرجون » تشير بوضوح الى هذه الحقيقة انه لا يوجد هناك اي تفاوت بين القيامة الصغيرة التي تحدث في عالم النباتات والارض الميتة وبين تلك القيامة الكبرى الشاملة .

وبمجرد ان يتأمل الانسان قليلاً في هذا الموضوع فإنه سوف تزول كل الظنون الخاطئة والوساوس الشيطانية في امر المعاد عنه .



إن في كل لحظة تمرُّ على هذا العالم الواسع تفتقُّ فيها الآلاف الآلاف من البذور وتخرج منها براعم الحياة الاولى ، وفي كل لحظة تبدأ أراض واسعة بالحياة بعد ان كانت ميتة ، إنها سنة الله السرمدية والتي تُوحى في الآية الثالثة وبعد بيان كيفية تكوّن الامطار بعد تسير الرياح وتراكم الغمام على بعضها ، قال تعالى : ﴿فانظر الى آثار رحمة الله كيف يُحيي الارض بعد موتها﴾ ، ﴿ان ذلك محيي الموتى﴾ ، نعم إنه ﴿على كل شيء قدير﴾ .

و« آثار » جمع « أثر » . قال في « مقاييس اللغة » إن الأثر له ثلاثة معانٍ ، الشيء الذي له سابق ، والذكر الباقي بعد الموت ، وما بقي من رسم الشيء ، لكن بعض علماء اللغة حَصَرُوا معنى الأثر في المعنى الثالث ، وذلك لأن المعنيين الأولين ناتجان عن الآثار الباقية من اجل الفضيلة وعوامل علو الشأن .

والمراد من « رحمة الله » هنا هو المطر المفيض للحياة الذي يعتبر نموذجاً حياً وبيئاً للرحمة الالهية التي تتجلّى آثارها في كل مكان ، فهو يحيي الارض الميتة ويفيض بالحياة على القلوب الميتة ويهب النشاط والحياة للهواء الملوّث الميت وأخيراً يجود بنور الحياة على جسم الانسان .

واستعمال كلمة « ذلك » في الآية للإشارة إلى الله تعالى في حين انه يستعمل للإشارة إلى البعيد للدلالة على عظمة مقامه وعلى أنه لا تدركه العقول والأبصار .
والإتيان بـ « أن » التي تفيد التوكيد و « اللام » في « لمُحيي » الذي يفيد التوكيد أيضاً بالاضافة إلى « الجملة الإسمية » التي تفيد التوكيد كذلك ، كل هذا من اجل اثبات حقيقة إن الذي يحيي الارض الميتة عن طريق إنزال مطر رحمته باستمرار بإمكانه أن يُحيي أموات البشر ويعيد لهم الحياة من جديد .

واستعمال كلمة « انظر » تجلب الانتباه من جهة انها تشير الى ان مسألة المعاد أمرٌ حسيّ مشاهد ، ظاهرٌ للعيان دائماً ، فكيف تُنكرون ذلك او تتخذونه سخريةً ؟ !



وفي الآية الرابعة بعد أن ذكر المراحل التكاملية للنطفة في الرحم وبعد ذكر تطورات الجنين بأنها دليل واضح على مسألة امكان المعاد ، ينتقل إلى الحديث عن بذور النباتات التي تنمو في رحم الارض ، قال تعالى : (وترى الارض هامدةً) (١) .
(فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) .

إن القرآن المجيد كتاب عجيب حقاً ، فإنه عندما يريد ان يؤكد على إحدى الحقائق ويطبعمها في الاذهان ويكرر ذكرها يلقي عليها اثوابه بالوان مختلفة ، فيشعر الانسان عند سماع تلك الحقيقة كأنه يواجه حقيقةً غير التي سمعها سابقاً ويجد نفسه أمام صورة جديدة من صور تلك الحقيقة ، فلا يصبح تكرارها مملاً أو غير نافع له ، فالانسان يتلقى دروساً جديدة باستمرار ، ونحن نشاهد في مسألة احياء الارض

(١) « هامدة » من مادة « همود » قال الراغب في « المفردات » الهمود في الاصل بمعنى انطفاء النار (وذهب حرارتها ونورها) ، لكن عدداً من اصحاب اللغة والمفسرين ذكروا لها معاني اخرى ايضاً ، ومن جملة معانيها : الجفاف ، والسكوت ، والموت ، وصيرورة الشيء بالياً عتيقاً . وهذه المعاني جميعها يمكن ان تنطبق على هذه الآية ، فالارض تموت وتخمد وتطفأ في فصل الشتاء ، بينما تدب الروح فيها وتأخذ بالحركة في فصل الربيع وكأنها تصرخ !

الميتة في الآيات المعنيّة بالبحث نموذجاً لذلك .

ومن الجدير بالذكر ان القران الكريم في هذه الآية التي عطفها على مسألة التطورات الجنينية يؤكد على ان حياة الانسان والحيوان والنبات تقع جميعها تحت مقولة واحدة ، وكل نموذج نراه ونلمسه في هذه الثلاثة ، يكون دليلاً على إمكان المعاد لغيرها من المخلوقات فالتعبير بـ « ترى » كالتعبير بـ « أنظر » في الآية السابقة وكلاهما للتأكيد على ان قيامة النباتات امرٌ محسوس ومشاهد .

و« اهتزّت » من مادة « اهتزاز » المشتقة من « هزّ » بمعنى الحركة الشديدة ، وفسرها البعض بمعنى الحركة الجميلة الجذابة ، وقد جاءت هنا للدلالة على التغيرات الجميلة والحركات المختلفة التي تحصل بفعل نمو انواع النباتات التي تظهر على سطح التربة .

و« رَبَتْ » من مادة « ربوّ » وجاءت هنا بمعنى نمو الارض لانمو النباتات ، والمراد من نمو الارض هنا هو بروز اجزاء من التربة بفعل خروج النباتات وتوغل الجذور وظهور سيقان النباتات . اما الذين فسروا هذه الجملة بأنها تدلّ على نمو النباتات فإنهم في الحقيقة غفلوا عن مفاد الجملة المتأخرة عنها ، لأنه تعالى يقول : « وأنبتت من كل زوج بهيج » .



وتحمل الآية الخامسة في طياتها نفس محتويات الآية السابقة ولكنها تختلف معها بعدة امور : اولاً انها اعتبرت احياء الارض الميتة دليلاً على أصل التوحيد بالاضافة الى دلالتها على المعاد ، قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) ، (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وثانياً عبّرت عن الارض الميتة بـ « الخاشعة » ، قال في « الميزان » هي الارض

القاحلة ، وقد شَبَّهها هنا بالفقير الذليل المسكين الذي لا يملك شيئاً ، ثم شَبَّهها بعد نزول المطر بالذي أُوتِيَ مالا كثيراً ولبس افضل الثياب ، الذي يمشي بنشاط مرتفع الرأس مستقيماً تبدو آثار النعمة على وجهه^(١) .

وهناك امرٌ آخر يمكن ان نستفيده من هذا التعبير ودرس من دروس الاخلاق ، فكما ان الارض الخاشعة الخاصة تشملها رحمةُ الله فتحصل على كل آثار البركات والنمو والنشاط ، فإن عباد الله الخاشعين والخاضعين تنالهم رحمة الله الواسعة ايضاً ، وتظهر فيهم براعم العلم والايمان والتقوى .

ووردت هذه المسألة في الآية السادسة من خلال بيان كيفية نزول المطر ، قال تعالى : ﴿الله الذي ارسل الرياح فثيّر سحاباً فسقناه الى بلد مَيّت فاحيينا به الارض بعد موتها﴾ ، ﴿كذلك النشور﴾ .

وهذه الآية في الحقيقة من أدلة اثبات المبدأ تعالى ايضاً ، اي اثبات الذات المقدسة الالهية ، وفي نفس الوقت تستعمل دليلاً على المعاد . فهو يشير في البداية الى الآيات والأدلة على وجوده تعالى عن طريق بيان النظام الدقيق المهيمن على حركة الرياح والسحاب وسقي الارض الميتة وحيائها ، وأخيراً يشير الى دليل حي وعميق المعنى لاثبات المعاد .

وجملة ﴿كذلك النشور﴾ بالاضافة الى أنها تشبه إحياء الانسان بإحياء الارض الميتة ، ألا أنها من الممكن ان تكون دليلاً على سوق الارواح الى الابدان في يوم القيامة ويساق التراب المنتشر فيُجمع وتحلّ فيه الروح ، كما هو الحال في سوق الرياح للسحب وجمعها الى بعضها كي تتلاقح وتهطل ثمارها التي هي عبارة عن قطرات المطر .

وفي الحديث الشريف إِنَّ أَحَدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ قَائِلًا : كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَمَّا مَرَزَتْ بَوَادِي أَهْلِكَ مُمَجِّلاً ثُمَّ مَرَزَتْ بِهِ يَهْتَرُ خَضِرًا ؟)^(١) فَقَالَ الصَّحَابِيُّ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَقَالَ ﷺ : فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَتِلْكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ^(٢) .



وفي الآية السابعة والاختيرة تحدّث أيضاً عن ارسال الرياح واعتبرها بُشْرًا عن نزول مطر رحمته ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَرْسُلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سَقْنَاهُ لَبَدًا مَّيِّتًا فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾^(٣) .
وبعد ذلك مباشرة قال تعالى : ﴿ فَاخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وجملة « لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » جاءت للدلالة على ان الله يريكم هذه المشاهد في هذه الدنيا كي يثبت لكم وجوده تعالى من ناحية ومن ناحية اخرى يُثَبِّتَ لكم ان هناك معاداً وقيامة في العالم الآخر .

والعجيب ماجاء في الحديث المنقول عن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَقَفْوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ^(٤) .

ويُستفاد من كلمات بعض المفسرين بأنّ ذلك المطر ليس كالمطر المعتاد ، بل

(١) «محل» من مادة «محل» على وزن نخل ويعني سنة الجفاف وانقطاع الامطار . وموت النباتات (مجمع البحرين / مادة محل) .

(٢) تفسير القرطبي وروح البيان في ذيل هذه الآية .

(٣) يجب الانتباه الى ان «سحاب» تفيد الجمع من جهة المفهوم لذلك جاءت الصفة «ثقال» بصيغة الجمع . لكنّها من جهة اللفظ مفردة لذلك جاء الضمير في «سقناه» مفرداً .

(٤) تفسير القرطبي الجزء ٤ الصفحة ٢٦٦٧ .

له شبه بماء النطفة التي يتكوّن الانسان منها ! ويستمرّ هطول هذا المطر مدّة اربعين يوماً ، فيؤثّر في اجزاء الانسان الميّتة بشكل عجيب وينفخ فيها الروح .

جواب لسؤال :

أعطى القرآن المجيد في الآيات المذكورة اعلاه جواباً قاطعاً لمنكري المعاد وذلك عن طريق مثال حسيّ واضح ، وجعل « الشاهد » دليلاً على « الغائب » و « اليوم » دليلاً على « الغد » .

وذلك لأنّ الارض الميّتة تحيي في كل عام مرّة أو مرتين أو اكثر بفعل هطول مطر الرحمة الالهية ، بل يمكن القول بأن هذا الأمر يتكرر وقوعه في كلّ يوم في العالم ، فينبت في كل يوم نبتٌ جديد في الارض الميّتة ، وتظهر في كل يوم ظاهرة المعاد امام نظر الانسان .

ومن هنا يطرح هذا السؤال إن العلماء المعاصرين أتفقوا على ان جميع التجارب أعطت نتيجة واحدة هي ان الموجودات الحيّة لا تولد الا من موجودات حية أخرى ، فإن لم توجد في الارض بذور نباتية فسوف لن يكون نزول المطر مؤثراً ابداً .

ومن ناحية اخرى إن البذور تتكوّن من قسمين وأحد هذين القسمين والذي يعتبر القسم الاكبر من البذرة يشكّل المادّة الغذائية فيها ، والقسم الآخر أي القسم الاصغر من البذرة عبارة عن خلية حيّة ، وهذه الخلية اذا توفرت لها الظروف المساعدة (على الأخص الماء) فإنها سوف تنمو وترعرع بواسطة التغذي على المادة الغذائية الموجودة في البذرة والمواد الموجودة في التربة ، فإذا ما عُدّت هذه الخلية الحية فإنه من المستحيل ان تحيي الارض الميّتة .

وللجواب على هذا نقول : إنّ هذا مما لاشكّ فيه ، وهو كما تقولون وإن تلك

الخلية الحية الصغيرة تتغذى على الاجزاء الميتة التي تمتصها من التربة وتحولها الى جسم حي وموجود حي (فتأمل) .

وبتعبير آخر إن النخلة التي يصل وزنها احياناً الى طن واحد كانت في البداية خلية صغيرة تأخذ مكانها في النواة ، ووزنها لا يتعدى مثلاً الملي غرام الواحد ، ثم بعد ذلك امتصت ما يقارب الطن الواحد من المواد الميتة الموجودة في التربة والماء والهواء التي تعتبر جميعها موجودات غير حية ، فأعطت الحياة لجميع هذه الموجودات ، وهذا في الواقع هو معنى تبديل الارض الميتة الى موجودات حية . والجدير بالذكر ان القرآن الكريم يقول : تُحْيِي الارض الميتة (ولا يقول تُحْيِي الاشجار والبذور الميتة ، لأن هذه لم تمت بالكامل) اي ان هذه الارض الميتة اصبحت جزءاً من بدن النباتات والشجر ثم تبدلت الى خلايا حية .

ومن البديهي إننا لو امعنا النظر في ظهور الحياة على الكرة الارضية لصار الامر اكثر وضوحاً ، لأن الارض بعد انفصالها عن الشمس كانت كتلة من النار ولم يوجد اي موجود حي في ذلك الحين طبعاً . ولكن بعد ان بردت الارض واصبحت مستعدة لاستقبال الموجودات الحية وهطلت الامطار بغزارة عليها فبردت الارض بفعل هطول المطر اكثر وأعدّها ذلك المطر لاستقبال الحياة فظهرت آنذاك أول براعم الحياة النباتية التي لم يكتشف لحدّ الآن سرّ ظهورها ، وبقي هذا السرّ مخفياً عن العلماء وكأنّ ظهورها من تلك المواد الميتة التي تحتوي عليها التربة ، وبهذا النحو غمرت الحياة تلك الموجودات الميتة (فتأمل جيّداً) .

٤- التطورات الجنينية

تمهيد :

الطريق الآخر الذي سلكه القرآن في آيات متعددة لاثبات «امكان المعاد» هو طريق التغييرات التي تطرأ على «النطفة» منذ استقرارها في عالم «الرحم» العجيب حتى مرحلة الولادة . وكل مرحلة من هذه المراحل في الحقيقة هي حياة جديدة ونموذج من نماذج المعاد ! فالمراحل الكيفية لهذه التطورات كثيرة جداً ، مما تثير مطالعتها ومشاهدتها تعجّب الانسان وتجعله يفرق في التمعّن في كيفية هذا التحول العجيب الذي يطرأ على النطفة الحفيرة في هذه المدّة الوجيزة .

من هنا تعتبر هذه التحولات العجيبة التي لا تتوقف في آنٍ ما دليلاً على وجود باري هذا العالم القادر ، الذي اوجد جميع هذه العجائب في ظلمات الرحم الثلاث ، ومن ناحية اخرى فإن هذه التحولات لها شَبَهٌ كبير بمسألة الحياة بعد الموت ، والقرآن المجيد في كلا الامرين (امر التوحيد وامر المعاد) يعتمد على هذه الآيات والدلالات . وحقاً إنّ مثل هذه الظاهرة تستحق ان يُعتمدَ عليها بهذا الشكل .

بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن المجيد ونستمع خاشعين للآيات التي

وردت في هذا المجال :

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن

نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ... * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي
الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴿ (الحج / ٥ ، ٦)

٢ - ﴿ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِ * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى * اليس ذلك بقادرٍ على ان يحيى الموتى ﴾

(القيامة / ٣٧ - ٤٠)

٣ - ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نَظْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَإِنَّ عَلَيْهِ
النَّشْأَةَ الْآخِرَى ﴾ (النجم / ٤٥ - ٤٧).

٤ - ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا كَفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ (عبس / ١٧ - ٢٢)

٥ - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرار
مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكُسَوْنَا
العظام لحماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَعِيَّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون / ١٢ - ١٦).

جمع الآيات وتفسيرها :

إن شككتكم بأمر القيامة فانظروا الى الجنين ا

فالآية الاولى في هذا الباب هي نداء لجميع البشر ، البشر الذين لا يحدّهم
زمان ولا مكان ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ .

فهو يشير الى اربع مراحل من خلق الانسان (وهي مرحلة التراب ، ثم النطفة ، ومن بعدها العلقه ، ثم المضغة ، وكل مرحلة هي بنفسها تعتبر عالماً عجيباً وصعب المنال) .

ثم يواصل البيان فيقول تعالى : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . واخيراً وبعد سلوك هذا الطريق الوعر ﴿ ثم نخرجكم طفلاً ﴾ .

بعد ذلك يبيّن المراحل المختلفة لحياة الانسان في هذه الدنيا ، ثم يلتفت الى عالم النبات ويأتي بمثال آخر من امثلة استقرار البذور النباتية في رحم الارض ويشير الى احياء الارض الميتة بواسطة المطر فيضيف تعالى قائلاً : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

فهو يسلط الاضواء على البعد التوحيدي لهذه الظواهر المهمة للوجود حيناً ، ويُسلطُ الاضواء على بُعد المعاد حيناً آخر .

وفي هذه الآية توجد اشارات دقيقة ولطيفة تساعدنا على التوصل الى هذه الغايات وهي :

١ - مع إنّ منكري المعاد يقطعون بنفي المعاد الا ان القرآن يخاطبهم بالقول : « إن كنتم في ريبٍ ... » وهنا يدل على أنّه لا يوجد هناك اي دليل على انكار هذه الحقيقة ، واكثر ما هنالك هو انكم من الممكن ان ترتابوا في امر المعاد ، ومن الواضح ان المرتاب ما عليه الا الفحص والتحقيق لا الانكار ! .

والجدير بالذكر هنا أن « ريب » جاءت بصورة النكرة ، وفي هذه الموارد تأتي لبيان حقارة الامر ، أي إنّ شككم في هذا المجال هو شكٌ سقيم ولا يُعتدُّ به ايضاً ، لأن أدلة المعادٍ نشاهده جلية التردّد .

٢ - قد يكون شروع الآية بالحديث عن خلق الانسان من التراب اشارة الى خلق ادم عليه السلام أو جميع الناس منه ، لان اصل المواد التي تشكل القسم المهم من جسم الانسان من التراب ، وعلى اي حال ان خلق الانسان من تراب دليل واضح

على امكان احياء الموتى .

٣ - الحديث في هذه الآية كان اولاً في خلق الانسان من التراب ، وبعد ذلك تحدث من مسألة « البلوغ الجسمي والروحي » ثم تحدث عن « الكهولة والمشيب » فيصبح عدد تلك المراحل المختلفة سبع مراحل ، وإن كان هـدفنا هو تلك المراحل الخمس الاولى التي تعتبر كل واحدة منها حياة جديدة وولادة جديدة ومنظر من مناظر المعاد .

٤ - وجملته « لنبيّن لكم » هي تعبيرٌ منهم ، ضمن الممكن ان يكون المراد من البيان هو بيان علم وقدرة الخالق ومسألة التوحيد ، كما أنه من الممكن ان يكون المراد هو بيان مسألة المعاد والحياة بعد الموت .

٥ - الجدير بالذكر هو ان جميع هذه التحولات العظيمة والعجيبة التي تطرأ على الجنين في تلك المرحلة والفاصلة الطويلة التي تجتازها تلك الذرة الصغيرة وهي النطفة للوصول الى الانسان الكامل تحدث كلّها في زمانٍ قصير جداً وهو مايقارب التسعة أشهر ، فلو دَوّنت عجائب تلك المراحل على الورق لأمكننا القول بصراحة بأن مطالعتها تحتاج الى زمانٍ اكثر من زمان تلك التطورات وهو التسعة اشهر . فهل من الممكن ان يرتاب ويشك احدٌ في مسألة امكان المعاد بعد ان تُعرض عليه مثل هذه الادلة الواضحة ؟

وفي الآية الثانية جيئ بنفس هذا المعنى ولكنها أتت بـقالب آخر وهي في الحقيقة بيان لما جاء في بداية سورة القيامة في قوله تعالى : « أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ؟ ! »

فإنه تعالى يتحدّاهم ويقول لهم ماذا تظنون ؟ ﴿ أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخُلِقَ فُسْوًى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ . ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ

على ان يُحيي الموتى» .

فهو يكتفي في هذه الآية بذكر أربع مراحل لتطورات الجنين فقط : مرحلة النطفة ، فالعلقة ، فتسوية الاعضاء ، وظهور جنس الجنين ذكراً هو أم انثى .

و « النطفة » على ما قاله بعض اصحاب اللغة هي بمعنى الماء الصافي ، ولهذا اطلقوا كلمة « نَطَفَ » على اللؤلؤ^(١) .

لكن البعض فسروها بمعنى الكمية القليلة من ماء ، أو ماتبقى من الماء في الاناء^(٢) .

وصرح البعض الآخر ايضاً بأن النطفة هي بمعنى الماء الصافي ، قليلة ام كثيرة^(٣) .

وبالعوض الاخر اعتبر هذه المعاني كلها جزءاً من معاني النطفة ولكن الفرق هو أن « النُطْفَةَ » بمعنى الماء الصافي أو الماء القليل و « النُطْفَةَ » بمعنى اللؤلؤ . ومن الجدير بالذكر طبقاً للتحقيقات التي اجراها مؤخراً بعض العلماء هو إن هذا الماء القليل الذي يسمى « بالنطفة » مركب من مياه مختلفة ترشح من غدد مختلفة في الجسم ، فقسم منه يترشح من البيضتان التي تحتوي على مادة « الاسبرماتوزويد » ، وقسم آخر يترشح من اكياس البيض التي توجد بالقرب من غدة « البروستات » ، والقسم الثالث يترشح من نفس غدة « البروستات » فيستمد شكله الظاهري ورائحته الخاصة من تلك الغدة والقسم الرابع يترشح من عدد « الكوبر » وغدد « الليترة » اللتان تقعان جنب حجاري الادرار .

وهذه المياه الخمسة تختلط مع بعضها بنسب دقيقة ومبرمجة وتشكل مادة الحياة ومكتشف هذه المعلومات عالم فرنسي شُغف بحب القرآن والاسلام وكتب

(١) مقاييس اللغة ومفردات الراغب .

(٢) لسان العرب .

(٣) قاموس اللغة ومجمع البحرين ولسان العرب .

كتاباً في هذا المجال ، ويعتقد هذا العالم بأن كلمة « امشاج » (اي مختلط) التي ورد ذكرها في القرآن كان محتواها خفياً على الناس والعلماء « إقتبست هذه العبارات من كتاب (المقايسة بين التوراة ، والانجيل والقرآن والعلم) تأليف الدكتور بوكاري وترجمة المهندس ذبيح الله دبير (ص ٢٧١) .

وعلى أي حال فإن اطلاق هذه العبارة على الماء الذي يتدفق من الرجل عند ممارسته العملية الجنسية هو من اجل التناسب الواضح الموجود بينها وبين المعنى الرئيسي .

و « مَنِي » من مادة « مَنِي » (على وزن مَنَع) وهي بمعنى تعيين العقابة والتقدير ، لذلك أطلقوا « المنية » على الموت و « الأمنية » على الآمال ، والسبب في اطلاق هذه الكلمة على الماء الذي يخرج من صلب الرجل لانه قُدِّر له ان يكون انساناً^(١) .

بناءً على هذا يكون مفهوم جملة « أَلَمْ يَكْ نطفةً من مني يُمنى » هو : ألم يكن الانسان في بدايته ماءً مهيناً قُدِّر أن يُخلق الانسان منه^(٢) ؟

إن كل مرحلة من المراحل الاربع التي بُيِّنَت في هذه الآية نموذج واشعاع جديد من الحياة الدنيا والحياة بعد الموت ، ومن الممكن ان تكون كل مرحلة دليلاً واضحاً على قدرة الخالق من جهة ، ودليلاً على امكان مسألة المعاد والحياة بعد الموت من جهة اخرى ، على الخصوص في مجال تعيين جنس النطفة من ذكرٍ أو أنثى إن المسائل المتعلقة بعلم الجنين من اعقد واعجب المسائل ، والقانون المهيمن على هذا العلم لم يتضح لحد الآن حتى لدى الحاذقين من العلماء ، وكل ما لدينا من العلم ان مسألة تشخيص جنس الجنين في رحم الام غير ممكن ابدأً ،

(١) تاج العروس في شرح القاموس .

(٢) لكن عدد من المفسرين لم يرتضوا بأن يكون معنى « يُمنى » هو التقدير ، بل فسروها بمعنى تدفق ذلك الماء في الرحم على أية حال فإن « من » هنا بيانية لاتبعيضية .

ولا يتميز إلا بعد وصول الجنين إلى المراحل النهائية من الحمل ، ونحن نعلم أيضاً بوجود قوانين دقيقة تهيمن على تلك الأمور هذه القوانين التي توجد التعادل والتقارب بين تعداد كل من الجنسين . لكن جزئيات وتفاصيل تلك الامور ظلت مستترة وراء حجاب الابهام .

فلو افترضنا أن في كل عشر ولادات تسع منها اناث وواحد منها ذكر او بالعكس ، فما اعجب تلك الفوضى المرعبة وذلك الصراع الشديد الذي سوف يحدث في المجتمع البشري !



وفي الآية الثالثة بعد ان بين الله تعالى قدرته قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ، مِنْ نَظْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَىٰ﴾ .

فالقرآن وإن لم يصرح بهذه الحقيقة وأنه يمكن أن نتوصل إلى اثبات النشأة الآخرة عن طريق المقايضة بينها وبين تطورات الجنين ، إلا أنه يمكننا عن طريق ارتباط الآيات فيما بينها أن نجعل الأمر الأول دليلاً وشاهداً على الأمر الثاني كما انتبه إلى ذلك بعض المفسرين أيضاً^(١) .

و « النشأة الآخرة » بمعنى « الایجاد الآخر » والمراد منه برأي الاكثرية الساحقة من المفسرين « الحياة الاخرى » لكن البعض أصرَّ على أن المراد منه مرحلة نفخ الروح في الجنين وجعلوا آية ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون / ١٤) دليلاً على مدعاهم الآنف .

لكن عند مراجعة هذا التعبير : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النُّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ (أو ما شابه هذا التعبير) في آيات أخرى من القرآن يتضح لنا جلياً أن المراد من النشأة الآخرة يوم القيامة ، فقد جاء في الآية ٦٢

(١) في ضلال القرآن الجزء ٧ الصفحة ٦٣١ .

من سورة الواقعة : ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون﴾ .

وفي الآية الرابعة وردت هذه الحقيقة ايضاً وبشكل آخر وبصورة اجمل واوجز واوضح ، قال تعالى : ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا كَفَرَهُ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ .

وفي هذه الآيات أشار أولاً الى خلق الانسان من نطفة ، ثم اشار الى تكامل الجنين اشارة مبهمه ، بعد ذلك أشار الى مسألة الموت ، ثم الى الحياة بعد الموت . اما العلاقة والرابطة الموجودة بين هذه المسائل فهي امكان الاستدلال بكل واحد من هذه الامور على اثبات الامر الآخر .

وهنا توجد عدّة امور تجلب الانتباه :

١ - إنّ جملة « خلقه فقدره » جملة عميقة المغزى ، فقد صُبّت فيها جميع مراحل تطورات الانسان في مرحلة الحمل ، فالتقدير في أصل وجوده ، وفي أعضاء بدنه ، وفي تركيب أجزائه ، وفي متطلباته المتعددة وفي الفواصل الزمانية المختلفة التي عليه ان للوصول الى مراحل تكامله ، إن الله تعالى قدّر كل ذلك له ، ووضع له نظاماً متقناً .

بناءً على هذا جيء بجملة « خلقه » للدلالة على المرحلة الاولى لخلق الانسان من النطفة ، وبجملة « قدره » للدلالة على جميع المراحل التي تلي فيما بعد .

٢ - وجملة « ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ » ايضاً من الجمل العميقة المغزى ومن الجمل الجذابة التي يمكن ان تكون دليلاً على الامور الآتية :

يُسَرُّ طريق الولادة امامه بعد خوض مراحل التكامل ، فالجنين الذي يكون رأسه الى الاعلى في حالته الطبيعية يتغير وضعه فجأة ويتدلّى رأسه الى الاسفل ، وذلك لإعداده للولادة الطبيعية وفي نفس الوقت ترتخي عضلات الأم الموجودة في

طريق الولادة وتتهيأ لوضع هذا المولود ، ثم يتسلط الضغط على الجنين من جميع انحاء الرحم كي يتيسر عليه طريق الخروج من الرحم ، ثم يتمزق فجأة الكيس المملوء بالماء الذي كان يسبح فيه الجنين ايام الحمل العادية فيترطب مسير الخروج المعد للمولود . وخلاصة الكلام إن جميع الأمور تُعد وتيسر له من أجل دخوله الى دنيا جديدة .

ومن جهة اخرى اودعه الله العقل وانواع الغرائز ، وكل واحد من هذه الامور يفتح امامه الطريق لشق الحياة .

ومن ناحية اخرى ارسل اليه الرسل والكتب السماوية كي يتيسر له سبيل الطاعة وعبادة الله وطريق سعاداته .

اضافة الى ذلك دل هذا التعبير على أن الانسان خُلِقَ مريداً ومختاراً في تصرفه ، لأنه تعالى لم يقل وسلكناه السبيل بل قال يَسِرنا له السبيل ، فهو مختار في سلوكه .



وفي الآية الخامسة والاخيرة اشار الى مراحل تكامل الجنين ايضاً بصورة مفصلة ، بل جاء هنا بتفاصيل اكثر مما جاء في جميع الآيات التي تحدث فيها عن ذلك فتعرض هذه المرة على جزئيات جمّة ، قال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (الرحم) ، ثم خلقنا النطفة علقة (دم متخثر) فخلقنا العلقة مضغة (تشبه اللحم الممضوغ) فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً) .

وبعد ان بين المراحل الخمس (النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم) أشار الى امر آخر والذي يعتبر من أهم المراحل وهو مرحلة نفخ الروح الانسانية ، فقال تعالى : ﴿ ثم انشأنه خلقاً آخر ﴾ ﴿ فتبارك الله احسن الخالقين ﴾ .

وجملة « فكسونا العظام لحماً » لم تُذكر ضمن مراحل تكامل الجنين إلا في هذه الآية التي كشفت الستار عن أهمية خلق العظام .

ولقد ثبت حديثاً بأن العظام لا تكون هيكلًا لحفظ استقامة البدن وحفظ أعضاء الانسان فحسب ، بل إنّ في عهدها أهمّ الوظائف الحياتية والبايولوجية للبدن .

فالعظام تحتوي على جميع ما يحتاجه الجسم من قبيل الفسفور والكالسيوم والاملاح الاخرى ، التي تنظم الاعمال الحياتية لجسم الانسان وضربات القلب وتقويم حركة العضلات . والأهمّ من ذلك ان العظام تُقدّم للجسم ما يحتاجه من كريات الدّم الحمر والبيض طيلة عمر الانسان ! ويكفي ان نعلم بأن في الدقيقة الواحدة يموت ما يقارب (١٨٠) مليون كرية حمراء وان العظام تملأ الفراغ الحاصل من موت هذه الكريات بواسطة كريات جديدة ونشطة ^(١) .

والجدير بالذكر أنّ بعض المفسرين قالوا لقد ثبت حديثاً إنّ أوّل ما يظهر من الجنين هو خلايا العظام ، ثم خلايا اللحم ، وهذه الحقيقة رفع القرآن الستار عنها قبل أربعة عشر قرناً عندما لم يكن لأحد علم بها ^(٢) .

والتعبير بـ « الكسوة » عن اللحم هو تعبير جميل وجذاب ، فالملابس تُجمل جسم الانسان وفي نفس الوقت تحفظه من اضرار مختلفة ، والعضلات كذلك فلو عُدِمَت وبقيت العظام لوحدها فما أقبح منظرها ! ومن ناحية اخرى إنّ العظام تتأثر بأدنى ضغط يرد عليها من اى جانب وتصاب بعطب كبير جرّاء ذلك ، والذي يحفظ العظام تلك الملابس التي هي العضلات .

وهذا التعبير « ثم انشأناه خلقاً آخر » الذي ورد ذكره بعد مرحلة تكامل الجنين لم يأتِ إلا في هذه الآية من القرآن . وهذا البيان العجيب وإن كان قد ذكّر سابقاً إلا أنّه يختلف كثيراً عن ذلك ، ذلك لأنه سُمّي هنا « خلقاً آخر » ، حيث يرى

(١) (قرآن برفرار اعصار) الصفحة ١٨٧ .

(٢) في ضلال القرآن الجزء ٦ الصفحة ١٦ .

اكثر المفسرين على أن هذه الجملة جاءت للدلالة على خلق الروح ، لأننا نعلم بأن الجنين من يومه الاول وحتى يبلغ ما يقارب الشهر الرابع من الحمل اكثر ما يشبه النبات ، فهو ينمو بسرعة من غير ان يمتلك اي حيز او حركة ، ثم تبدأ الاعضاء المُعَدَّة لادراك الحقائق بالظهور تدريجياً وهذا التحول المفاجيء (الذي يشبه الطفرة) ظلّ مبهماً على جميع العلماء ولا يعلم ما يطرأ على الجنين حينما ينتقل من مرحلة الى اخرى الا الله العالم القادر .

على اية حال إنّ اجتياز هذه المراحل خلال هذه المدة الوجيزة دليل على عظمة مبدأ عالم الوجود الذي هو الله احسن الخالقين ، وفي نفس الوقت دليل على اثبات وقوع الحياة بعد الموت التي أشير اليها في ذيل تلك الآيات .



ثمرّة البحث :

من خلال الآيات المذكورة التي صورت مراحل تكامل الجنين ووضعتها امام انظار الانسان الذي من طبيعته ان يكون باحثاً نحو الحقيقة ، أُجيب منكري المعاد بوضوح ، وهذه المراحل في الواقع تُعْتَبَرُ كل واحدة منها حياةً جديدة ومظهراً من مظاهر المعاد ، ويكفي التمعّن في مرحلة واحدة من هذه المراحل في اثبات هذه الحقيقة .

٥ - المعاد في عالم الطاقة :

تمهيد :

عندما تموت الموجودات في هذا العالم الواسع تُخلف وراءها بقايا وآثاراً دائماً ، لكنّ موت الطاقة امرٌ عجيب ، لأنها في الظاهر عندما تموت تفنى كلياً ولا يبقى لها أيّ اثر ، فلو اخذنا الشمس مثلاً لذلك لوجدنا ان ضوءها وحرارتها هما عبارة عن طاقة تبثّها نحو كرتنا الارضية والسيارات الاخرى التابعة للمنظومة الشمسية ، وبعد الاشعاع تفنى تلك الطاقة ولا يبقى لها أيّ اثر ، وإذا لم يستمر منبع الاشعاع اي الشمس على ممارسة برنامجه ، فإنّه سوف يفنى كل نورٍ وضياءٍ وتفنى الحرارة .

لكنّ العلم الحديث اثبت بأن الطاقة ايضاً لا تفنى بالكامل ، بل تخمّل وتحوّل من حالة الى اخرى . وعندما تتوفر الظروف المناسبة فإنّها تعود ثانياً وتبعث من جديد بصورة عظيمة .

والمثير للدهشة هو ان القرآن المجيد من اجل اثبات مسألة امكان المعاد يعتمد على هذه المسألة ، ويتخذ من معاد الطاقة الضوئية والحرارية في هذا العالم دليلاً على القيامة العظمى الحاصلة للبشر في العالم الآخر .

وبعد هذه الاشارة الوجيزة نذهب الى آيات القرآن ونستمع لها خاشعين كي

تَنْضَحَ لَنَا تِلْكَ الْحَقِيقَةُ :

- ١ - ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (يس / ٧٩ - ٨٠)
- ٢ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة / ٧١ - ٧٣)

جمع الآيات وتفسيرها :

استئناف عَوْدِ الطاقة يتجدد امام انظارنا !

في اواخر سورة « يس » هناك بحوث جامعة ومتنوعة وعميقة في مجال المعاد ، وأحد هذه البحوث البحث عن معاد الطاقة .

لقد أجاب القرآن على شبهة من كانوا يتعجبون من امكان اعادة العظم الرميم الى الحياة بعدة أجوبة ، فقال تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ .

وهذا القسم من الأجوبة يتعلق بمقايضة المعاد بالنشأة الاولى التي بحثناها سابقاً .

ثم يضيف تعالى بعد ذلك ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ .

ومن البديهي أن يكون هذا البيان دليلاً على مسألة المعاد وان يكون جواباً آخر لمنكري المعاد .

ولكن كيف يكون ذلك ، وبأي بيان يتم ؟

للمفسرين عدّة آراء في هذا المجال هي :

١ - الكثير من المفسرين اعتبروا هذه الآية اشارة الى الشجرتين المشهورتين لدى العرب وهما « مَرَّخ » و « عَفَّار » وكان العرب يستخدمونهما لايقاد النار بدلاً من الكبريت المستخدم في عصرنا الحاضر ، فكانوا يضربون الخَشْبَتَيْنِ ببعضهما بشدّة ليحصلوا منها على قدحة او شرارة ليتمكّنوا بواسطتها من ايقاد النار ، وفي الحقيقة كانوا يستخدمون ذلك بدلاً عن حجر القدحة الذي كان يُستخدم في العصور الغابرة .
فالقرآن يقول إنّ الذي يقدر على ان يُخرج النار من تلك الخشبتين الخضراوين بإمكانه ان يحيي الموتى ، فمن يتمكّن من جمع النار مع الماء كيف لا يتمكّن من خلق الحياة بعد الموت ؟ الا يشبه التضادّ بين « الحياة » و « الموت » التضادّ بين الماء والنار ؟

٢ - وتجاوز آخرون هذا الحدّ فقالوا : إن خاصية ايقاد النار لانتحصر بخشب تلك الشجرتين (مَرَّخ وعفّار) ، بل نعمّ جميع أشجار العالم ، ولكنها تشتدّ في أخشاب تلك الشجرتين ، لذا جاء في المثل العربي : « في كلّ شجرٍ نار » !
فخلاصة الكلام أنّ أخشاب الأشجار عندما تصطدم ببعضها بقوة تخرج منها شرارة من النار ، وهذا الامر يصدق حتى في اخشاب الاشجار الطريّة ! من أجل هذه الظاهرة تحدث حرائق هائلة ومرعبة في الغابات من دون ان يكون للانسان ايّ تدخل فيها .

وهذه الحرائق تحدث بفعل الرياح الشديدة التي تضرب أغصان الاشجار ببعضها بشدّة فتسقط شراراتها احياناً على اوراق الشجر الجافّة فتحرقها ، ثم تتسع بعد ذلك رقعة النار بسبب هبوب الرياح ، فنرى فجأةً التهام النار لمناطق شاسعة من الغابات .

وأمّا تفسير هذه الظاهرة من وجهة نظر العلم الحديث فهي جليّة وواضحة ، لأننا نعلم بأن الاشجار ليست الوحيدة التي تولّد شرارة من النار عند ارتطامها بقوة بل

تتولد شرارة كهربائية من ارتطام كل جسمين ببعضهما ، وهذه النار موجودة في جميع ذرات العالم المادي حتى في باطن الاشجار الخضراء .

إنه امرٌ عجيبٌ حقاً ، فما القدرة التي تخلط النار في الماء ؟ ومن اصلح فيما بين هذين العدوين اللدودين اللذين عرّفهما القدماء بأن طبع احدهما بارد رطب والآخر حار جاف ؟ فهل يكون الاصلاح بين الموت والحياة امرٌ عسير على هذه القدرة ؟ او هل يصعب على هذه القدرة ان تجعل احدهما في مكان الآخر ؟ !

وبتعبير آخر : هل يمكن لأحد ان يجمع النار والماء في مكان واحد بحيث لا يُطفئ الماء النار ولا تُحرق النار الشجر ، وهل يكون احياء الشجر اليابس ثانياً أمراً عسيراً ؟ !

٣ - وهناك تفسير آخر لهذه الآية قد خفي على المفسرين السابقين ، لكنه اصبح واضحاً لنا بعد تطور العلم الحديث ، ومن المحتمل ان يكون أنسب التفاسير ، هو : إن الاشجار خلال فترة حياتها تمتص ضوء وحرارة الشمس باستمرار وتذخرهما في باطنها ، وعندما تُحرق الخشب الجاف تنبعث الحرارة والضوء اللتان امتصتهما الشجرة في مدة طويلة وتنفذ في مدة وجيزة ونستفيد نحن منهما ، اي ان الطاقة الخاملة تعود في هذه القيامة وتُظهر وجودها ، فبناءً على هذا نحن نرى منظر المعاد امام اعيننا كلما أجبنا ناراً !

وتوضيح ذلك : إن « السليلوز » يشكّل المادة الرئيسية للاشجار ، وهو مركب من « الكربون » و « الاوكسجين » و « الهيدروجين » .

فالنباتات تحصل على الاوكسجين والهيدروجين من الماء . وتحصل على الكربون من الهواء ، اي انها تأخذ ثاني أوكسيد الكربون الذي هو عبارة عن تركيب من الاوكسجين والكربون وتحلل ذلك المركب فتحتفظ بالكربون وتطلق الاوكسجين ، ثم تصنع الخشب بواسطة تركيب الكربون مع الماء .

ومن الجدير بالذكر هنا بناءً على القواعد المتبعة في علم الكيمياء إن الكثير

من التركيبات الكيميائية لا تتم إلا عند توفر نوع من انواع الطاقة ، والاشجار ايضاً تتبع هذا القانون وتستخدم ضوء وحرارة الشمس في انجاز التركيبات الكيميائية (فتأمل).

على هذا فالاشجار عندما تنمو وتكبر وتقوى سيقانها يوماً بعد يوم فإنها تدخر كمية كبيرة من الطاقة الشمسية في داخلها تلك هي الضوء والحرارة التي تظهر عند احتراق الخشب . فنفس تلك الطاقة المدخرة التي قد خَمَلَتْ في الظاهر تعود مرة اخرى من خلال معادٍ موزون ودقيق .

والدليل الذي يؤيد هذا التفسير التعبير الوارد في القرآن لبيان هذا الامر وهو جملة « فإذا انتم توقدون » .

ولنر ما المراد من كلمة « وقود » لغوياً ؟ .

بناءً على تصريح اكثر كتب اللغة أن « الوقود » بمعنى الحطب أو الشيء المحترق^(١) .

بينما اطلقوا على الاشياء التي تُوجد القدحة اسم « الزند » أو « الزناد » ، قال في « المقاييس » ! « الزند » في الاصل بمعنى زند اليد ، وأُطلق على القدحة أو الشرارة للملازمة الموجودة سابقاً بين زند اليد والآلات التي كانت تستخدم قديماً في اشعال النار .

و « القَدَح » استعمل ايضاً في هذا المجال . لكن الامر المهم تأكيد القرآن على ذكر الوقود لا « الزند » أو القَدَح بينما فات القدماء الانتباه الى هذه المسألة ، وفسروا الآية على ان المراد منها هو القَدَح ، لكن ما جاء في تفسيرنا الثالث ينطبق تماماً مع التعبير بـ « الوقود » (فتأمل) .

والسؤال الوحيد الذي لم يُجَب عنه إن الخشب الذي يستخدم في الحرق يكون جافاً ، بينما عبّر القرآن بـ « الشجر الاخضر » .

(١) مفردات الراغب ولسان العرب ومقاييس اللغة .

هناك جوابان لهذا السؤال : الاول إن الخشب الاخضر قابل للاحتراق ايضاً وإن إحراقه اصعب من احراق الخشب الجاف ، جاء في المثل المشهور : اذا اشتعلت النار فسوف تحرق الاخضر واليابس معاً للإشارة الى هذا الامر .

ولو تجاوزنا هذا ، فهناك مسألة مهمة هي إن الاشجار الخضراء هي الوحيدة التي يمكنها ان تجذب وتذخر ضوء وحرارة الشمس ، ويحتمل ان يكون القرآن في صدد بيان هذه المسألة العلمية الدقيقة ، لأن الاشجار عندما تجف تتوقف فيها عملية جذب الكاربون نهائياً ، ولاتذخر الطاقة الشمسية بأي نحو كان .

على اية حال إن الآية المذكورة تعتبر من الآيات الرائعة في مجال اثبات المعاد ، وإن كل واحد من هذه التفسيرات الثلاثة يجسّم منظر المعاد امام الانظار ، ولا يوجد اي مانع في ان تكون هذه التفسيرات الثلاثة مجموعة في مفهوم هذه الآية ، فهذه التفسيرات منها ما يختص بالعوام من الناس ، ومنها ما يختص بالخواص منهم ، ومنها ما يختص بخواص الخواص ، وبعضها يختص بالناس الذين عاشوا في العصور الغابرة ، وبعضها يختص بالناس المعاصرين . ومن المحتمل ان تكون هنالك تفسيرات اعمق وأدق لعلماء المستقبل في هذه الآية .



والآية الثانية من آيات سورة الواقعة ، ويختص قسم كبير من آيات هذه السورة بأدلة المعاد والقيامة ، على الاخص ماجاء في الآية (٥٧) فيما بعد في جواب منكري المعاد (المسائل السبع) الذين ذكروا إدعاءاتهم في نفس هذه السورة في الآية (٤٧) حيث كان كل واحد من تلك الاجوبة دليلاً على مسألة المعاد بنفسه ^(١) . والآية التي يدور بحثنا حولها تعتبر في الواقع الدليل السابع والاخير ، قال

(١) ذكرت هذه الادلة السبعة في كتاب « تفسير نمونه » الجزء ٢٣ من الصفحة ٢٣٩ فما بعد .

تعالى : ﴿افرأيتم النار التي تورون﴾^(١) ﴿وانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون﴾.

﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾^(٢).

وفي تفسير المراد من شجرة النار هنا يوجد تفسيران رئيسيان :

الاول : إن المراد من شجرة النار الشجرتان المعروفتان « مَرْخ » و « عَفَار » اللتان كانتا تُستخدمان لدى العرب في ايجاد القدحة ، حيث كانتا تُستخدمان بدلاً عن « الكبريت » لاشعال النار .

والثاني : انّ المراد منها جميع الاشجار لأنها لها قابلية توفير الحطب والوقود^(٣).

وللمفسرين آراء في ما المراد من « تذكرة » ، فعدد منهم يرى أنّ المراد منها التذكّر بنار جهنم عند رؤية نار الدنيا ، ففي هذه الصورة تصلح هذه الآية لأن تكون دليلاً لاثبات المعاد .

والرأي الثاني هو ان المراد منها التذكير بأمر المعاد ، وذلك لأن الذي يقدر على ان يدّخر النار المحرقة في قلب الشجر الاخضر فإنه لايعجز عن ارجاع الحرارة الغريزية لبدن الاموات ، والذي يقدر على جمع الصّدّين كالماء والنار فإنه بطريق اولي يمكنه ان يجمع بين الموت والحياة على التوالي ، اي ايجادهما الواحد بعد الآخر .

او بتعبير آخر كيف لايتمكّن من يُعيد الطاقة الخاملة والضوء والحرارة من ان

(١) « تورون » من مادة « ابراء » بمعنى اشعال النار ، قال الراغب في المفردات ابراء في الاصل بمعنى الستر والتغطية ، لذا أطلق على ما في الخلف « وراء » وبما ان النار تكمن في الحطب أو في القدحة اطلق العرب كلمة « ورئ » أو « ابراء » على اخراجها من مخبئها .

(٢) « مقوين » من مادة « قواء » (على وزن كتاب) بمعنى الصحراء القاحلة ، وتطلق على المسافرين الذين يقطعون الصحاري من دون متاع ايضاً .

(٣) ورد هذان التفسيران في تفسير روح المعاني الجزء ٢٧ الصفحة ١٢٩ وفي تفسير الفخر الرازي الجزء ٢٩ الصفحة ١٨٤ في ذيل الآيات المعنية .

يهب حياة جديدة لاموات البشر ؟ .

والتفسير الاخير هو اكثر تناسباً مع آيات هذه السورة التي تتصدى للاجابة على شبهات منكري المعاد طبعاً ، كما إن الجمع بين هذه التفاسير ممكن ايضاً .
والتعبير بـ « متاعاً للمقوين » هو تلميح لفوائد واهمية النار في حياة الانسان ذلك لأن المفسرين واصحاب اللغة ذكروا معاني متعددة لـ « مقوين » هي :
اولاً : ما ذكرناه آنفاً من انها من مادة « قواء » (على وزن كتاب) بمعنى الصحراء القاحلة ، بناءً على هذا يصبح مصداق « المقوين » هم الذين يقتحمون الصحاري القاحلة ، وهؤلاء يحتاجون بشدة الى الحطب والخشب الجاف لايقاد النار ، أما احتياجهم لخشب القدح فلا يخفى على احد .

ومن البديهي ان الانسان يحتاج الى ذلك في المدن ايضاً ، ولكن بما أن ايقاد النار في المدن امرٌ يسير ، لأن الذي يريد ان يوقد ناراً يمكنه ان يستفيد في ذلك من نار الآخرين ، بالاضافة الى ذلك لايشكل عدم النار في المدينة خطراً جسيماً على الانسان ، بينما تعدّ النار بالنسبة لقاطعي الصحراء امراً مصيرياً من ناحية اعداد الطعام ومن ناحية دفع البرد والاستئارة .

والرأي الآخر ان المراد من « المقوين » هم الفقراء ، وعدّ هذا من احد معانيها في اللغة ، ومن المحتمل ان يكون السبب في ذلك أن سُكَّانَ الصحراء فقراء في الغالب ، وقد ذكرنا أن « قواء » بمعنى الصحراء القاحلة . وإن احتياج الجميع للنار امر بديهي الآن احتياج الفقراء لها اشدّ من غيرهم ، ذلك لأن النار تأخذ مكان الملابس احياناً بالنسبة لهم .

وقال البعض ايضاً : إن « مقوين » بمعنى « الاقوياء » ! لأن الكلمة المذكورة من الكلمات التي لها معانٍ متضادة ، فيحتمل ان تكون من مادة القوة والقدرة .

ففي هذه الحالة تكون للدلالة على استخدام الاغنياء للنار بكثرة ، على الاخص في دنيانا هذا اليوم ، فإن الحرارة والنار كلٌ منهما المحور الرئيسي الذي تدور

عليه عجلات الصناعة والمحركات ، فإذا مائتقد الوقود الذي تعتبر الاشجار والنباتات
المنبع الرئيسي له (سواء كان بصورة مباشرة كالخشب والفحم الحجري او غير
مباشرة كالبتروول) فإن عجلات الحضارة البشرية سوف تتوقف عن الحركة ، وتذهب
الثروات ادراج الرياح . فلا تطفأ شعلة الحضارة فحسب بل سوف تطفأ شعلة حياة
جميع البشر .

النماذج التاريخية الحيّة للمعاد

تمهيد :

بالإضافة إلى ما ذكر في البحوث السابقة حول أدلة إمكان المعاد فإن القرآن المجيد يشير إلى عدد من النماذج التاريخية الحيّة للمعاد من خلال آيات مُتَعَدِّدة ، وكلّ هذه النماذج مصاديق واقعيّة للحياة بعد الموت ، ويستعين بها على إثبات إمكانية المعاد ، والنماذجُ عبارة عن :

١ - قصة «عُزَيْر» ﷺ النبي الذي وُهِبَ الحياة بعد موته بمائة عام .

٢ - قصة ابراهيم ﷺ واحياء الطيور الأربعة .

٣ - قصة اصحاب الكهف .

٤ - قصة قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة .

من البديهي إن الاستدلال بهذه الحوادث التاريخية يتوقف على الاطمئنان بصحة وقوعها . وبما ان منكري المعاد يعتقدون بصحة وقوع اغلب هذه الحوادث أو على الأقل كانت مدونة في كتبهم التاريخية وكانت مشهورة بين الناس ، فإن القرآن المجيد يستدلّ بها .

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن ونستمع خاشعين إلى القسم الاول من هذه الآيات المتعلقة بقصة عُزَيْر ﷺ .

١ - قصة حياة عُزَيْر ﷺ بعد موته :

تحدّث القرآن الكريم عن هذه القصة العجيبة في أواخر سورة البقرة من خلال آية واحدة تعتبر في الواقع دليلاً تاريخياً لدحض ادعاءات منكري المعاد ، قال تعالى : ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) . (البقرة / ٢٥٩)

وتوجد هنا عدّة امور تحتاج إلى الدقة والتأمل :

١ - من كان هذا الرجل ؟ وأين تقع هذه القرية ؟ (يجب الالتفات إلى أنّ المراد من القرية هنا التجمّع السكاني أعم من أن يكون قرية أو مدينة) .
فالقرآن لم يوضح ذلك ، والمستفاد من سياق الآية أنّه رجلٌ أُوحيَ إليه ، أي كان من أحد أنبياء الله لكنّ المفسّرين وبالأستناد إلى الروايات الواردة في هذا المجال يذكرون اسمه بالتعيين . ففي كثير من الروايات وعبارات المفسرين ذكر أن اسمه «عُزَيْر» نبيّ بني إسرائيل المعروف ، وفي البعض الآخر من الروايات أنّه «إزْميا» وهو نبي آخر من أنبياء بني إسرائيل ، وذكر آخرون بأن اسمه «الخضر» وآخرون اسمه «اشعيا»^(٢) .

وأياً كان فإنّه لا يؤثر على معنى ومحتوى الآية ، أمّا ما احتمله البعض من أنّه كان رجلاً غير مؤمن وقد شكّ في امر المعاد فإنّ هذا كلام مردود ، لأنّ الآية تدلّ

(١) جملة أو كالَّذِي مَرَّ ... طبقاً لتصريح كثير من المفسرين هي عطف على الآية التي قبلها (الم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم..) بناءً على هذا يكون معنى هذه الجملة كالتالي «ألم تر إلى الذي مَرَّ على قرية...» .
(٢) تفسير البرهان ونور الثقلين ومجمع البيان وروح المعاني وروح البيان والفخر الرازي والقرطبي في ذيل الآية المعنية .

بجلاء على ان الوحي نزل على هذا الرجل .

اما « القرية » فهي « بيت المقدس » طبقاً لما جاء في الروايات ، وهذه الحادثة وقعت بعد هدم بيت المقدس على يد « نبوخذ نصر » .

٢ - هل ان هذا الرجل المؤمن (أياً كان) قد مات حقاً ام ذهب في سبات عميق ؟ . ظاهر الآية يدل على انه مات حقاً وعاد الى الحياة مرة اخرى بإذن الله بعد ان مضى على موته مائة عام . واكثر المفسرين يعتقدون بهذا الرأي ، والبعض منهم فسّر « الموت » في هذه الآية بالنوم العميق المشابه للموت ، كما هو الحال في نوم بعض الحيوانات التي تغرق في سبات عميق في فصل الشتاء وتخرج من سباتها في فصل الربيع فتبدأ بالحركة .

وفي مثل هذا النوم تكون الفعاليات الحيوية بطيئة الى حد ما ويقل ما تحتاجه من طاقة بكثير عما كان عليه في حالاتها العادية ، لكنه لا يطفئ البصيص من الحياة على اية حال .

وقد رجّح هذا الاحتمال (اي احتمال السبات) صاحب « المنار » و« المراغي » وصاحب « أعلام القرآن » حتى انه ذكر في اعلام القرآن أن المراد من « مائة عام » ليس من الضروري ان يكون مائة سنة ! بل من المحتمل ان يراد منها مائة يوم او مائة ساعة !!

هؤلاء مجموعة من المثقفين الذين يصعب عليهم تصديق هذه الامور الخارقة للعادة ، لذلك كلما شاهدوا شيئاً من هذا القبيل سعوا للاتيان بالتبريرات والتوجيهات ، بينما لا توجد أي ضرورة لهذا التكلف ابداً .

إن القرآن المجيد والروايات الصحيحة وباختصار كل محتويات المذاهب السماوية مليئة بهذه الامور الخارقة للقوانين المعتادة التي لا يمكن انكارها ولا السعي في تبريرها وتوجيهها . فإننا لو آمنّا بقدرة الله تعالى على الاتيان بمثل هذه الخوارق لكان التصديق بمثل هذه الأمور امراً يسيراً ، وكل ما في الامر أن نبتعد عن الاغراق ، وعن تجاوز الحدود ، وألاً ننسب كل امر الى الاعجاز او خوارق العادات .

وحتى بالنسبة للعلماء الماديين ، هناك امور خارقة لا يمكن تفسيرها بالاساليب العلمية المعروفة فما هو الداعي لتحريف آية ظاهرة خارقة للعادة بمجرد العجز عن كشف سرها.

والقضية المذكورة ، وبغض النظر عن الرجل المؤمن المذكور فيها والذي مات وتُعت من جديد وبغض النظر عن الهدف منها وهو الرغبة في تقديم مثال لاهياء الموتى يوم القيامة ، تشير الى حمارة ايضاً ، وقد أخبر القرآن بأنه قد مات وتلاشت عظامه ، لأن الآية صريحة في جمع العظام بإذن الله وتغطيتها باللحم ثم نفخ الحياة فيه ، فهل يجب تعليل كل ذلك ؟

٣ - وأما ما يتعلق بالمدينة التي وقعت فيها تلك القصة فإن أغلب المفسرين يعتقدون بأنها وقعت في بيت المقدس بعد أن هُدمت على يد «نبوخذنصر» عن آخرها وقد عبّر عنها القرآن بـ ﴿خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا﴾ اي بعد تهديم سقوفها هُدمت جدرانها على السقف ؟

وقيل هي قرية مجاورة لبيت المقدس . أما ما يتعلق بحديث ذلك الرجل المؤمن مع نفسه فإنه لم يكن بسبب الانكار ولا التعجب والشك بل أراد ان يشاهد احياء الموتى بأم عينه كي يطمئن قلبه كما أراد ابراهيم عليه السلام ذلك في القصة التي سوف نذكرها عما قريب .

ومن الممكن ايضاً ان يكون طلبه هذا من اجل ان يقدم دليلاً مقنعاً للمنكرين والمشككين ، لأنه في بعض الاحيان لا تكفي الاستدلالات العقلية ولا حتى نداء الفطرة والوجدان في اقناع بعض الناس ، فهم يصرون على مشاهدة النماذج الحية لكي يأخذوا الاستدلال طابع الحس وتزول جميع الوسوس عن قلوبهم وارواحهم .

٤ - وأما ما يتعلق بنوع طعامه وشرابه فإن القرآن لم يصرح بشيء عنه ، ولكن يظهر من جملة ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ التي هي من مادة «سَنَه» والتي يفهم منها عدم فساد الطعام والشراب على الرغم من مرور عدة سنين انهما كانا من الاغذية والاشربة التي

لاتفسدوا بمرور الزمان ، وقيل بأن الطعام الذي كان يحمله هو « التين » و « العنب » والشراب هو « عصير الفواكه » او « الحليب » .

والملاحظ هنا ان الله تعالى ومن اجل اظهار قدرته ، حفظ المواد السريعة الفساد من التلف ، بينما ترك حمارة الذي يقاوم الفساد عادة عرضة للفساد ، وبهذا اصبح دليلاً على المكوث مائة سنة ودليلاً آخر على امكان الحياة بعد الموت ، وذلك من اجل ان يشاهد الرجل المؤمن تلك الحقيقة بأمر عينه في كلا الامرين (وجود نفسه ووجود حمارة بعد الموت) .

٥ - عبارة « وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ » تدل على أن الفائدة المرجوة من هذه الحادثة لاتختص بذلك الرجل المؤمن لوحده ، بل لتكون نافعة لجميع الناس ، لأن الناس قد عرفوا « عزيز عليه » بالقرائن المختلفة ، وتيقنوا من انه قد مات وبعث ثانية بعد مرور مائة عام على موته ، فإن كان الجيل المعاصر لحياة عزيز قد مات وفنى فإن الجيل الجديد عرفوا حقيقة الامر بواسطة المعلومات التي حصلوا عليها من آبائهم .



٢ - ابراهيم عليه السلام والمعاد :

إن قصة ابراهيم عليه السلام مع « الطيور الاربعة » تعتبر من النماذج التاريخية الحية التي استدلت بها القرآن الكريم ، وقد ورد ذكر هذه القصة بعد ذكر قصة عزيز عليه السلام مباشرة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ

أَوَلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ
 أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ
 جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءً ثُمَّ اذْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَفِيًّا وَاعْلَمَنَّ
 أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

(سورة البقرة - ٢٦٠)

لو أمعنا النظر في ظاهر الآية بعيداً عن أي اعتقاد مسبق وبعيداً عن تأثير تلقينات الآخرين نراها تدل بوضوح على أن إبراهيم عليه السلام كان يريد أن يرى كيفية احياء الموتى ليطمئن قلبه ، فأمر أن يمارس عملياً نموذجاً حياً لاهياء الموتى بإذن الله ، وهو ان يجعل اجساد الطيور الاربعة بعد ذبحها وسحقها كالتراب ثم ينشرها كما ينشر التراب في اركان الارض ، ثم تجمع هذه الذرات بإذن الله وتُعاد اليها الحياة من جديد .

كما ان السبب الذي اشار اليه الكثير من المفسرين في شأن نزول هذه الآية الشريفة يؤيد هذا المدعى ، فقد مرَّ ابراهيم عليه السلام على ساحل البحر فوجد جيفة نصفها في الماء والنصف الآخر على الساحل تأكل منها حيوانات البحر من جانب والطيور من جانب آخر ، فأثر هذا المنظر في نفسه عليه السلام وغرق في التفكير في كيفية جمع اجزاء هذا الجسد واهيائه من جديد بعد ان صار جزءاً من حيوانات كثيرة اخرى .

إنَّ ابراهيم عليه السلام كان مؤمناً بالمعاد وكل ما يرتبط به لأنه نبي وله ارتباط مع الوحي وكان ايمانه اعمق من الايمان الحاصل عن طريق الاستدلال العقلي ، لكنه كان يبغى شاهداً حساباً في هذا المجال ولهذا جسَّد له الله هذا المشهد كي يتجسَّد

امامه المعاد الجسماني بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معنى وليشاهده بأَم عينه كي يطمئن قلبه .

وهنا ينبغي ان نشير الى عدة امور :

اولاً : إِنَّ جملة ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ كما صرح بذلك بعض اللغويين وعدد من المفسرين هي من مادة « صور » على وزن (قول) بمعنى التقطيع والتمزيق ، وهي دليل على ان ابراهيم عليه السلام أمر بأن يذبح تلك الطيور الاربعة ثم يقطعها ويخلط اجزائها .

لكن بعض اللغويين فسروها بمعنى التعويد والتربية (على الاخص عندما تتعدى بـ « الى ») ومن اجل هذا اكّد بعض المفسرين الذين يسمّون أنفسهم بذوي الافكار النيرة على ان ابراهيم عليه السلام لم يقطع تلك الطيور ابدأً ، بل امر بأن يعود تلك الطيور عليه وبعد ان تأنس به يضع كل واحد منها على جبل ثم يناديها كي تسعى اليه جميعاً فيحصل من خلال هذا العمل على دليل لحياء الموتى ، ولكي يعلم ان احياء الموتى على الله يبلغ . من السهولة ما يبلغه نداء ابراهيم عليه السلام لتلك الطيور ومجيئها اليه بمجرد ان يناديها (١) .

لكن هؤلاء قد فاتهم بأن ابراهيم عليه السلام اراد مشاهدة احياء الموتى وإن الله تعالى استجاب دعوته من هذا الباب كي يطمئن قلبه ، فلو كانت المسألة تُحلّ بتربية الطيور واتيانها بعد دعوتها لما تحقق ما راده ابراهيم عليه السلام من مشاهدة احياء الموتى ولما اطمئن قلبه بذلك ، بل لاعلاقة لهذا الامر بما طلبه ابراهيم عليه السلام فإن مثل هذا الجواب لمثل هذا الطلب قبيح وغير لائق لو صدر من الفرد العادي ، فكيف يصدر ذلك من

(١) وهذا التفسير في الاساس مقتبس من احد المفسرين المعروف باسم (ابو مسلم) وقد نقل عنه هذا التفسير في « المنار » ودافع عنه وايدّه (الجزء ٣ الصفحة ٥٦) .

الله تعالى وبالاخص عندما يرد في كلام فصيح ككلام القرآن .. ؟

ثانيا : الظاهر ان تفسير كلمة « جزء » باطلاقها على كل واحد من الطيور الاربعه ، غير مناسب ابداً .

ثالثاً : إن سبب نزول هذه الآية الشريفة والوارد في روايات متعددة لا يتناسب مع هذا المعنى ، بل صرحت جميعها بالحقيقة التالية ، وهي ان ابراهيم عليه السلام اخذ اربعة من الطير فذبحها وخلط اوصالها ببعضها ثم قسّمها حصصاً فوضع كل منها على جبل (١) .

واما جملة « فصرهن » فهي لا تؤثر في محتوى الآية إن كانت بمعنى التمزيق او بمعنى التعود ، لأن الآية - على أية حال - جاءت لتوضيح كيفية احياء الموتى بإذن الله .

وكما قلنا آنفاً بأن السبب الرئيسي في نزوع هؤلاء الى مثل هذه التفاسير هو عدم استيعابهم لما وراء المعجزات الطبيعية ، ولارضاء المدافعين عن العقيدة المادية ولذلك ورطوا انفسهم في هذه المتاهات ، بينما تعتبر هذه الخوارق ووقوع المعجزات من البديهيات لدى جميع الاديان ، ونحن في عالم الطبيعة نشاهد الكثير من هذه الخوارق التي عجز عن تفسيرها العلم الحديث (فتأمل) .

٢ - والمعروف من انواع الطيور الاربعه هي : الطاووس والديك والحمام والغراب ، وكل واحد من هذه الطيور يحمل صفات متميزة وقد شبهوا حركات الانسان بحركات هذه الطيور ، فالطاووس هو مظهر الكبرياء والرياء ، والديك هو مظهر الشره الجنسي ، والحمام هو مظهر اللهو واللعب ، والغراب هو مظهر الآمال البعيدة المنال ! .

وجاء في كثير التفاسير احتمالات اخرى ايضاً منها ان تلك الطيور هي الهدهد

(١) للاطلاع اكثر على هذه الروايات راجع نور الثقلين الجزء ١ الصفحة ٢٧٥ - ٢٨٢ وتفسير الدر المنثور الجزء ١ الصفحة ٣٣٥ .

والبوم والصقر والنسر (١).

ومن البديهي ان خصوصيات تلك الطيور المذكورة لاعلاقة لها في اصل المسألة ، غاية مانعلم هو ان انواع الطيور كانت مختلفة وهذا الاختلاف جاء من اجل الحكاية عن اختلاط تراب البشر مع بعضهم .

اما عدد الجبال التي وضع ابراهيم عليه السلام عليها اجزاء تلك الطيور فهي عشرة طبقاً لما ذكر في الروايات ويحتمل ان يكون وقوع هذه الحادثة بعد ذهاب ابراهيم عليه السلام الى الشام ، لأن ارض بابل خالية من الجبال .

٣ - قصة اصحاب الكهف :

ورد محتوى هذه القصة في سورة الكهف خلال اربع عشرة آية ، وجاء في بعضها :

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾
(الكهف / ٢١) .

نستفيد بوضوح من هذا التعبير بأن احد الاهداف المتوخاة من هذا السبب العجيب والطويل الذي له شبه كبير بالموت هو ان تعتبر هذه الحادثة درساً لجاحدي المعاد أو للذين ينتابهم الشك والترديد في هذا المجال .

ويعين على ذلك بالخصوص مااستنبطوه من جملة ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ من ان الناس اختلفوا في ذلك الزمان في مسألة المعاد (المعاد الجسماني) فالمخالفون كانوا يسعون لمحو آثار قصة اصحاب الكهف كي يسلبوا هذا البرهان القاطع من أيدي المؤمنين بالمعاد (لقد احتملوا في تفسير هذه الجملة احتمالات جمّة ، وماقلناه هو احد هذه الاحتمالات) .

(١) جمع البيان والقرطبي والفخر الرازي وتفسير نور الثقلين في ذيل الآية المعنية .

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره خمس احتمالات أخرى في تفسير هذه العبارة ، منها الاختلاف في عدد اصحاب الكهف ، ومنها الاختلاف في اسمائهم او في مدة نومهم وفي مسألة المعبد الذي سُيِّد بالقرب من الغار هل كان على غرار معابد المشركين أو معابد الموحدین (١).

فالآيات الواردة في هذه السورة من القرآن صرحت بوضوح بأن مدة نومهم امتدت الى ثلاثمائة وتسع سنين . ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ .

إنّ نوماً عميقاً كهذا يشبه الموت ، والنهوض بعده اشبه بالحياة بعد الموت بلا شك ، لذا فهو يصلح أن يكون نموذجاً حياً للمعاد من وجهة نظر التاريخ .

توضيحات :

هناك حديث طويل يدور حول هذه القصة ، إلا أنّ مايتعلق بموضوع بحثنا هو

عدّة امور:

١ - ملخص الحادثة :

إنّ ماجاء في القرآن المجيد والروايات المستفيضة في هذا المجال هو مايلي :
كان هناك ملك ظالم يدعى « دقيانوس » وقيل ان اسمه « دسيوس » وكان متسلطاً على شعب وثني حوالي الفترة ما بين القرن الأول الى القرن الثالث الميلادي ، وكانت عاصمة البلاد تدعى « أفسوس » ، وكان لهذا الملك عدّة وزراء قد بانت لهم سخافة الوثنية من خلال احد الحوادث فرجّحوا التحرر من قيود هذه الخرافات على الاحتفاظ بمناصبهم ، فهجروا ديارهم سرّاً من دون ان يعينوا هدفاً لمسيرهم ،

واخيراً عثروا على غارٍ فاختبؤا فيه فالقئ الله عليهم نوماً عميقاً يشير العجب حتى اذا استيقضوا من نومهم العميق هذا تساءلوا عنه في ما بينهم فظنوا انهم لبثوا يوماً او بعض يوم ولكن مظاهر وسمات اطراف الغار كانت تُنبئ عن شيءٍ آخر لذا تسرب الشك اليهم .

ولكونهم جوعاً بعثوا احدهم الى المدينة ليأتيهم بالطعام سراً ، لكن المسكوكات النقدية كشفت سرهم وساعد في ذلك اكثر تصرفاتهم وعاداتهم غير المألوفة لدى الناس في ذلك العصر ، بالاضافة الى ان قصة توارى عدد من الشبان من اصحاب المناصب الرفيعة عن الانظار كانت متداولة بين الناس في تأريخهم المعاصر ، فاتحدت جميع هذه الشواهد للدلالة على ان هؤلاء هم الذين تواروا عن الانظار في تلك الفترة !

فسمع الملاء بهذا الخبر والتفوا حولهم ، لكن اولئك الشبان عادوا الى كهفهم وتواروا الى الابد فبنى الناس هناك معبداً لتخليد ذكراهم .

* * *

٢ - قصة اصحاب الكهف في كتب التاريخ :

هل ورد ذكر هذه القصة في كتاب آخر غير القرآن ام لا ؟ وهل ذكر في التورات والانجيل الحاليان شيئاً عنها ؟

انّ الجواب على السؤال الاول ايجاباً لكنه على الثاني سلب .

لأن وقوع هذه الحادثة كما ذكر المؤرخون - يتعلق بالفترة التي تلت ميلاد المسيح ﷺ ، وقد صرح البعض بأن وقوع هذه الحادثة حصل في الفترة ما بين عام ٢٤٩ - ٢٥١ ميلادي ، فعلى هذا لا يمكن ان تكون مذكورة في التورات والانجيل .
نقرأ صاحب كتاب اعلام القرآن :

« إن خلاصة مانقله المؤرخون الاوربيون عن قصة اصحاب الكهف هو : في

عصر دكيوس (٢٤٩ م - ٢٥١ م) الذي كان يسوم المسيحيين سوء العذاب هرب سبعة شبان من النبلاء ولجأوا الى غار ، فأمر دكيوس ان يغلقوا فوهة الغار ببناء جدار عليه ليهلكوا جوعاً وعطشاً ، لكن هؤلاء السبعة غرقوا في نوم عميق ، وبعد مرور ١٥٧ عام استيقظوا من نومهم في عصر الملك « تيودر الثاني » ويطلق المؤرخون الاوريون على هؤلاء اسم النيام السبعة في أفسوس .

وجاء في فصل آخر من هذا الكتاب : إن أول من سرد هذه القصة هو « جاك » في القرن الخامس الميلادي ، وهو من سكنة « ساروك » الذي كان يرأس الكنيسة في سوريا خلال رسالة كتبت بالسريانية ، وترجم هذه الرسالة من السريانية الى اللاتينية شخص يدعى « غوغويوس » وانتخب لها اسم « جلال الشهداء » (١) .

لقد احتلت هذه القصة مقاماً متميزاً في التاريخ الاسلامي والادب الشرقي والغربي ، وتمكنت هذه القصة من وضع بصماتها على الادب « الروسي » و « الحبشي » ايضاً (٢) .

بناءً على هذا فإن القرآن الكريم لم ينفرد بذكر هذه الحادثة ، بل ورد ذكرها في الكتب التاريخية الاخرى .

* * *

٣ - موضع الغار :

المشهور أن الغار يقع بالقرب من مدينة « أفسوس » أحد مدن آسيا الصغرى (تركيا الحالية التي تُشتمل على قسم من بلاد الروم الشرقية القديمة) ، بالقرب من نهر « كايستر » الواقع على بعد مايقارب اربعين ميلاً الى جنوب شرق « ازميز » (٣) .

(١) اعلام القرآن الصفحة ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) نفس المصدر الصفحة ١٨١ .

(٣) « فرهنك قصص القرآن » الصفحة ٣١٥ .

وقد كسبت مدينة « افسوس » شهرتها العالمية من المعبد ومجمع الاصنام الشهير « اوطاميس » الذي يعتبر من عجائب الدنيا السبعة (١).

لكن البعض يرى بأن غار اصحاب الكهف يقع في موضع بالقرب من الشام يدعى « طرطوس » (٢).

ويوجد حالياً موضع بالقرب من دمشق يزوره الناس اشتهر باسم غار اصحاب الكهف.

لكن الرأي الاول أشهر.

٤ - قصة اصحاب الكهف في منظار العلم الحديث :

هل يمكن للانسان ان يعمر طويلاً ولعدة قرون ويتساوى لديه أن يكون في حالة اليقظة ام في حالة النوم ؟

ولو سلمنا بامكانية ذلك في اليقظة فإن المعطلة تزداد تعقيداً في حالة النوم ، لأن هذا يعني بأن الانسان يمكنه البقاء حياً من دون ان يتناول طعاماً أو ماءً ، بينما يحتمل ان يحتاج الانسان خلال هذه المدة وفي الظروف العادية الى اكثر من مائة طن من الغذاء ومائة الف لتر من الماء !

هذه هي التساؤلات التي طرحها العلم حول هذه الحادثة ، ويحتمل أن تكون هذه التساؤلات هي السبب في سلوك طريق الجحود للذين لم يجدوا جواباً لها ، واعتبروا هذه القصة « اسطورة » من الاساطير .

لكن البحوث الاخيرة للعلماء من ناحية والكشوفات التي وصلت اليها عن الموجودات الحية من ناحية اخرى تؤكد على انكار هذا الامر ليس بهذه البساطة .

(١) القاموس المقدس الصفحة ٨٧ .

(٢) دائرة المعارف ، دهنخدا ، مادة اصحاب الكهف .

ومن أجل ان نتعرف اجمالاً على المنهج العلمي للعلماء المعاصرين في هذا المجال نُلقِي نظرة خاطفة على الصحف العلمية التي نشرت حديثاً :
جاء في احد هذه الصحف في موضوع تحت عنوان هل ينتصر الانسان على الموت ؟

في عام ١٩٣٠ سعى عالم الاحياء الشهير « متالينكف » ، لأن يثبت بأن الحياة الخالدة موجودة بالقوة في نفس الطبيعة ، وان مهمة العلم هي ان يصل الى كشف اسرار الحياة الخالدة .

فهو يقول : إن الاحياء البسيطة مثل احاديث الخلايا لاتموت في الواقع ، لأنها تبقى حية الى ما لانهاية عن طريق انشطار الخلية الحية... فلماذا نستغرب ان تكون هناك موجودات حية مركبة من ملايين من الخلايا الخالدة وان علينا نحن العلماء ان نتوصل الى كشف اسرارها .

وجاء في فصل آخر من هذه المقالة موضوع بعنوان نوم ستمائة عام مايلى :
مثل هذه الافكار كانت تقوى يوماً بعد اخر حتى جاء البروفسور « ايتنجر » فصاغها بصيغة علمية . قال ايتنجر : بإمكاننا الآن ان نتحدث عن الحياة الخالدة بلا تردد ، لأن الحياة الخالدة ثبتت امكانيتها نظرياً . وقد بلغنا من التقنية مايساعدنا على تحقيق ذلك عملياً .

ثم تحدّث عن استمرار الحياة بواسطة التجميد فأضاف : عندما تنخفض درجة حرارة الجسم بشدة فإن سير الحياة يبطأ حتى كأنه يتحرر من قيود الزمان ، وعندما يقترب انخفاض درجة حرارة جسمنا من « الصفر المطلق » ، (الصفر المطلق = ٢٧٠) درجة سانتيفراد تحت الصفر في المحرار المؤي ا) فان مقدار الحرارة الكافي لاستمرار الحياة لمدة ثانية واحدة في الظروف الاعتيادية يكفي حينئذٍ لادامة الحياة عدة قرون !

ثم تحدّث عن جزئيات الملح البلورية الشكل التي تحتوي في داخلها على

خلايا متحجرة من البكتريا والعائدة لعصور مضت قبل مائة مليون عام ، وقد هيا هذا العالم لها الظروف الملائمة فعادت الى الحياة ثانية وبدأت بالتكاثر (وهذا في الحقيقة يعنى ان تلك البكتريا نهضت من رقادها بعد مائة مليون عام) وبعد هذه التجربة قام هذا العالم بجمع بلورات الملح من جميع ارجاء العالم ومن مناطق مضى عليها ستمائة مليون عام ! فهياً لها الظروف الملائمة ورأى ببالغ العجب بأن هذه المتحجرات انبعثت من نومها العميق ! وبهذا سجّل رقماً قياسياً آخر « ستمائة مليون عام » لحياة هذه الموجودات الحيّة المجهرية !

وهذا العالم يرى بأن هذا الامر يمكن ان ينطبق على الانسان ايضاً من وجهة نظر العلم (وهذا الانجماد يحصل خلال اللحظة التي تسبق الموت وطبقاً لظروف معينة بحيث تصان اجهزة البدن من حدوث اي تلف) (١).

إننا لانرى بأن اصحاب الكهف كانوا منجمدين ، بل نقول بالتحديد بأن النوم العميق يؤدي الى بطء فعالية اجهزة الجسم الى ادنى حدّ ومن المحتمل في هذه الحالة ان تكفي الطاقة المخزونة لديه لإدامة الحياة عدّة قرون ، لأن نوماً كهذا ليس امراً معتاداً وقد تحقق بإذن الله وفي ظروف خاصة غير طبيعية ، يقول القرآن الكريم بأن نور الشمس لم يمّسهم ابداً ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ (الكهف / ١٧) .

اما مسألة السبات (لو تتبعنا حياة كثير من الحيوانات لوجدنا بأنها تفرق في سبات عميق طيلة الشتاء) في عصرنا الحاضر من الامور البديهية ، ففي هذا النوع من الرقاد تتوقف الحياة في الاجسام تقريباً ولا يبقى الا بصيصاً منها . ف ضربات القلب تهبط الى حدّ وكأنه قد توقف عن العمل ، ويمكن تشبيه جسم الحيوان في هذه الحالة بأفران ضخمة لم يبق فيها بعد خمود نارها الأشعلة صغيرة . ومما لا ريب فيه هو ان مقدار الوقود الذي تحتاجه الافران لحرقة في يوم واحد قد تتغذى عليه تلك

الشعلة الصغيرة ماثات السنين .

إن العلماء يرون بأن السبات لا يختص بالحيوانات التي تتناسب درجة حرارة ابدانها مع درجة حرارة محيطها بل يحصل السبات لدى الحيوانات ذات درجة الحرارة الثابتة ايضاً ، ففي مرحلة السبات تصبح الفعاليات الحياتية بطيئة كثيراً وتتغذى تلك الحيوانات على الشحم الذي تدخره في اجسامها (١) .

وليس غرضنا هنا التعرض لكيفية نوم اصحاب الكهف ، بل الغرض الرئيسي هو بيان امرين :

الاول : هو ان نومهم بنحو الاجمال لم يكن نوماً طبيعياً ، على الاخص لو استندنا الى ما قاله القرآن : ﴿لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْباً﴾ (الكهف / ١٨) .

والامر الثاني هو ان القوانين الحاكمة على النوم المعتاد لا تنطبق على هذا النوع من النوم ، فمن المحتمل في هذا النمط من النوم ان تبلغ مسألة استهلاك الطاقة في البدن من الانخفاض حداً ينتفي معها موضوع التغذية كلياً .

٥ - قصة هزيمة بني اسرائيل :

النموذج الآخر الذي ذكره القرآن الكريم هو القصة الواردة في سورة البقرة بخصوص مجموعة مؤلفة من الآف الاشخاص فرّوا حذر الموت وهجروا ديارهم ، لكن فرارهم هذا لم ينقذهم ، فوقعوا في مخالاب الموت بإذن الله ، وبعد ذلك احياهم الله مرة اخرى . قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة / ٢٤٣) .

ادعى المفسرون بأن هؤلاء كانوا فريقاً من بني اسرائيل فرّوا من ديارهم خوفاً

(١) دائرة المعارف «فرهنگ نامه» مادة «زمستان خوابي» .

من الملاريا او الطاعون ، لكنهم ما برحوا حتى ماتوا بذلك الوباء فمّر احد انبياء بني اسرائيل ويدعى « حزقيل » ودعا الله عزوجل ان يمنّ عليهم بالحياة ، فأحياهم الله ليكونوا دليلاً على احياء الموتى (في مقابل جاحدي المعاد) .

وجاء في بعض الروايات بأن هؤلاء كانوا يسكنون احدى مدن الشام وكان الطاعون يصيبهم بين الحين والآخر ، فكلما بان لهم اثر الوباء غادر المدينة أثرياً وهم وبقي الفقراء فريسة للهلاك فيموت منهم الكثير ، اما الفارين فإنهم غالباً ما ينجون . بعد ذلك قرروا ان يهاجروا جميعاً بمجرد ظهور آثار الطاعون وهكذا خرجوا فرارا من الموت .

إلا انه لم ينج احد منهم وماتوا جميعاً بأمر الله (١) .

إن الآية المذكورة لم تشر الى ان الغرض من احيائهم هو اجراء مشهد المعاد في الدنيا ، لكن بعض الروايات الواردة في هذه الحادثة صرّحت بذلك (٢) . ونواجه هنا مرة اخرى تفسيراً منحرفاً لبعض المفسرين الذين يصطلح عليهم بالمتقفين ونحن نعلم بأن فهم مثل هذه الحوادث ذات الابعاد الاعجازية صعب على افراد من هذا القبيل لذا فإنهم رفضوا بالمرة حكاية وقوع هذه الحادثة بالشكل الوارد في ظاهر القرآن الكريم ، واعتبروا بيان تلك الحادثة مجرد مثال لحياة وموت الامم الذي يعتبر كناية عن النصر والهزيمة .

فقالوا : بأن الآية المذكورة تخبر عن جماعة من الناس فقدوا سيادتهم واستقلالهم كلياً فأصبحوا كأمة ميتة ، ثم نهضوا من نومهم وشمروا عن سواعدهم وحصلوا على استقلالهم وسيادتهم بما من الله عليهم (٣) .

لكننا نعلم بأن مثل هذه التفاسير والآراء اذا دخلت اطار القرآن الكريم فإن

(١) مجمع البيان وتفسير الفخر الرازي وتفسير نور الثقلين في تعليقهم على ذيل الآية المعنية .

(٢) مجمع البيان الجزء ١ الصفحة ٣٤٧ .

(٣) المنار الجزء ٢ الصفحة ٤٥٨ .

كثيراً من حقائقه سوف تكون عرضة للانكار ، وحينئذٍ يستطيع كل شخص ان يفسّر الآيات الشريفة بتفسيرات ملائمة لميوله ورغباته ويصبح القرآن الذي يُعتبر هادٍ ومسيراً للناس وسيلة لدعم افكار وميول هذا وذاك ! فيكون تابعاً بدلاً عن ان يكون متبوعاً .

وعندما تنهى الروايات بشدة عن التفسير بالرأي ، وتُشبه من يفسر القرآن برأيه بالذي يهوى من السماء الى الارض ، فالمراد منه هذا التفسير المنحرف الخارج عن الضوابط والقواعد السليمة لفهم القرآن .

فإن أراد هؤلاء بهذه التفاسير اقناع الماديين ، فأنهم لن يقتنعوا بها ، وإن ارادوا نفي وقوع الظواهر الخارقة للقوانين الطبيعية فهذا مما لا يرتضيه المؤمنون ولا المخالفون ايضاً .

- قصة قتيل بني اسرائيل :

الحدث الاخير الذي ورد ذكره في القرآن المجيد كمثال ملموس لاحياء الموتى في هذه الدنيا هو القصة المتعلقة بفئة من بني اسرائيل .
في هذه القصة يُقتل احد الشخصيات البارزة منهم غيلةً ، فيقع بينهم شجار عنيف من اجل العثور على القاتل ، فكل قبيلة منهم تتهم القبيلة الاخرى بارتكاب القتل وخوفاً من اتساع رقعة النزاع بينهم بما يهدد بخطر جسيم ، لذا ذهبوا الى موسى عليه السلام راجين منه الحل . فما كان من موسى عليه السلام الا ان حل هذه المعضلة بواسطة الاستعانة بالطاف الله تعالى عن طريق معجزة آمن بها الجميع .

فقد أمرهم بذبح بقرة لكن ذبحها لم يتم بسهولة طبعاً ، فقد عاد اليه المتذرعون من بني اسرائيل كراراً للسؤال عن اوصاف تلك البقرة واخروا انجاز ذلك العمل بهذه الاسئلة التافهة الخاوية ، واخيراً ذبحوا بقرة تحمل اوصاف معينة

وضربوا القتل بجزء منها فعاد مدّة وجيزة الى الحياة وكشف عن قاتله .

وجاء في القرآن الكريم في القسم الاخير من هذه القصة قوله تعالى : ﴿وَأَذِّقْتُمْ نَفْسًا فَاذَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (فتنازعتم فيها) **وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (١).

والعجيب في هذه القصة هو ان الضرب بقطعة من جسم « ميت » بجسد « ميت آخر » يؤدي الى احيائه لاحقاق الحقيقة ! ، فما هي العلاقة بين هذين الامرين ؟ وما هو المؤثر في ذلك ؟ بديهي ان هذا من الاسرار الالهية التي لا يعلمها احد الا ذاته المقدسة ، فهو لا يوضح اكثر من ذلك بل يقتصر على الاستدلال بهذا وهو ان احياء الموتى في عالم الآخرة امر يسير بالنسبة لقدرته ، فلا توجد هناك ضرورة لأن يولد « الموجود الحي » من موجود حي آخر ، بل يمكن أن تنبعث شرارة الحياة من تلاقي عضوين مبتين ! .

وجملة ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ تدل بوضوح على هذه الحقيقة وهو ان القتل في هذه القصة قد عادت له الحياة واصبح نموذجاً محسوساً للدلالة على بعث البشر بعد موتهم .

ونواجه هنا ايضاً بعض الكتاب من أمثال مؤلف « المنار » الذي يصّر على حمل جملة تامة الوضوح على خلاف ظاهرها من دون وجود اي قرينة عقلية او لفظية على ذلك ، ومن دون ان تكون هناك اي ضرورة .

قال صاحب المنار : يحتمل وجود سنة لديهم وهي انهم كانوا اذا وجدوا قتيلاً بالقرب من احد المدن ولم يعثروا على قاتله كان كل واحد منهم يغسل يده خلال طقوس معينة ليبراً من القتل ، وكل من يمتنع من اداء ذلك فإنهم يعتبرونه هو القاتل ، والمراد من احياء الموتى هنا هو حقن الدماء التي كانت تراق بسبب هذه الاختلافات

اي ان الله حقن الدماء بواسطة هذا التشريع !! (١).

وكما اشرنا الى ذلك سابقاً فإن هذه التفاسير هي نوع من التلاعب بالالفاظ تحط من شأن «كلام الله» وتفسح المجال لأن نستدل بكل الايات على كل شيء وان نحمل الالفاظ على الكناية والمجاز من دون وجود اي قرينة ، ومن غير اي مبرر لهذا العمل ، لأن المتدينين في كل الاحوال يؤمنون بالمعجزات والخوارق ؟ فما هي الضرورة لهذا التكلف .

ونضيف ايضاً إن انتخاب البقرة للذبح يحتمل ان يكون من اجل تقديم قرباناً لله تعالى .

اما مايتعلق بدوافع ارتكاب هذه الجريمة ، فقد جاء في الروايات ان شاباً قتل عمه من اجل الحصول على امواله (او من اجل أن يتزوج منه ابنته) على هذا يكون سبب تلك الجناية هو حب المال او النساء (وهذه هي الدوافع الرئيسية لارتكاب جرائم القتل في العالم) . وتحتوي هذه الحادثة العجيبة وعلى الاخص تفاصيلها - على بنود تربوية كثيرة اعرضنا عن ذكرها لخروجها عن دائرة موضوع بحث المعاد ومن اجل الاطلاع راجع تفسير «نمونه» الجلد الاول ص (٣٠١) - ص (٣١١) (٢) . كانت هذه هي النماذج المتعددة المحسوسة من احياء الموتى التي ذكرها القرآن المجيد وبهذا الحديث ينتهي بحث امكان المعاد ، ونتوجه الى بحث الادلة العقلية لوقوع المعاد .

(١) المنار : الجزء ١ ، الصفحة ٣٥١ .

(٢) جاءت في سورة البقرة الآية ٥٥ و ٥٦ اشارة الى نموذج آخر من مشاهد الحياة المستأنفة بعد الموت عندما رافق وجهاء بني اسرائيل موسى ﷺ الى جبل الطور وطلبوا منه ان يروا الله فاصابت الجبل صاعقة اندك لها الجبل ودهش موسى ﷺ ومات بنو اسرائيل ، ثم بعثهم الله لعلهم يشكرون (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) .

بما ان هذه الآية لم تأت من أجل اثبات المعاد ، فلذلك لم نجعلها من ضمن آيات البحث ، وعلى الاخص بعدما احتمل عدد من المفسرين بأن بني اسرائيل لم يموتوا عندما شاهدوا الصاعقة ، بل اغمي عليهم ، وفسر آخر الموت هنا بمعنى الجهل والبعث بمعنى العلم (ذكر الألويسي هذين التفسيرين في روح المعاني نقلاً عن بعض المفسرين الجزء ١ الصفحة ٢٣٩) وإن كانت هذه التفاسير على خلاف ظاهر الآية وغير مقبولة.

دلائل وقوع المعاد

تمهيد :

يوجد في القرآن الكريم ادلة منطقية وعقلية متعددة لاثبات المعاد ، فهو يصرح بها حيناً ويلمح اليها حيناً آخر ، وبعبارة اخرى ان القرآن من خلال تلميحاته واشاراته ارشد المسلمين الى تتبع هذه الادلة والبراهين .

فالقرآن المجيد لم يعتمد في الامور الاعتقادية على التعبد والكلام غير المستند ، بل ارشد الى الادلة العقلية ، لذا فقد تشكل الآية القصيرة احياناً جسراً للوصول الى دليل عقلي مهم ، ولدينا في مباحث التوحيد نماذج عديدة من هذا القبيل ، وسوف نلاحظ ذلك في مباحث المعاد ايضاً - بإذن الله - من خلال بحثنا هذا .
والادلة الصريحة والتلميحية الرئيسية في القرآن المجيد هي سبعة ادلة :

١ - دليل الفطرة

٢ - دليل الحكمة

٣ - دليل العدالة

٤ - دليل الحركة والهدف

٥ - دليل الرحمة

٦ - دليل نفي الاختلاف

٧ - دليل خلود الروح

ونشرع الآن بشرح كل واحد من هذه البراهين السبعة :

١ - برهان الفطرة

المراد من برهان الفطرة هنا (كما هو المراد من الاستدال بالفطرة في جميع الموارد) هو ان الانسان يرى في اعماقه عقيدة وايماناً بحقيقةٍ ما ، ويشعر من خلال الايمان بوجود عالم الآخرة والقيامة والعدالة الالهية .
ولاريب ان هذا المعنى يمكن توضيحه وبيانه بعدة طرق ، وبعد شرح آيات القرآن المجيد سوف نتعرض لهذا الامر في فصل التوضيحات ، والآن نسمع خاشعين للآيات التالية :

١ - ﴿وَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

(الروم / ٣٠)

٢ - ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾

(القيامة / ١ - ٣)

جمع الآيات وتفسيرها :

المعاد يكمن في اعماق الروح :

قد يحتمل البعض بأن الآية الاولى المذكورة اعلاه لاتشير الا الى الفطرة التي تهدي الى معرفة الله ، لكن التعمق في الآية يهدي الى ان موضوع دلالتها عام ، وانها تعتبر الدين كله فطرياً ، بمعنى أن جميع الاصول الاعتقادية ، بل حتى عموم فروع الدين فطرية وان الاحكام الشرعية موجودة في اعماق الفطرة بصورة اجمالية .

قال تعالى ﴿وَاقِمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

وهكذا نلاحظ بأن كلمة « دين » قد تكرر ذكرها مرتين في الآية ، وليس ذلك إلا لاجل الدلالة على جميع الحقائق الدينية ، وهو يؤكد بالقول : « فطرة الله » ثم يضيف الى ذلك : « لاتبدل لخلق الله » ويؤكد ثالثاً ، على هذه المسألة ويقول : « ذلك الدين القيم » .

وبهذا يستخدم التأكيد ثلاث مرات على ان الدين امر فطري بالنسبة للانسان (١) .

ويستفاد من مجموع ماورد في هذه الآية بأن مسألة معرفة الله ليست هي القضية الوحيدة التي فطر الله الانسان عليها ، بل أن الاعتقاد بالقيامة ومحكمة العدل الالهية كذلك .

والجدير بالذكر هو ان الروايات التي وردت في تفسير هذه الآية قد اشارت

(١) « حنيف » بمعنى خالص او لا يوجد فيه اي منعطف نحو الضلالة ، والاصل في الاستعمال هو « الميل » الا انها جاءت هنا بمعنى الانعطاف نحو الحق ، و « الفطرة » من مادة « فطر » (على وزن سَطَرَ) بمعنى الشق ، وبما ان الانشاء والخلق كأنه شق لحجاب عدم فقد استخدمت هذه الكلمة في الخلق والانشاء ، و « قِيم » بمعنى ثابت وذو استقامة .

الى هذا المعنى ايضاً .

جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام أنه عندما سُئل عن معنى الفطرة في هذه الآية ، أجاب : هي الاسلام (١) .

وجاء في الدر المنثور نقلاً عن النبي صلى الله عليه وآله بأنه قال : فطرة الله التي فطر الناس عليها ، دين الله (٢) .

وجاء في حديث مشهور روي من طرق الشيعة والسنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

« مامن مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويُمجسانه... » (٣) .

وفي الآية الثانية اقسام تعالى بأمرين : « لا أقسم بيوم القيامة ولا اقسام بالنفس اللوامة » .

يرى البعض بأن « لا » تحمل معنى النفي في هذه الآية ، فيكون مفهومها هو اننى لا اقسام بهذين الامرين ، والغرض من ذلك هو التأكيد ، كما لو نقل لأحد : انا لا اقسام بحياتك من اجل بيان ان حياتك ارقى من ان ينالها قسمي .

لكن اكثر المفسرين يرى ان « لا » زائدة جاءت من اجل التأكيد ، فبناءً على هذا اقسام الله بـ « يوم القيامة » كما أنه اقسام بـ « النفس اللوامة » ايضاً .

و « النفس اللوامة » هي وجدان الانسان وضميره الذي يلومه على ارتكاب الذنوب ، وكلما كانت الخطيئة اكبر كان توبيخ الضمير وعذاب الوجدان اشد ، وقد يقدم بعض الناس على الانتحار من اجل الخلاص من العذاب الحاصل من ارتكاب

(١) نور الثقلين الجزء ٤ الصفحة ١٨٤ الحديث ٥٤ .

(٢) الدر المنثور الجزء ٥ الصفحة ١٥٥ .

(٣) الدر المنثور الجزء ٥ الصفحة ١٥٥ وتفسير جامع الجوامع في تعليقه على الآية المعنية وكذلك في الميزان الجزء ٢١ الصفحة ١٨٨ .

الذنوب العظيمة او الجرائم البشعة ، وقد سمع او رأى اكثرنا بهذا الامر بالنسبة للقتلة الذين ارتكبوا جرائم عظيمة او الذين اقترفوا ذنوباً كبيرة .

وذكر هذين الامرين (يوم القيامة والنفس اللوامة) مقترنين بعنوان موضوعين عظيمين وقيمين يستحقان القسم بهما انما هو من اجل الدلالة على الرابطة الموجودة بينهما .. فيوم القيامة هو المحكمة الالهية الكبرى و« النفس اللوامة » هي محكمة مصفرة وقيامه تستقر في اعماق روح كل انسان ، او بتعبير آخر كأن هذا التقارن يقول بلسان الحال كيف تشكون في محكمة يوم القيامة وانتم تشاهدون في اعماقكم نموذجاً مصغراً منه ؟ انكم تلمسون ذلك كثيراً فعندما تعملون عملاً صالحاً تمثلون نشاطاً وبهجة ، فهذه السكينة وارتياح الضمير هو ثواب تمنحه إياكم روحكم ، وعندما تترفون ذنباً تألمون وتنهال عليكم سياط الضمير من اعماقكم ، فهذا العذاب هو عقاب تعينه لكم محكمة الضمير ! .

فإن كانت هناك محكمة في اعماق كل واحد منكم فكيف لا توجد هناك محكمة الهية عظيمة على مستوى الكون العظيم ؟ !

ومما يجلب الانتباه هو القسم بنفس يوم القيامة لاثبات يوم القيامة ، فكأنه يقول : قسماً بيوم القيامة إن القيامة حق (١) .

وهنا يطرح السؤال الثاني نفسه وهو إن كان هذا القسم موجه للمؤمنين فلا داعي له هنا ، وإن كان موجه للمنكرين فكيف يقسم بما لا يؤمنون به ؟ !
وللتخلص من هذه المعضلة قدّر بعض المفسرين كلمة « رب » وقالوا ان التقدير هو اقسام ربّ القيامة بأن القيامة واقعه (٢) .

واحتمل ايضاً بأن هذا القسم جاء تأكيداً للذين يؤمنون بأصل يوم القيامة الآ

(١) يجب الالتفات الى ان « ماجاء القسم من اجله » محذوف في الآية ، والدليل عليه في الجملة اللاحقة فيكون التقدير « لتبعثن يوم القيامة » .

(٢) تفسير الفخر الرازي الجزء ٣٠ الصفحة ٢١٦ .

انهم يشككون في تفاصيلها ، فالقرآن يقسم بأصل يوم القيامة لاثبات التفاصيل التي وردت بعد القسم في الآية .

وهناك تفسير آخر يحتمل ان يكون افضل من التفسيرين السابقين ، وهو ان القرآن اشار بذلك الى أن الاعتقاد بيوم القيامة بلغ من البداهة حداً كبيراً حتى أنه يُقسم به في مقابل المعاندين ، ويتعبير آخر أنه استعان بفطرتهم على دحض آرائهم . واما بالنسبة لـ « النفس اللوامة » فللمفسرين اقوال كثيرة فيها حتى نقل احدهم ستة تفسيرات لها منها : إنها للدلالة على النفس المؤمنة التي تلوم نفسها حين التقصير .

ومنها انها للدلالة على النفس الكافرة التي تلوم نفسها يوم القيامة عندما تشاهد اعمالها .

ومنها انها ذات مفهوم اشمل من المؤمن والكافر .

ومنها انها اشارة الى ادم عليه السلام بعد طرده من الجنة .

لكنّ المناسب للمقام ووجود القسم الدال على السموّ ، والشرف للاقتران بيوم القيامة هو ان النفس اللوامة هي نفوس المؤمنين الذين لم يبلغوا بعد حدّ الكمال .

توضيح ذلك : ان النفوس الانسانية على ثلاث انواع : فنوع من النفوس « مظلمة » لا ترى قيمة للقسم ولا تبدو عليها آثار السير نحو الكمال ولا التنبيه من الغفلة ولا تحمل شيئاً من آثار يوم القيامة ، فهؤلاء هم اصحاب « النفوس الأمارة » النفوس التي تأمرهم دوماً بالإساءة واقتراف الخطايا .

وهناك نفوس أخرى « نصف نورانية » تسير نحو الكمال على منهج الحق ، وهذه النفوس كلما ارتكبت خطيئة بمقتضى الحيثية المظلمة فإنها تصحو من غفلتها بفعل نور الايمان وتبدأ بلوم نفسها وتوبيخها .. ذلك اللوم الذي يصبح سبيلاً لنيل الكمال ، وهي نفس رفيعة ونموذج مصغر من مشاهد القيامة والتي تُدعى بـ « النفس اللوامة » .

وثالثاً النفوس النورانية تماماً ، فكلها «نور وصفاء» فقد تجاوزت النفس اللوامة الى مرحلة الاطمئنان والسكينة فجاءها خطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ وقد أمرت بالرجوع الى منبع الكمال المطلق بخطاب ﴿ازْجِعِي﴾ فدخلت في روضة عباد الله الصالحين فهي ﴿رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ﴾ .

وقصاريّ الكلام في تفسير هذه الآية وكيفية دلالتها على المراد هو إنّ هذا التقارن بين القسمين وبالالتفات الى فصاحة القرآن وبلاغته لا يمكن ان يكون مصادفة ، بل يجب ان تكون هناك علاقة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة ، وهذه النسبة هي ان كل انسان (إن لم تنحرف فطرته بفعل التربية الخاطئة) له وجدانٌ يؤنبه عند ركوب الخطايا ويستحسن فعله للخير .

وهذا الوجدان الشخصي الذي هو عبارة عن محكمة صغيرة تستقر في روح الانسان ، دليل على ضرورة وجود ضمير كبير لهذا العالم العظيم يحاكم ويلوم المجرمين ويعاقبهم ، وما هذا الضمير الكبير الا يوم القيامة .

توضيحات :

١ - المعاد من وجهة نظر الفطرة :

إنّ المسائل الفطرية وان كانت ادراكية لا استدلالية ، واضحة ومرئية لامسومة ، بل يجب على كلّ شخص البحث عنها في اعماقه ليعثر عليها ، ولكن مع ذلك ومن أجل مساعدة الجميع في البحث وسماع صوت الوجدان بسهولة ، ومن أجل قراءة كتاب الفطرة بتأني ، وكذلك للحصول على بيان مُقنع للتحدث به امام المعاندين فإن التوضيحات التالية تعتبر ضرورية :

١ - اذا كنّا خلقنا للفناء فما معنى حبّ البقاء ؟

لا يمكن لأحد ان ينكر هذه الحقيقة وهي فراره الدائم من الموت الذي يعتي «العدم» ، وحبّه لطول العمر ، بل حبّه للخلود .

إنّ السعي من أجل البقاء والسعي من أجل الحصول على « اكسير الشباب » والسعي للحصول على « ماء الحياة » الذي ذكرت له نماذج في طيّات كتب تاريخ البشرية ومساعي العلماء واشعار الشعراء كلها بسبب حب البقاء عند الانسان كما إن حب الانسان لابناءه الذين يعتبرون امتداداً لحياته هو دليل على الحب الغريزي للبقاء أيضاً .

فلو كنّا مخلوقين من أجل الفناء فإن وجود هذه العزيزة لدينا يكون عبثاً ، ولا يكون في الحقيقة إلا حباً مضرراً لا هدف من وجوده فكيف يضيف الخالق الحكيم الى وجودنا مثل هذا الامر المضر الزائد : (يرجى الالتفات الى أنّ بحث المعاد يأتي بعد اثبات بحوث التوحيد والايمان بالذات المقدسة الالهية) .

في الواقع ان وجود الغريزة في الانسان يدل على وجود طريق لاشباعها وتلبية متطلّباتها ، فالعطش دليل على وجود الماء ، والجوع دليل على وجود الغذاء ، وحب الجنس الآخر دليل على وجوده فإن لم يكن الامر كذلك فهو لا يتلائم مع حكمته تعالى .

بناءً على هذا يعتبر حبّ البقاء المغروس في فطرة الانسان دليلاً واضحاً على الحياة الخالدة .

وللعالم المعروف المرحوم الفيض الكاشاني حديث ظريف في هذا المجال ، قال « كيف تفنى الروح الانسانية وقد اودع في طبيعتها حبّ الوجود والبقاء بمقتضى حركته كما أنّه اودع في نفس الانسان بغض العدم والفناء ؟ ! بينما قد ثبت استحالة البقاء والخلود في هذا العالم ، فإن لم يكن هناك عالم آخر ينتقل اليه الانسان فإن هذه المسألة العزيزة الارتكازية التي اودعها الله في فطرة الانسان ، اي حبّ البقاء الدائم

والحياة الخالدة سوف تصبح عبثاً ، والخالق الحكيم قد تنزّه عن اللغو والعبث ، (١).
او على حدّ تعبير احد العلماء المعاصرين : ان تعطّش البشر لحياة خالدة بلغ
من السعة والقوة بما لا يمكن معه القبول بأن مثل هذه الامال لا تتحقق .

٢ - إن لم يكن المعاد امراً فطري فلماذا لم يتخلص منها الانسان على مرّ
العصور ؟

إنّ عادات وتقاليد الشعوب في تغيير دائم ، فالثقافة بصورة عامّة تابعة للتغيير،
فلا يبقى شيء ثابت على مرّ العصور من دون أن يتأثر بمسار الزمان الاّ امور غرزت
جذورها في اعماق الفطرة .

وبناءً على هذا التوضيح فإن فصل المسائل الفطرية عن الامور المعتادة امرّ
عسير ، ويتعبّر آخر فإنّ كل شيء يحافظ على بقاءه على مرّ التاريخ (وان اختلفت
مظاهره) يمثل بقاءه أفضل دليل على كونه امر فطري ، وما قلناه يصدق تماماً على
مسألة اهتمام الانسان بالحياة بعد الموت (فتأمل) .

يقول علماء النفس المعاصرين : إن العقائد الدينية ، والتي تعتبر مسألة
الاعتقاد بالمعاد واحدة منها ، رافقت الانسان على الدوام حتى في عصور ما قبل
التاريخ .

وكمثال لذلك ننقل كلام « صاموئيل كنيغ » الذي ورد ذكره في كتاب علم
الاجتماع ، قال : « العقائد الدينية لا تختصّ بعالمنا المعاصر فحسب ، بل ثبت من
خلال الكشفيات التاريخية الموثقة بأن المجتمع البشري القديم كانت لديه نوع من
العقائد الدينية ، فاسلاف بشرية اليوم (النياندرتال) كان لهم دين ايضاً لأنهم كانوا
يدفنون امواتهم تحت التراب بصورة خاصّة ، ويدفنون معهم الآلات التي كانوا
يستخدمونها في اعمالهم خلال حياتهم ، وقد اثبتوا بسلوكهم هذا بأن هناك عالم

(١) علم اليقين - المرحوم الفيض الكاشاني - الجزء ٢ الصفحة ٨٣٧ .

آخر، (١).

إنَّ التَّأصل العميق للعقائد الدينية بين بني الانسان يعد بحد ذاته دليلاً على ان
العقائد الدينية امور فطرية .

٣ - هل يعقل ان توجد في اعماقنا محكمة صغيرة بينما لا توجد في هذا
الكون الكبير محكمة عادلة ؟

إن وجود الوجدان الاخلاقي أو بتعبير آخر وجود محكمة الضمير امرٌ
محسوس لدى الجميع ، فكل انسان يطير فرحاً ويشعر بالرضا العميق عندما يقدم
خدمةً انسانية عظيمة وينقذ مجموعة من المظلومين والمحرومين ، وكل من يقترب
بجريمة فيقع فريسة في مخالف الاضطراب ويشعر بالآلام عميقة . (إنَّ الحديث هنا
لا يشمل المجرمين المدمنين على الاجرام الذين مسخت فطرتهم بسبب تكرار
ارتكابهم للذنوب ، بل الحديث عن سائر الناس) .

فيتضح حينئذٍ بأن الاعتقاد بالمعاد يكمن في اعماق البشر من دون حاجة
الى استدلال آخر لاثباته مع توفر ما لا يحصى من الادلة العقلية لاثباته .

٢- برهان الحكمة :

تمهيد :

لو القينا نظرة اجمالية على عالم الوجود لرأينا ان كل المخلوقات لم تخلق الا لغرض معين موافق للحكمة وخاضع لقوانين ومسارات محدّدة .
ثم لنلقي نظرة على حياة الانسان ولنفرض بأن « الموت » هو نهاية كل شيء بالنسبة له ، فبقاء الانسان لمدة معينة مع ما يواجهه من صعوبات مع تناول مقدار من الغذاء والماء ثم يموت وينتهي كل شيء سيكون عبثاً وبلاهدف ، ومن البديهي فإنّ شيء كهذا لايمكن ان يعتبر هدفاً من خلق الانسان . كما انه لايمكن ابدأ ان يتلائم امر كهذا مع حكمة الخالق الحكيم .

وقد جاء هذا المعنى بصورة حية وملموسة في آيات القرآن المجيد فلنستمع لما جاء في هذا المجال الآيات التالية :

١ - ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

(المؤمنون / ١١٥)

٢ - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ

(الحجر / ٨٥)

لَآتِيَةٌ﴾ (١)

(١) وهناك آيات اخرى في القرآن المجيد مثل الآية ٢٧ من سورة الصفحة الآية ٣٨ من سورة الدخان والآية ١٩١ من سورة آل عمران تحدثت ايضاً عن اهداف الخلق ، ولكن بما انها لم تُشر بصراحة لمسألة المعاد ومحكمة القيامة فقد اعرضنا عن ذكرها ولم نجعلها ضمن الآيات المذكورة اعلاه .

٣ - ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ... أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْبِيَ الْمَوْتَى﴾
(القيامة / ٣٦ - ٤٠)

جمع الآيات وتفسيرها :

الحياة بلا معاد لا معنى لها :

اشار القرآن المجيد الى أوضح أدلة المعاد من خلال جملة قصيرة نافذة المعنى ، قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ .
أي ان لم تكن هناك قيامة وكانت حياتكم تتلخص في هذه الايام المعدودة لكانت حياتكم عبثاً ولم يكن لها اي قيمة ، والحياة الخالدة هي التي تعطي لحياتكم معنى في هذه الدنيا وتخرجها من دائرة العبث وتجعلها متسقة مع الحكمة الالهية .
ولاجل هذا ختم تعالى هذه الآية بقوله : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ فوجوده حق من جميع الجهات ، ولا يجد الباطل منفذاً له ، وإنَّ العبث واللاهدفية امرٌ باطل والحق لا يتلائم مع الباطل .

و « عبث » - على حد قول صاحب مقاييس اللغة - وصاحب « المفردات » في الاصل بمعنى الشوب والخلط ، ثم أطلقت على الامور غير الهادفة والتي لا تحتوي على هدف صحيح .

وقال في « لسان العرب » هي بمعنى اللعب ، وإن عدّوا الخلط من معانيها ، واطلقت اجمالاً على الاعمال غير الهادفة والباطلة والخالية من الاغراض العقلانية ، ولاشي من هذه المعاني يصدق على خلق الانسان.

وقد ورد نفس هذا المعنى في الآية الثانية ويقال آخر قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ . ثم اضاف على الفور : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ .

من المحتمل ان يكون ذكره لهاتين العبارتين مقترنتين دليلاً على هذا الأمر فإن كان الهدف من خلق هذا العالم العظيم مع كل ما فيه من العجائب والبركات والنعم وكل هذه الاسرار الخفية من أجل عدّة ايام من الحياة المادية الدينية فحسب ، فهو امرٌ باطل ولا يتلائم مع الحق اذن فالحياة الاخرى تعطي معنى وحقانية لهذه الحياة . ففي الآية السابقة كان الحديث يدور حول « سلب العبث » من خلق الانسان ، وفي هذه الآية يدور الحديث حول « حقانية » خلق كل العالم ، وكلاهما يرميان نحو هدف واحد ، وهو إنّ الحياة الدنيا اذا ما جردت عن الحياة الآخرة فإنها سوف تكون امراً باطلاً لا غرض منه وخالي من كل معنى ، وهذا مما لا يصدر عن الحكيم ابداً . وجاء في تفسير الميزان : إن المراد من الحق في هذه الآية هو ما قابل اللعب والباطل ، والدليل على ذلك هو جملة « وان الساعة لآتية » ، وتفسير « الحق » بمعنى « العدل والانصاف » غير صحيح (١) .

والجدير بالالتفات هو أنّ الله تعالى أمر رسوله بالعتف والصفح .. ذلك الصفح الجميل الخالص الذي لا يشوبه حتى اللوم والعتاب ، قال تعالى : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ .

ومن المحتمل ان يكون هذا التعبير اشارة الى هذا المعنى وهو : يا أيها النبي بما أن الهدف من الخلق هو تربية البشر واعدادهم لمرحلة الآخرة ، فإنه عليك ان تراعي جميع اسس التربية التي يعتبر الصفح والعتف والرافة واللين من ضمنها ، وبالاخص مراعاة ذلك مع الجهلة والمتعصبين .

ومن الجدیر بالذكر ايضاً أن مفهوم الآية الاولى هو إن لم تكن هناك آخرة فإن

خلق الانسان يكون « من العبث » ، ومفهوم الاية ، الثانية (طبقاً للتفسير المذكور اعلاه) هو : إن لم تكن هناك آخرة فإن خلق كل العالم يكون باطلاً وعبثاً ، فمن المحتمل ان يكون السبب في ذلك هو بيان سمو ثمرة الخلق وهي الانسان وسمو شجرة الخلق وهي العالم ، فان لم تكن هناك حياة خالدة تتمثل في الآخرة فسوف يكون خلق « الثمرة » و « الشجرة » كلاهما امراً عبثاً وغير هادف ! .

والمراد من تعبير « ما بينهما » شمول جميع اصناف الملائكة وكذلك النور والحرارة والسحاب والهواء وانواع الغازات ، بل تشمل في احد ابعادها اصناف الموجودات التي تعيش على وجه الارض من البشر وجميع انواع الحيوانات الاخرى والنباتات .



وفي الآية الثالثة والاخيرة أشار الى الهدف من خلق الانسان ، واوضح العلاقة التي تربطه بالمعاد ، قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ثم اشار الى خلق الانسان من ماء مهين (النطفة) وأشار الى مراحل تكامله في الرحم فأضاف ، ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى ﴾ .

وبهذا يتضح بأن الهدف من خلق الانسان لا يحصل اذا جُرد من الحياة الآخرة . فان فعل الخالق الحكيم لا يخلو من الهدف وهذا أمرٌ بديهي ، ومن البديهي ايضاً ان النفع الحاصل من أفعاله لا يعود اليه بفائدة ، وذلك لأنه غير محدود وغني بالذات من جميع الجهات . إذا فلا يعود النفع الالعباده ، ولكن هل من الممكن ان تكون هذه الحياة القصيرة المشوبة بأنواع المصائب هي الهدف من هذا الخلق العظيم ؟ كلاً طبعاً .

لذا لا يبقى امامنا طريق إلا القبول بثبوت الآخرة واعتبارها هي الهدف من هذا المسير التكاملي للانسان .

و«سدى» (على وزن هدى) - نقلاً عن كتاب «التحقيق» - في الاصل بمعنى التحرك العبثي الخالي عن الفكر والتدبير والبرمجة الصحيحة . من اجل هذا اطلقوا على الجمال التي تجول في الصحراء من دون راع «ابل سدى» ، وقيل بأن «سدى» (على وزن وفا) اطلقت على الندى الذي يتساقط ليلاً ، لأنه لا يتساقط بنظم معين ، واطلقوا «سدى» على مأمّد من خيوط القماش قبل أن تُحاك بالكامل ، لأنه قبل الحياكة يكون مهملاً وغير مفيد .

وقصارى الكلام هو إنّ الآية تقول من خلال استفهام انكاري يمكن ان يترك الانسان مع كل هذه الاستعدادات والطاقات الفكرية والجسمية والامكانيات المختلفة بدون ان يوضع له برنامجاً معيناً ؟ ثم تستنتج من كل ذلك مسألة حتمية التكاليف والمسؤولية ثم حتمية وجود المعاد .

توضيحات :

هل يمكن للعاقل ان يعتبر الايام المعدودة من هذه الحياة هي الهدف من

الخلق ؟

ان مما لاريب فيه ان العالم الذي نعيش فيه عظيم جداً ودقيق ومنظم ، فالفكرة الارضية هي احد كواكب المنظومة الشمسية ، ثم المنظومة الشمسية بدورها تعتبر أحد اجزاء المجرة ، ومجرّتنا ايضاً واحدة من المجرات اللامتناهية في العدد الموجودة في هذا العالم .

جاء في كتاب (جولة في اعماق العالم) لمؤلفه البروفسور «كارل فليسيش»

الذي يسافر الى اطراف هذا الكون الفسيح عبر اجنحة الخيال :

« ان هذه المجموعات الضخمة التي تدور حول محورها تسبح في الفضاء

بفواصل عظيمة جداً مما يجعل تصورها امراً عسيراً .

فكل واحدة من هذه المجرات تتألف من عدّة مليارات من النجوم والمسافة الفاصلة بين هذه النجوم تبلغ من العظمة حداً احياناً يحتاج النور (مع مألديه من سرعة هائلة) لاجتياز هذه الفواصل الموجودة بين النجمتين متقابلتين واقعتين في محيط تلك المجرة الى مئات السنين من الزمان ، (١) .

وإذا اضعنا لهذا الكلام هذه الجملة وهي إن علماء الفلك المعاصرين توصلوا من خلال تحقيقاتهم الى ان ماتحتويه مجرتنا من النجوم يقارب مئة مليار نجمه على الأقل ، وماتوصل اليه العلم الحديث هو اكتشاف الف مليون مجرة في هذا العالم ، - هذا من ناحية العظمة - .

واما من ناحية الدقة الموجودة في كل جز من اجزاء هذا العالم فإننا اذا قارنا الدقة الموجودة في خلية واحدة بالدقة الموجودة في مدينة صناعية كبيرة بجميع ماتحتويه من مصانع فسوف يمكننا حينذاك تصور هذه الدقة .

ومن بين المخلوقات يعتبر الانسان أكمل الموجودات التي نعرفها على اقل تقدير ، لما فيه من نظام خاص للروح وللجسم ، ولاحتوائه على العجائب والدقة والظرافة ، فإذا كانت جوهرة عالم الخلق (اي الانسان) هي عبارة عن عيشه لأيام معدودة في هذا العالم لقضاء حياته في دور الطفولة والضعف حيناً وفي دور الشيخوخة والعجز حيناً آخر وتتأرجح به امواج الشباب مدّة وفي مدّة اخرى يكون سالماً وأخرى مريضاً ويقضي اكثر مدّة حياته في توفير متطلباته الحياتية التي تتلخص في « الغذاء والنوم » ثم في نهاية المطاف يموت ويفنى ، فباله من أمر قبيح وبعيد عن الحكمة ، فإننا عندما نقول إنّ الله حكيم فهذا يعني بأن جميع افعاله مطابقة للحكمة أليس من الحكمة ان تكون جميع افعاله ذات اهداف واضحة ومبرمجة ؟ وهل يجوز ان يكون هدفه جلب النفع لنفسه مع انه غني من جميع الجهات ولديه جميع

الكمالات من غير ان تكون محدودة بحد ، فإن كان النفع من افعاله لا يعود على العباد فمن البديهي ان لا تكون تلك الحياة المادية المحدودة في هذا الدنيا هي الهدف الرئيسي من هذا الخلق العظيم . تلك الحياة التي ينطفئ بصيصها في طرفة عين .

أليس مثل هذا كمثل المهندس الذي يصنع محركاً صناعياً عظيماً ودقيقاً خلال سنين متعادية فيحطمه فور تشغيله والانتهاه منه ؟ فهل هذا من الحكمة ؟

ألا يشبه هذا الامر تربية طفل في رحمٍ صناعي وبذل جهود مضية في سبيل ذلك حتى يوشك على الاكتمال ويستعد للحياة ثم قتله !

إن الماديين الذين لا يؤمنون بالله والمعاد ، يرون بأن الحياة غير هادفة وأنها خالية من اي مفهوم ، وهم محقّقين في ذلك بهذه النظرة ! لأنّ الحياة عند تجريدتها عن المعاد تصبح غير هادفة وعديمة المعنى .

لذا فإن من آمن بالله وحكمته ليس له الا الاقرار بأن حياة الانسان لا تنتهي بالموت ، وإنّ هذا العالم يشبه رحم الأم الذي يحمل الانسان ويُعدّه للخروج الى عالم آخر . ومن البديهي ان الحياة داخل رحم الأم لا تُعتبر الهدف النهائي ، بل تُعتبر مقدمة لحياة اخرى اوسع .

٣- برهان العدالة

تمهيد :

إننا نعلم بأن « العدل » أحد صفات الباري تعالى تلك العدالة التي يدل عليها كل جزء من اجزاء عالم الوجود كالسما والارض ، ووجود الانسان وضربات قلبه وجريان دمه في عروقه .. إلخ وذلك لأنه ﴿ بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (١) .
فهل يمكن أن يُستثنى الانسان من هذا العالم الواسع ؟ ولا تشمل العدالة المهيمنة على هذا العالم ؟

ومن ناحية اخرى : إنَّ التاريخ البشري والاحداث المعاصرة اثبتت بوضوح بأن احقاق حق المظلومين ومعاقبة الظالمين لا يتم بصورة كاملة في هذا العالم وليس بالامكان حتّى مشاهدة ذلك إلا بنحو « القضية الجزئية » ، إذن بمقتضى العدالة الحاكمة على هذا العالم والتي تعتبر جزءاً من عدالة الله تعالى يجب ان يكون هناك يوم لمحاسبة اعمال جميع البشر بدقّة متناهية ومن دون اي استثناء ، وذلك اليوم هو الذي نطلق عليه اسم القيامة .

بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن المجيد ونستمع خاشعين الى الآيات التالية :

(١) تفسير الصافي في ذيل الآية ٧ من سورة الرحمان .

١ - ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

(القلم / ٣٥ - ٣٦)

٢ - ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾

(ص / ٢٨)

٣ - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١)

(الجاثية / ٢١ . ٢٢)

جمع الآيات وتفسيرها :

العدالة لا تتحقق بدون القيامة :

قال تعالى في الآية الاولى بعد ان أشار الى ثواب المتقين العظيم في سورة القلم : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ .

فهل من الصحيح المساواة بين هذين الفريقين ؟ وهل تقتضي العدالة ذلك ؟ ثم اضاف وقال : ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ .

لا يمكن للعادل القبول بأن عاقبة المسلم والمجرم ، والمطيع والعاصي ، والعاقل والظالم تكون واحدة ، أو أن ينسب هذا الامر الى الله الذي راعى الدقة

(١) وقد استدلوا في هذا المجال بآيات اخرى ايضاً مثل : الآية ٥٩ من سورة يس والآية ٧ و ٨ من سورة الزلزال والآية ٤٧ من سورة الانبياء ولكن بما أن دلالاتها غامضة فقد اعرضنا عن ذكرها.

والعدالة في جميع افعاله .

وهناك احتمالان للمفسرين في تفسير هذه الآية :

الاحتمال الاول : إن هذه الآية تشير الى مسألة المعاد ، لأننا نرى بأن المسلم والمجرم متساويين غالباً في هذه الدنيا ، بل قد يحصل المجرم على امتيازات لامشروعة في هذه الدنيا اكثر مما يحصل عليه المسلم ، إذاً يجب ان يتفوق «المسلم» على «المجرم» في الآخرة ، لأنها من مقتضيات العدالة .

والاحتمال الثاني هو إن هذه الآية أتت جواباً لقوم مشركين كانوا يقولون : لو كانت هناك قيامة فإننا سوف نتمتع بظروف حسنة كما نحن عليه في هذه الدنيا كما يقال : (السَّنةُ الجيدة تعرف من ربيعِها) فأجابهم القرآن : هل من الممكن ان يساوي الله العادل بين المسلمين والمجرمين ؟ .

ولا يوجد هناك منافات بين هذين التفسيرين على الظاهر ، بل يمكن حمل مفهوم الآية على كلا المعنيين .

وتبقى هناك ملاحظة وهي ان هذه الآية الشريفة تثبت حكم العقل بالحسن والقبح والادراكات العقلية الاخرى بقطع النظر عن تأييد الشرع لذلك . (فتأمل) .
والملفت للنظر ان الفخر الرازي في بداية حديثه عدّ هذه الآية من ادلة «الحسن والقبح العقليين» ، قال : ويقبح بحكم العقل طبقاً لهذه الآية ما نقل عن مذاهب أهل السنة بأنه يجوز لله ان يُدخل الكفرة الجنة وان يُدخل المطيعين النار ، ولكن بما أن الرازي من الاشاعرة ومن منكري الحسن والقبح العقليين فقد اجاب : إن انكار هذه المساواة من باب الفضل والاحسان الالهي لامن باب ان لأحد حق عليه تعالى (١) !! .

إن ضعف هذا الرأي لا يحتاج الى دليل فقد امرهم القرآن بصراحة بأن يحكموا العقل في هذه الموارد ثم خاطبهم بخطاب مشوب باللوم والتوبيخ في قوله :

﴿مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟﴾

اي ان هذا الرأي لا يلبق بالانسان العادل ، وهذا دليل واضح على اثبات حاكمية العقل والمنطق في مثل هذه الامور .

وفي الآية الثانية تابع القرآن الكريم هذا المعنى بصراحة اكثر وبصورة اوسع ، قال تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ .

والملاحظة النظرية هنا هو ان الآية السابقة لهذه الآية وضحت هدفة من خلق السماء والارض وما بينهما في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ .

إنَّ خلق السماء والارض بالحق من ناحية وعدم المساواة بين المؤمنين الصالحين والمفسدين الفجار من ناحية اخرى يقتضي أن تكون هناك قيامة ومحكمة عادلة . وبهذا اندمج « برهان الحكمة » وبرهان العدالة في هاتين الآيتين .

أجل إنَّ من ينكر المعاد هو الذي يشك في حكمة الله وعدالته معاً ، لأنه لا يبقى في هذه الحالة هدف يليق بخلق الدنيا ولا يبقى هناك ما يميز المطيعين عن الفاسقين

ومن الجدير بالذكر هو إنَّ « المفسدين » في هذه الآية يقابلهم « المؤمنون الصالحون » وإن « الفجار » يقابلهم « المتقين » وهذه المقابلة اشارة لطيفة الى هذه الحقيقة وهي ان الانسان اذا فقد الايمان والعمل الصالح فإنه سوف يكون في زمرة المفسدين شاء ذلك ام أبى ، وإذا ما فقد التقوى اي القوة الرادعة عن ارتكاب الذنوب فسيقع في زمرة الفجار .

و « الفجار » من مادة « فجر » بمعنى الشق الواسع ، وكان الفجور شق لحجاب الدين والطاعة .

وقد تحدثت هذه الآية بوضوح عن حاكمية العقل وحجية الادراكات العقلية في مجال الحسن والقبح ، وهي دليل واضح لاثبات ان العقل يدرك بعض الحسن وبعض القبح قبل ان يصل اليه حكم الشرع ، والعجيب هو ان الفخر الرازي في هذه الآية سلم بهذا الامر ضمناً ، بينما انكره في الآية السابقة (١) .

وهذا يعني ان الانسان اذا راجع وجدانه فسوف ترتفع حجب التعصب ويعترف في قرارة نفسه بهذا الواقع .

وفي الآية الثالثة ورد نفس هذا المعنى ولكن في قالب آخر ، قال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ .

إن هذا لا يمت الى عدالة الله بصلة ، وصدور امر كهذا عنه قبيح ومحال ﴿سواء ما يحكمون﴾ . فهل يمكن ان يتساوى الحسن والقبيح أو الطهارة والرجس أو الصالح والطالح أو المؤمن والفاسق أو الظلمات والنور.. إن هذا لأمر محال .

أما في ماهو المراد من سواء محياهم ومماتهم ؟ فقد احتمل المفسرون في تفسيرها عدة احتمالات !

فقالوا تارة بأن المراد من الحياة والموت في هذه الآية هو الحياة والموت في دار الدنيا ، وذلك لأن الايمان والعمل الصالح له آثار ايجابية على كيان الانسان فهو ينير القلب وينير الفكر مضافاً الى ان المؤمن ينال هداية الله ونصره وحمايته ، بينما لا يكون الامر كذلك في حالة الكفر والعصيان ، فإن الكفر يثقل بظلامه على القلب والروح ويحرم الانسان من المدد الالهي .

وقالوا تارة اخرى : ان هذه الآية تشير الى الموت في هذه الدنيا للانتقال الى

الآخرة ، أي ان الفريق الاول يعتبر مصداقاً لهذه الآية : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ (النحل / ٣٢) . بينما يعتبر المذنبون مصداقاً لهذه الآية . ﴿فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ﴾ (محمد / ٢٧) .

وهناك احتمالات اخرى لاستحق الذكر في تفسير هذه الآية ، لكن الجمع بين التفسيرين المذكورين سهل ، وإن كانت الآية التالية لها تتناسب مع التفسير الثاني ، لأنه تعالى قال : ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ . ﴿وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١) .

وبما ان الحديث عن العدالة الالهية وحقانية خلق السموات والارض وعن ثواب وعقاب كل انسان على قدر عمله من ناحية ، ومن ناحية اخرى - وكما قلنا سابقاً - بأن هذا الأمر لا يتم في الدنيا بصورة شاملة ، اذاً يجب ان تكون هناك حياة اخرى بعد الموت لاقامة العدالة واحقاق الحق .

توضيحات :

العدل هو النظام الحاكم على الخلق :

إن كل من لديه إلمام بسيط بالعلوم الطبيعية بإمكانه ان يلاحظ بأن جميع الكائنات في هذا العالم تخضع لنظم وقوانين معينة ، ودقة هذه القوانين جعلت علماء الطبيعة يدونون فيها الكتب طبقاً لهذه المعادلات الدقيقة ، ففي مجال

(١) قال «الزمخشري» في «الكشاف» : جملة «ولتجزى» معطوفة على قوله «بالحق» ، لأنها تحمل معنى التعليل (بناءً على هذا يكون مفهوم الآية بهذا النحو : خلق الله السموات والارض ليحق الحق ولتجزى ..) ثم قال ويحتمل ان تكون معطوفة على جملة محذوفة فيكون التقدير : خلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته وتجزى كل نفس (الكشاف الجزء ٤ الصفحة ٢٩٠) .

الرحلات الفضائية مثلاً نجد العلماء قد نظموا جميع برامجهم العلمية الدقيقة بالاعتماد على هذه القوانين الطبيعية .

وبتعبير آخر إن كل ماتقع عليه انظارنا يخضع للنظم والعدالة ، وقد شملت هذه القوانين كل شيء ابتداءً بالمنظومات الشمسية وانتهاءً بأصغر ذرة .

ومن ناحية اخرى لا يمكن استثناء الإنسان من قانون العدالة السائد بمشيئة الله على جميع عالم الوجود ، ولا يتسنى له عدم الانسجام مع اجزاء الكون الاخرى لأن هذا الاستثناء ان وجد - سوف يكون من دون مرجح ، وبهذا ستوقن من وجود محكمة أُعِدَّت للإنسان ايضاً يحضر فيها جميع البشر ليتقاسموا حصصهم من العدالة الشاملة لكل عالم الوجود .

كان علماء العقائد في السابق يستدلون بهذا الدليل لاثبات مسألة المعاد ، وكانوا يحتجّون بامثلة من مظالم البشر التي انتهت في هذه الدنيا من دون تحكيم العدالة فيها . فالتاريخ يحفل بكثير من الظلمة الذين عاشوا مرفهين طيلة حياتهم حتى غادروا الدنيا ، ومظلومين ظلّوا يعانون الظلم والعذاب حتى لفظوا انفسهم الاخيرة . فهل من الممكن ان يرضى الله العادل بهذه الامور ؟ ألا تتنافى هذه المشاهد وعدالته ؟

وهكذا يصل العلماء الى هذه النتيجة بسهولة وهي ضرورة وجود عالم آخر لتطبيق العدالة الالهية في خصوص البشر ، وفي اطار مبدأ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وبناء على هذا فإن القيامة تعتبر الموضع الذي يتجلّى فيه العدل الالهي ، وهناك يجاب على جميع هذه الاستفهامات .

٤- برهان الغاية والحركة

تمهيد :

مما لاشك فيه إن الانسان قد خلق لنهاية معينة ، خلاف لما يعتقده الماديون في أنَّ خلق العالم لاله هدف ولا غاية فالرؤية الكونية للالهيين ترى وجود هدف من خلق الانسان حتماً وإنه خلال سعيه وحركته التكاملية يسير نحو ذلك الهدف .
فإن كانت الحياة تنتهي بالموت فمن البديهي أن لا يصل الانسان الى هذا الهدف ، او بتعبير آخر: إن حياة الانسان يجب ان تستمر وتمتد الى ما بعد الموت كي يصل الانسان الى التكامل اللائق به وليحصد هناك مازعه في هذه المزرعة .
وقصارى الكلام ان قبول وجود هدف من الخلق لا يجتمع وانكار المعاد ، فإننا لو جرّدنا ارتباط حياة الانسان عن عالم ما بعد الموت فإن كل الامور تأخذ طابع الابهام وتلبس ثياب الغموض .

وبهذه الاشارة نعود الى القرآن لنستمع خاشعين للآيات التالية :

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾

(الانشقاق / ٦)

٢ - ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

(فاطر / ١٨)

٣ - ﴿إِنَّا لَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

(البقرة / ٥٦)

٤ - ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾

(القيامة / ١٢)

٥ - ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (١)

(القيامة / ٣٠)

جمع الآيات وتفسيرها:

الجميع يسير نحو الله :

وجه تعالى خطابه في الآية الاولى الى جميع البشر فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ .

و «كدح» ، (على وزن مَدَح) - على حد قول عدد من المفسرين - وهو في الاصل بمعنى الخدش الوارد على الجلد ، لذا اطلقت هذه الكلمة على السعي وبذل الجهد لانه يؤثر على الروح والبدن (٢) .

وجاء في مفردات الراغب إن الكدح بمعنى السعي المشوب بالمعانات والتعب .

ولكن جاء في الميزان : بما أن «كدح» تعدت بـ «الى» فهي تعني السير والحركة (ولا تضاد طبعاً بين هذه المعاني) (٣) .

(١) هناك ايات اخرى متعددة في القرآن ايضاً تناسب مع الآيات المذكورة اعلاه ترى بأن الكل يرجع الى الله مثل : (العلق / ٨) ، (المؤمنون / ١٠٨) ، (الانعام / ١٠٨) ، (الانبياء / ٩٣) ، (الجاثية / ١٥) .

(٢) تفسير الكشاف وروح المعاني والفخر الرازي ، في تعليقهم على الآية المعنية .

(٣) الميزان الجزء ٢٠ الصفحة ٣٦٠ .

ومن مجموع ماتقدم نستنتج بأن القرآن المجيد شبه البشر بقافلة بدأت مسيرها من نقطة العدم فوضعت اقدامها في اقليم الوجود ، ثم إتجه من هناك نحو الرب كي تصل الى لقاءه والتعبير بـ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبَعُونَ﴾ (النجم / ٤٢) يشير الى هذا المعنى ايضاً .

من الممكن أن ينحرف فريق عن هذا المسير ولا ينالوا لقاء الله ابداً ، لكن الاساس في خلق الانسان هو الوصول الى هذا الهدف .

و «لقاء الله» - كما اشرنا سابقاً - يعني مشاهدة الرب مشاهدة قلبية والوصول الى مقام الشهود القلبي الذي يصل اليه الانسان عن طريق سيره التكاملي ، وهو من اهم مقامات القرب الى الله .

وفي الآية الثانية تحدث عن الطهارة والتقوى وتزكية البشر التي يعود نفعها عليهم جميعاً ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ . ثم يضيف : ﴿وَالِىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .

والجملة الاخيرة جاءت للدلالة على ان الصالحين والطاهرين ان لم يدركوا كل مقومات التقوى والنزاهة فإنهم سوف يعودون الى الله وسوف يرون نتائج اعمالهم في دار البقاء .

على اية حال فإن جملة والى الله المصير هي تقرير لهذه الحقيقة وهي ان سير الانسان التكاملي لا ينتهي بالموت وسوف يستمر حتى يلاقي الله .

قال المفسر الكبير المرحوم الطبرسي في تفسير الآية الثالثة من آيات بحثنا : (قالوا إنا لله) هذا اقرار بالعبودية أي نحن عبيد الله وملكه « وانا الله راجعون » هذا اقرار بالبعث والنشور ، اي نحن الى حكم نصير ، ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام : ان قولنا « إنا لله » اقرار على انفسنا بالملك ، وقولنا « وانا اليه راجعون » اقرار على انفسنا بالهلك (١) .

(١) مجمع البيان الجزء ١ الصفحة ٢٣٨ ، وقد وردت هذه العبارة ايضاً في نهج البلاغة في فصل الكلمات القصار . الكلمة (٩٩) .

ومن الجدير بالذكر إن القرآن المجيد ذكر هذه العبارة بعنوان كأفضل ما يقوله الصابرون عند حلول المصائب بهم .. فهي عبارة تزيل الهم عن الانسان عند حلول المصائب وتوقظ قلبه وروحه عند مواجهة الصعاب وتطرد وساوس الشيطان عن روح الانسان في تلك اللحظات الحساسة . وذلك لأنه يعترف من ناحية بأنه وجميع ما يملك ملك لله ، فهو الذي يعطي النعم وهو الذي يسلبها ، وقد قال بعض المفسرين في مجال سلب النعم : بما أن الكريم لا يسلب ما وهب فإن سلبه يعتبر ادخار ذلك لموضع افضل ، وهذا بعينه يعتبر مواساة لمن حلت به المصيبة ومن ناحية اخرى فإنه عندما يعترف بالرجوع اليه فإن هذا التعبير هو مواساة اخرى لأنه يعني الرجوع الى مركز فيضه ولطفه ورحمته والرجوع نحو دار الخلد وموعد اللقاء مع الله .

لذا قال البعض : ان هذه العبارة من المواهب الالهية العظيمة التي من بها الله على هذه الامة كي يستعينوا بها في المصائب ، وكم من فرقٍ شاسع بين هذه الآية وبين كلام نبي الله يعقوب عليه السلام الذي قال عندما فقد يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ ﴾ (يوسف / ٨٤) ، أجل ان جملة الاسترجاع هذه لم تكن نازلة حينذاك .

وعلى آية حال فإن هذه العبارة هي عصارة التوحيد الكامل والمعاد والتوكل على الذات المقدسة الالهية في جميع الاحوال وفي كل زمان (١) .

(١) من خلال هذا التفسير يتضح تفسير الايات المتشابهة لهذه الآية مثل : الى الله مرجعكم جميعاً (المائدة / ١٠٥) ، وإن الى ربك الرجعى (العلق / ٨) ، والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون (الانعام / ٣٦) ، وإن البنا اياهم (الغاشية / ٢٥) .

وفي الآية الرابعة تجلّت هذه الحقيقة بلباس جديد بعد ان اشار في الآية التي سبقتها الى الاحداث العجيبة التي يواجهها العالم عند تأهبه للقيامة ، قال تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ .

واشار بذلك الى ان الدنيا ليست مقراً ، وان جميع العلائم تدل على ان الدنيا هي دار فناء وعدم ، وتغيير وزوال ، وعلى هذا فمن البديهي ان لا تكون الدنيا هي الهدف الرئيسي من السير التكاملي للانسان ، إذا لابد ان يكون مقر الانسان في عالم آخر.

لكن بعض المفسرين قدّروا وجود كلمة محذوفة وقالوا: المراد هو « الى حكم ربك » اي الى حكم ربك يومئذ المستقر فبحكم الله يقوم العدل ويتحقق أو بحكم الله يستقر فريق في الجنة وفريق في النار .

ولكن بما أن التقدير خلاف القاعدة ، بالاضافة الى انه لاضرورة له هنا فإننا لانرى دليلاً واضحاً لمثل هذه التفسير .

وفي الآية الخامسة والاخيرة ورد ما ذكر في الآية السابقة بتعبير جديد بعد ان أشار الى حالات المحتضر ولحظات الاحتضار وطبي سجل حياة الانسان ، قال تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ .

و « المساق » مصدر ميمي بمعنى « السوق » وهذا يدل على ان جهة سير البشر التكاملي يكون نحو الله اي نحو الكمال المطلق والكمال اللامتناهي .

وهنا ايضاً قدّر البعض كلمة « حكم » او « جزاء » وقالوا : المراد هو سوق الجميع نحو حكم الله وجزائه ، ولكن وكما اشرنا في تفسير الآية السابقة فإننا لانرى أية ضرورة لمثل هذه التقديرات ، فالتحرك يكون نحو الله تعالى .

وفي بعض آيات القرآن أشير ايضاً الى ان الذات المقدسة الالهية هي منتهى

السير التكاملي والهدف النهائي ، قال تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (النجم / ٤٢) ، وهذا دليل آخر على الحقيقة المذكورة .

توضيحات :

نهاية المطاف :

ينصب التأكيد في الآيات المذكورة على (رجوع جميع البشر الى الله) .. ذلك الامر الذي يمكن اثباته بواسطة العقل ايضاً ، لأن المجتمع البشري يشبه القافلة التي بدأت مسيرها من نقطة العدم المظلمة واتجهت نحو النور المطلق ، وهذا المسير يتم تحت ظل الربوبية وبإذنها (يجب الالتفات الى ان هذه البحوث تأتي بعد قبول مبدأ التوحيد والصفات الالهية) .

وكلمة « الرب » الواردة في هذه الآيات تدل على ان هذه الحركة تكون تحت ظل ربوبية الله تعالى وبصورة دقيقة .

ومن ناحية اخرى لو كان الموت نقطة النهاية للحركة فانها ستكون حركة غير هادفة ولا مقرر لها ، وبتعبير آخر تعتبر حركة عشوائية ، بينما يكون السير الالهي ذا هدف مناسب يسير نحوه يقيناً .

فلو تأملنا جيداً لوجدنا ان كل حركة تكاملية تسير بغية الوصول الى مرحلة أعلى ونحو نقطة وجودية ارقى هي الذات الالهية المقدسة ، بناءً على هذا فإن جميع هذه التحركات تستهدف الوصول اليه ، ومادام الهدف النهائي لم يتحقق بعد فسوف لن يهدأ الانسان ولا يقر له قرار الا بعد بلوغ جوار الله والبصل الى مقام شهود الذات المقدسة في زمرة المقربين ، (فتأمل) .

وهذا الحديث في جميع ابعاده يدل على ان السير التصاعدي للانسان لا يتوقف بالموت ، بل يستمر في العالم الآخر ايضاً ، بناءً على هذا فإن وجود الحركة والهدف يعتبر بحد ذاته دليلاً ملموساً على مسألة الحياة بعد الموت .

٥ - برهان الرحمة

تمهيد :

« الرحمة » من صفات الله الواضحة والمعروفة ، ومن البديهي ان الرحمة تعني اعطاء الفيض والنعم لمن له القابلية والاستعداد لاستيعابها .
وبما انّ الانسان له كيان خاص وله روحٌ ولجته ببركة النفخة الالهية فهو يمتلك الاستعداد للخلود وبلوغ الكمالات الرفيعة ، لذا فإن الله الموصوف بصفات الرحمن والرحيم لا يمكن أن يمنع الانسان من هذا الفيض وهذه الرحمة . ولن يقطع عنه فيضه ورحمته بسبب موته .

وهذا مانسمّيه بـ « برهان الرحمة » بعد هذا نعود الى القرآن ونستمع خاشعين لهذه الآية المباركة :

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
لِيَجْمَعَنَّكُمْ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ﴾

(الانعام / ١٢)

جمع الآيات وتفسيرها:

تنقسم هذه الآية في الحقيقة الى أربعة اقسام : ففي القسم الاول ابتداء تعالى بالاستفهام مخاطباً الرسول الاكرم ﷺ فقال : ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم اضاف بلا فاصلة : ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ أي إِنَّ أمراً كهذا لا يحتاج الى مناقشة واستدلال .

وفي القسم الثاني قال تعالى : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (كي يشمل برحمته الواسعة ولطفه وعنايته اللامتناهية جميع العباد) .

وفي القسم الثالث يُوجَّهُ نحو مسألة المعاد فيقول تعالى : ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .

وفي القسم الرابع يُوصَلُ الى هذه النتيجة : ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

ويرى عدد من المفسرين بالنسبة الى الرابطة التي تربط هذه الاقسام الأربعة مع بعضها بأن القسم الاول يختص بأمر التوحيد ، والقسم الآخر بالمعاد (أو بالنبوة والمعاد معاً) لبيان ابعاد اصول الدين الرئيسية ^(١) .

لكنَّ المرحوم العلامة الطباطبائي يرى بأن الآية بِرُمَّتِهَا تختص ببيان أمر المعاد ، وهذا التفسير أقرب الى الصَّحَّة ، ولتوضيحه نقول :

إن الله تعالى بيّن في القسم الاول من الآية مالكيته وحاكميته على عالم الوجود من خلال طرح سؤالٍ واحدٍ والاجابة عليه ، فهو يوضّح ذلك الامر بواسطة سؤالٍ ينبع جوابه من صميم الفطرة والروح حتى ان المشركين ايضاً يخفضون

(١) « تفسير الفخر الرازي » الجزء ١٢ الصفحة ١٦٤ و « تفسير القرطبي » الجزء ٤ الصفحة ٢٣٩٢ .

جناحهم له كما لو قال الأب لولده : ألم أوفرك جميع متطلبات طلب العلم والارتقاء ؟ ومن دون ان ينتظر الجواب يقول : لقد فعلت ذلك حقاً .

وبهذا يثبت أنه لا يوجد في عالم الوجود اي شيء يمكنه الوقوف امام ارادة الحق تعالى واوامره .

ثم يضيف : ان الله القادر كتب على نفسه الرحمة ، وكيف لا يكتب ذلك على نفسه عندما يكون مصدراً للفيض ولا يتخلله بخل ولا ينقصه العطاء الدائم شيئاً .

فهل الرحمة الا اعطاء النعم لمن يستحقها ويليق بها ؟ وهل هي الا اتصال كل موجود الى كماله المطلوب وفقاً لاستعداده ؟

وبعد أن أثبت هاتين المقدمتين (أي أن الله العالم منبع الرحمة من جهة ، ومن جهة اخرى لا يمكن ان يمنع فيضه ورحمته أي مانع) ذكر النتيجة في الجملة الثالثة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لأن الموت ان كان نهاية الانسان فهذا يعني ان الانسان لم يصل الى الكمال المطلوب فيبقى استعدادده للحياة الخالدة من دون اشباع أو يعني عدم وصول الرحمة الالهية اليه لوجود مانع ، ولكن بما أن المانع غير موجود وان وصول رحمته امر حتمي فإن الوصول الى الحياة الخالدة في الدار الآخرة ومجاورة الحق للبشر أمر لا شك فيه .

ومن الطبيعي ان بعض الناس يفقدون استعدادهم الخاص لنيل الحياة الخالدة ويكونون في عداد الخاسرين ، لذلك نراهم لا يؤمنون بالمعاد .

بناءً على هذا فإن « برهان الرحمة » الذي يعتبر عصارة هذه الآية هو برهان منطقي ذو استدلال تام ، وبرهان آخر غير برهان العدالة وبرهان الحكمة . (فتأمل) .

وبهذا يتضح الجواب على هذا السؤال : ان القيامة تعتبر رحمةً لبعض البشر بينما تكون نقمة على البعض الآخر . فكيف يمكن التوفيق بين هذا المعنى وبين الرحمة الالهية ؟

والجواب على هذا السؤال جاء في ذيل الآية تلميحاً إن الله تعالى منّ على

جميع البشر باستعداد نيل الرحمة ووضع بين أيديهم السبل المعدّة للوصول اليه ،
فلو اضاع فريق من البشر هذا العطاء على الرغم من امتلاكهم العقل وعلى الرغم من
وصول تعاليم الوحي اليهم - فسوف يكونون السبب في خروجهم عن دائرة الرحمة
ولاتنزل اللائمة الأعليهم !

وكل هبات الله تعالى من هذا القبيل ، ففريق يستمتعون بها وفريق يستبقون في
ضياعها ويصبح هذا الامر حاجزاً امام وصول الفيض والرحمة الالهية للفريق الآخر.
ومن الجدير بالذكر إنّ جملة ليجعنكم . . . جاءت مقرونة بـ « لام القسم »
و« نون التوكيد الثقيلة » معاً وبجملة « لاريب فيه » التي تأتي جميعها للتوكيد ، فهي
مؤكدّة بثلاثة توكيدات في آن واحد ، وهذا لأجل الدلالة على ان وقوع القيامة بالنظر
الى الرحمة الالهية امرٌ حتمي من جميع الابعاد .

وبما انّ ماقدّمناه من التوضيح يكفي لاثبات هذا البرهان فإننا لانرى حاجة
لذكر توضيحات اكثر في هذا المجال .

٦- برهان الوحدة

تمهيد :

إنّ وجود الاختلاف في الآراء والافكار من مميزات الحياة الدنيا ، حتى ان اصحاب المذهب الواحد غالباً ما ينقسمون الى فرقي متعددة ذات عقائد مختلفة . وهذا الاختلاف ينتقل احياناً من المجتمع الكبير الى العوائل ، وترى كل واحد من اعضاء العائلة يحمل عقيدة معينة ويدافع عن فكر معين . لاشك ان كل انسان يتألم لوجود هذه الاختلافات في هذه الدنيا ، ويتمنى الجميع ان يأتي اليوم الذي تفلح فيه جذور جميع هذه الاختلافات . ومن البديهي إنّ الذي خلق الانسان من اجل التكامل والهداية سوف لن يحرمه من نيل هذه الأمانى بمقتضى مقام ربوبيته وبما انّ هذا الهدف لم يتحقق في هذه الدنيا - للأسباب التي سوف نطرحها فيما بعد وللشواهد الدالة على هذا المعنى ايضاً - فإن رفع الاختلافات والوصول الى الوحدة سوف يتحقق في الدار الآخرة . فالقرآن المجيد أكد كثيراً على هذا الامر ، وهناك اكثر من عشر آيات في القرآن تشير الى هذا الموضوع وهو ان ازالة الاختلافات تتمُّ الا في الدار الآخرة ، وإنّ الله تعالى سوف ينجز هذا الامر .

بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن ونستمع خاشعين للآيات الآتية :

١ - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾

(النحل / ٣٨ و ٣٩)

٢ - ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

(الانعام / ١٦٤)

٣ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

(يونس / ٩٣)

٤ - ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

(الحج / ٦٩)

٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)

(الحج / ١٧)

جمع الآيات وتفسيرها :

متى تُحل هذه الاختلافات ؟

في الآية الاولى شرع تعالى بنقل قَسَمٍ منكري المعاد الذي ورد في نفي تحقق الدار الآخرة ، قال تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ .

(١) وهناك آيات اخرى في القرآن يشبه مضمونها الآيات المذكورة اعلاه مثل : (آل عمران / ٥٥) و (المائدة / ٤٨) و (النحل / ١٢٤) و (البقرة / ١١٣) و (الزمر / ٣) و (الجاثية / ١٧) و (الحج / ٦٩) و (الدخان / ٤٠) و (النبأ / ١٧) و (المرسلات / ١٣ و ١٤) و (السجدة / ٢٥) .

ثم يجيب تعالى بهذا الجواب : ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

بعد ذلك يبيّن الهدف من البعث فيقول تعالى : ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ .

وبهذا يتّضح بأن « رفع الاختلافات والعودة الى الاتحاد هو احد اهداف المعاد » وذلك لأن طبيعة هذه الدنيا التي تحتوي على انواع الحجب لا تسمح بزوال هذه الاختلافات ، ولكن بما أنّ يوم القيامة يوم رفع الحجب وكشف الغطاء وكشف الاسرار والسرائر فإنه سوف يتضح كل شئ في ذلك اليوم وبذلك ينتهي الاختلاف . فالمؤمنون يرسخ ايمانهم ويصلون الى مقام عين اليقين ، والكافرون واتباع المذاهب الباطلة يعترفون بخطئهم ويرجعون الى الحق .

وفي الآية الثانية ورد نفس هذا المعنى ولكن باسلوب آخر ، فبعد أن أبطل ربوبية آلهة المشركين وذكر بأن كل انسان رهين عمله وأن المذنب لا يحمل اصره غيره ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ .
فالآية الاولى تتحدث عن بيان الاختلاف وهذه الآية اخبرت عن ذلك الاختلاف فالإخبار في الواقع تعليل لما جاء في الآية الاولى وذلك لأن الاخبار الالهية في يوم القيامة يعتبر المصوّر الرئيسي لبيان الحقائق ، أو يكون « التبيين » متعلقاً بالامور المرئية و « الانباء » متعلقاً بالامور المسموعة .

وفي الآية الثالثة طُرِحَتْ مسألة الحكم والقضاء الالهي فيما اختلف فيه الناس يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

ومن البديهي ان الله تعالى عندما يحكم بينهم بنفسه في ذلك اليوم فسوف تزول الاختلافات وتتضح الحقائق كما هي .

وهذه الآية اما ان تكون اشارة لاختلاف بني اسرائيل فيما بينهم في العصور الغابرة أو انها تشير الى اختلافهم الذي ظهر في عصر الرسالة ونزول القرآن بسبب علائم ظهور الاسلام وعلائم النبي ﷺ التي آمن بها فريق منهم وجعلها آخرون حفظاً لمصالحهم الشخصية .

وقد تكون اشارة لاختلافهم الذي وقع في عصر موسى عليه السلام بعد نجاتهم من مخالب الفراعنه ومشاهدتهم هذه المعجزة العظيمة ، أو اشارة الى اختلافهم الذي حصل عند ذهاب موسى عليه السلام الى جبل الطور وظهور السامري بعجله . وبالرغم من أن أكثر المفسرين رجّحوا الاحتمال الاول إلا أن الآيات المتقدمة على هذه الآية ترجّح الاحتمال الثاني ^(١) ، كما أن الجمع بين التفاسير الثلاثة ممكن ايضاً .

وعلى اية حال يرى بعض المفسرين المشهورين أن الاختلافات من هذا القبيل لا يمكن القضاء عليها في الدار الدنيا ، ولاتنتهي الا في الآخرة عندما يقضي الله عز وجل بين الناس ويُميِّز الحق من الباطل والصادق من الكاذب ^(٢) .

وفي الآية الرابعة ورد التعبير بالحكم ، بعد الاشارة الى نبذة من اختلافات بني اسرائيل قال تعالى : ﴿ اَللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ . ولمعرفة الامر الذي اختلف فيه اليهود يستفاد من بداية الآية إنهم اختلفوا في

(١) وقد تبني التفسير الاول الفخر الرازي والقرطبي والمرحوم الطبرسي في مجمع البيان ، لكن تفسير صاحب الميزان اكثر انسجاماً مع التفسير الثاني .

(٢) التفسير الكبير الجزء ١٧ الصفحة ١٥٩ .

يوم السبت الذي يعتبر يوم العطلة الاسبوعية لليهود (واختلافهم في حكم الصيد في ذلك اليوم هل هو حرام أو حلال على الرغم من ان نبيهم ﷺ قد حرّم عليهم ذلك ، أو كان الاختلاف في ترجيح ذلك اليوم على يوم الجمعة او ماشابه ذلك) .
إنّ تأريخ بني اسرائيل يشهد على أنّهم كانوا بؤرة للخلاف والتشتت على العكس تماماً من تأريخهم المعاصر ، فهم اليوم اصبحوا يداً واحدة بسبب بعض الاحداث التي هدّت مصيرهم لاسيما مجابهتهم لمسلمي العالم .

وفي الآية الخامسة والاخيرة جاء مجموع ماورد في الآيات السابقة لكن بصورة اجمالية وعامة وتحت عنوان آخر ، فهي تشير الى الاختلافات الواسعة الحاصلة بين المؤمنين واصناف من الكفار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

والجدير بالذكر انّ « يوم الفصل » أحد الاسماء المعروفة ليوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً ﴾ . (النبأ / ١٧) وورد نفس التعبير عن يوم القيامة في آيات متعددة اخرى من آيات القرآن ايضاً .

و« الفصل » في الاصل بمعنى افتراق شيئين عن بعضهما ، ولهذا اطلق على يوم القيامة يوم الفصل ، لأن الحق يُفَصَّلُ عن الباطل في ذلك اليوم وترفع جميع الاختلافات بواسطة القضاء الالهي وبهذا يُفَصَّلُ الصالحون والطاهرون عن المسيئين والأرجاس .

قال المرحوم « الطبرسي » في « مجمع البيان » : سوف تبيّضُ هناك وجوه

أصحابِ الحقِّ وتمتلئ بالنور وتسودَّ وجوه اهل الباطل ويعمَّها الظلام^(١).
 فهل يبقى داعٍ للاختلاف بين الحق والباطل عند ظهور مثل هذه العلامات
 البينة؟

أشارت هذه الآية الى ستة أديان كانت سائدة في عصر نزول القرآن وكانت
 تمثل الاديان الرئيسية آنذاك ، قال تعالى الذين آمنوا (المسلمين) واليهود والصابئة
 (وهم اتباع يحيى عليه السلام) الا انهم انحرفوا عن رسالته فأطلقوا عليهم اسم عبدة النجوم)
 والنصارى (المسيح) والمجوس (الزرادشت) والمشركين وعبدة الاوثان ، ثم قال
 تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ .

فإذا كان الانسان في هذه الدنيا بحاجة الى الاستدلال والمنطق من أجل
 التمييز بين أهل الحق وأهل الباطل فهو في ذلك اليوم يستغني عن كل ذلك فاذا كان
 المصداق العيان فما الحاجة للبيان لأن لون الوجوه يدل على سرائر أصحابها !

توضيحات :

من خلال الآيات الخمس المذكورة وذكر خمسة عناوين مختلفة : « الانباء » و
 « التبیین » و « الحكم » و « القضاء » و « الفصل » اتضحت الحقيقة بأفضل اساليب
 البيان وإنَّ يوم القيامة يوم انتهاء الاختلافات ويوم تجلّي الحقائق وفرز الحق عن
 الباطل ويوم الحكم والقضاء النهائي .

وكيف لا يكون الامر كذلك اذا كان يوم القيامة يوم البروز ويوم الظهور ،

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم / ٤٨) ويوم رفع الحُجب وكشف الغطاء ،
﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق / ٢٢) .

إن الطبيعة المظلمة لعالم الدنيا او التي يمتزج فيها النور بالظلمة لاتفسح المجال لظهور الحقائق على ماهيَّتِها ، كالليل بالضبط فالانسان مهما يبذل جُهدَهُ لكشف الحقائق بواسطة المصابيح إلا أنَّ قسماً كبيراً منها يبقى في دائرة الظلام ، إمَّا القيامة فهي تشبه سطوع الشمس التي تكشف باسعتها كل شيء .

من الممكن ان يكتشف فريق طريقهم في الظلام إلا أنَّ فريقاً آخر يضلُّ عن الطريق ، كما أنَّه من الممكن للذين سلكوا طريقاً ما أن يصفه كل واحد منهم بوصفٍ يتناسب مع منظاره الخاص ، وهناك مثال معروف في توضيح هذا الامر وهو إنَّ عدداً من الاشخاص الذين لم يشاهدوا الفيل من قبل دخلوا في غرفة مظلمة فيها ذلك الحيوان ، ثم لمس كل واحد منهم عضواً من اعضاء الفيل ، ولمَّا خرجوا اخذ كل واحد منهم يصف ذلك الحيوان فوصفوه بصفات متناقضة ، فالذي لمس رجل الفيل وصفه بأنَّه يشبه العمود ! ومن لمس خرطوم الفيل وصفه بأنَّه انبوب كبير ، والثالث الذي لمس صدر الفيل وصفه بأنَّه يشبه السقف ، ولكن عندما أُخرج الفيل من الظلام بانَّت الحقيقة لهم ورُفعت تلك التناقضات وعلم الجميع أنَّ وصفهم كان قاصراً ! .

فالانسان - وكما اشرنا سابقاً - لديه الاستعداد التام للخروج من خضم امواج الاختلافات وان يضع قدمه في عالم اليقين وعدم الاختلاف ، ومن البديهي أنَّ الله تعالى الذي خلق الانسان سوف لن يحرمه من هذا الفيض .

فالاختلاف يسلب الطمأنينة ومن موانع الوصول الى التكامل ، والسبب في نفوذ الشك الى جذور المعتقدات في بعض الاحيان ، بناءً على هذا علينا السعي لبلوغ المرحلة التي تنتهي فيها هذه المؤثرات السلبية .

ومن الطبيعي انَّ الانبياء والاولياء عليهم السلام وضَّحوا الحقائق على قدر ماتسمع به

طبيعة الحياة الدنيا بالاعتماد على الكتب السماوية ، ولكن هؤلاء لم يكونوا ﷺ إلا كمثّل المصابيح التي تنير الطريق للإنسان ، لذا يحلّ الاختلاف محلّ الإتحاد بمجرد غياب ذلك النور عنهم ، قال تعالى في قرآنه المجيد : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (النحل / ٦٤) وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ (الجاثية / ١٧) .

وهذا دليل على أنّ الأنبياء ﷺ قد سعوا في إزالة الاختلاف الموجود بين الناس إلا أنه لم ينته كلياً .

إنّ حبّ المادّيات وجموح الشهوات والبغضاء والعداوة في هذه الدنيا هي الأسس الحاكمة على الناس وهذه الأمور هي اعظم الحجب ، وما لم ترفع لا يستطيع الإنسان أن يتقدم خطوة صوب الوحدة . لكنّ هذه الحجب سوف تفنى وتحترق جميعها فتتكشف الحقائق على ما هي عليه يوم القيامة .

٧- برهان خلود الروح

تمهيد :

تعرّض الكثير من الفلاسفة في بحث المعاد لمسألة خلود الروح واعتبروها من الادلة الحية في هذا المجال .

ومما لاشك فيه إنّ الاعتقاد ببقاء الروح يعبد لنا طريق الوصول الى اثبات المعاد والحياة الآخرة ، ولكنّ هذا لا يعني أنّ من لا يعتقد بخلود الروح لا يمكنه الايمان بالمعاد ، بل يمكن اثبات المعاد من دون ان يكون لمسألة بقاء الروح اي اثر في ذلك .

ومن المحتمل ان يكون هذا سبب عدم تأكيد القرآن على مسألة بقاء الروح ، وبتعبير آخر إنّ القرآن لا يعتقد أنّ هناك صلة ورابطة بين مسألة خلود الروح وبين المعاد - كما سنرى - ، ولكن لا يخفى انّ اثبات مسألة المعاد بالاعتماد على مسألة خلود الروح تكون اوضح وايسر كما أنّه لا يمكن انكار الاشارات الظرفية واللطيفة التي وردت في مسألة خلود الروح في القرآن المجيد ، لذا من المناسب ان نلقي نظرة اجمالية على مسألة خلود الروح من دون التوغّل في اعماق هذه المسألة ، لأنّ البحوث المتعلقة بالروح بحوث واسعة ولها ميدان عريض وتحتاج لوحدها الى تأليف كتاب مستقل او عدّة كتب لبحثها بصورة مستقلة .

نعود بعد هذه المقدمة الى القرآن المجيد ونستمع خاشعين للآيات الآتية :

١ - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُزَكُّونَ﴾

(آل عمران / ١٦٩)

٢ - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ وَلَكِنْ لَا

تَشْعُرُونَ﴾

(البقرة / ١٥٤)

٣ - ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

(المؤمن / ٤٦)

٤ - ﴿قُلْ يَتُوفَاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

(السجدة / ١١)

٥ - ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي

قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)

(الزمر / ٤٢)

(١) هناك آيات عديدة في القرآن المجيد تعبّر عن الموت بالتوفي ، وهذه دلالة لطيفة على مسألة خلود

الروح ، مثل : (النساء / ٩٧) و (الانعام / ٦١) و (النحل / ٢٧ و ٣٢ و ٧٠) و (يونس / ٤٦)

و (الرعد / ٤٠) و (غافر / ٦٧ و ٧٧) و (الانفال / ٥٠) و (الاعراف / ٣٧) و (الحج / ٥) .

جمع الآيات وتفسيرها:

استقلالية الروح :

دار الحديث في الآية الاولى حول الشهداء . فقد كان هناك عدد من ضعفاء الايمان يتألمون لهؤلاء الشهداء لأنهم ماتوا ودفنوا وحرموا من كل شيء ، لقد خاطب القرآن في هذه المناسبة الرسول ﷺ (كي يتعص الآخرون) قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

وبهذا غير نظرة الناس حول الموت تغييراً جذرياً وبالاخص نظرتهم بـ « موت الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله » ، وابان لهم بأن هؤلاء يرقدون في جوار رحمة الله ويملاً وجودهم الفرخ وينادون الآخرين بأنهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .
فهذا التعبير الحي الواضح يدل بجلاء على أن الروح خالدة وأن الشهداء احياء في عالم ارقى واعلى بكثير من هذا العالم .

فاذا كانت حياة الانسان تفنى بالموت الى الابد تصبح هذه التعبيرات مبهمه وغير مفهومه حتى في مجال اطلاقها على الشهداء ، ولن تكون سوى حفة من المجازات اللغوية لاغير .

اما الذين لم يتمكنوا من إدراك مغزى ومفهوم هذه الآية فقد إتبعوا رأي ضعاف الايمان الذين عاصروا الرسول ﷺ وفسروا هذه التعبيرات بمعنى خلود اسم الشهداء وخلود معتقدتهم او ماشابه ذلك ، بينما تبطل الآية مثل هذه النظريات قطعاً ، وقد اكدت على أن للشهداء حياة خالدة ، ومن البديهي ان لا تكون هذه الحياة حياة جسمانية ومادية لأن اجساد الشهداء الدامية قد دفنت تحت التراب ، فلن يبقى امامنا إذن الا ان نعتبرها حياة تختص بالروح عن طريق خلودها في البرزخ .

وعلى الرغم من اصرار البعض - على حد قول صاحب الميزان - ان الآية نزلت

في حقّ شهداء بدر (او على رأي البعض انها تتعلق بشهداء أحد) (إلا أنّ البديهة تفترض أنّ الآية ذات مفهوم واسع وشامل ، يشمل جميع الشهداء دون أي استثناء ، بالاضافة الى انها لاتنفي الانطباق على غير الشهداء ايضاً .

وعلى أية حال فإن لهجة الخطاب في هذه الآية والآيات التالية لها تدلّ على خلود ارواح الشهداء والتنعم بالرزق المعنوي عند ربهم وسرورهم الحاصل من نيلهم تلك النعم وذلك الفضل الالهي ، وهذه الآيات تبطل جميع الآراء والتفسيرات المنحرفة .



عن الشهداء في سبيل الله ايضاً :

ورد نفس هذا المعنى في الآية الثانية من ايات البحث بتعبير آخر ، والفرق بينهما ان الآية الاولى نزلت في شهداء أحد والآية الثانية نزلت في شهداء بدر ، إلا ان محتواهما يدل على العموم والشمول . وهناك فرق آخر بينهما هو إنّ الخطاب في الآية الاولى كان موجّهاً للنبي ﷺ أمّا في هذه الآية فقد وجّههُ تعالى لعامة المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

فعلى الرغم من احتواء الآية الاولى على تأكيدات اكثر على مسألة الحياة الروحية للشهداء من خلال ضمّها الى الآيات الاخرى ، إلا أنّ الآية الثانية بدورها تعبّر عن ذلك المفهوم ايضاً على الاخص في قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

وفي هذه الآية ايضاً تواجّهُنا أقوال لبعض قاصري التفكير الذين يرون أنّ الحياة في هذه الآية تعني الهداية او بقاء اسماء الشهداء حيّة او بقاء معتقدتهم ، وهكذا اعتبروا استخدام عبارة احياء عند ربهم يرزقون من باب المجاز وانحرفوا في

تفسيرهم وهم لا يملكون اي دليل لدعم ادعاءاتهم .
وكأن هؤلاء المفسرين لم ينتبهوا لكلمات هاتين الآيتين ابداً وإن الشهداء
بالإضافة الى وصفهم بأنهم احياء فقد ذكر بأنهم يرزقون ويفرحون ويتمتعون بأنواع
النعم الالهية ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، وخاصة في قوله تعالى : ولكن
لا تشعرول ! .

فلو كان المراد خلود اسمهم او معتقدهم أو إحياءهم يوم القيامة لما كان
إطلاق اي واحد من هذه التعبيرات المذكورة بحقهم صحيحاً .
وبهذا شيد القرآن اساس بحث خلود الروح وبدأه بذكر خلود حياة الشهداء .

عذاب آل فرعون في البرزخ :

تَحَدَّثُ الآية الثالثة عن عاقبة طائفة ظالمة وهي « طائفة آل فرعون » وصورت
حالتها في البرزخ في قبال حال الشهداء ، فهي تصفها بعد الموت على هذا النحو :
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
العَذَابِ﴾

إن مما لاشك فيه ان النار التي يُعرض عليها آل فرعون في الصباح والمساء نار
البرزخ ، وذلك لأنهم ماتوا ولم تقم القيامة حتى الآن ، بالإضافة الى ذلك فإن القيامة
ليس فيها صباح ومساء بل هم في اشد العذاب على مر الزمان (كما يشهد على ذلك
ما جاء في ذيل الآية) .

وهذا التعبير شاهد حي وملموس آخر على خلود الروح ، لأن ما يعرض على
جهنم صباحاً ومساءً إن لم يكن الروح فما هو اذاً ؟ هل هو الجسد المجرد عن الروح
الذي اصبح تراباً ؟ كلاً طبعاً ، لأن هذا لا يتأثر ابداً ، اذاً يجب ان تبقى ارواحهم خالدة
حيّة كي يعرضوا على العذاب غدواً وعشياً في عالم البرزخ .

ويحتمل أن يكون السبب في استخدام كلمتي « الغدو » و « العشي » في الآية الشريفة أنّ هذين الوقتين من الاوقات التي كان الطواغيت يتجهون خلالها ويبرزون سطوتهم ومن الاوقات التي يستغلونها في اللهو والبذخ .

وأما التعبير بـ « يُعرضون » فإنه لايعني دخولهم النار وهذا مما لاشك فيه ، وهو غير مأرید في ذيل الآية ، ومن المحتمل ان المراد منه الدلالة على اقتراب النار منهم ، فهم يقتربون من النار في عالم البرزخ ويلجونها يوم القيامة ! .

لقد استدل الكثير من المفسرين بهذه الآية على عذاب القبر أو البرزخ ^(١) ، ومن البديهي ان عذاب القبر (أو البرزخ) لامعنى له من دون خلود الروح .

جاء في الحديث المروي عن الرسول الأعظم ﷺ انه قال :

ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة ^(٢) .

وهذا الحديث يشير الى أنّ الثواب والعقاب البرزخي لا يختص بالشهداء وآل فرعون بل يشمل الجميع .

قبض الارواح ا

وفي الآية الرابعة (والايات المشابهة لها) نلاحظ تعبيراً آخراف في هذا المجال ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ .

(١) « مجمع البيان » الجزء ٧ الصفحة ٥٢٥ ، « تفسير الفخر الرازي » الجزء ٣٧ الصفحة ٧٣ ، « القرطبي » الجزء ٨ الصفحة ٥٧٦٣ ، « الميزان » الجزء ١٧ الصفحة ٣٥٤ .

(٢) نقل هذا الحديث صاحب معجم البيان عن صحيح البخاري ومسلم (الجزء ٧ و ٨ الصفحة ٥٢٦) .

والتعبير الجديد واللطيف في هذه الآية « يتوفاكم » من مادة « التوفي » (على وزن الترقي) قال الراغب في المفردات « وافى » في الاصل بمعنى وصول الشيء الى الكمال ، بناءً على هذا فإن « التوفي » يكون بمعنى أخذ الشيء بصورة كاملة وهذا التعبير يدل بوضوح على هذه الحقيقة ان الموت لايعني الفناء ابدًا ، بل نوع تام من انواع القبض والاخذ اخذ روح الانسان بصورة تامة ، دليل واضح وملموس على ان روح الانسان لا تفنى بعد « التوفي » (اي الاخذ الكامل) لها .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الآية وردت في الجواب على منكري المعاد ، وقد نُقل عنهم في الآية السابقة قولهم : ﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ءَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ .

فأجابهم تعالى في هذه الآية : « انكم لستم اجساد فحسب كي تضلوا بعد الموت ، بل إن الروح هي الاصل في وجودكم و التي تتوفاها الملائكة ، وسوف تُعادون وتحشرون يوم القيامة (بالجسم والروح معاً) وكما قلنا آنفاً بأن هذا التعبير قد تكرر ذكره في آيات متعددة في القرآن وقد اكّد عليه كثيراً .

إن خطاب الآيات القرآنية فيه ارشاد للاثبات بعدم النظر الى الموت بمنظار مادي ابدًا ، فالماديّون يعتقدون بأن الموت نهاية الطريق بالنسبة للانسان وينادون دائماً بهذا الشعار : ﴿ إِنَّ هِيَ الْأَحْيَاتُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ بينما لا يكون الموت إلا عبارة عن الانتقال من « الحياة الدنيئة » الى « الحياة الراقية » ويتم ذلك الانتقال بواسطة ملائكة الله .

وفي بعض الموارد نسب الله التوفي الى نفسه : قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ .

وقال في موضع آخر : ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ (يونس / ١٠٤) . ومن البديهي لا يوجد هناك تناقض بين تعبيرات القرآن الثلاثة المذكورة (التوفي من قبل الله والتوفي بواسطة ملك الموت والتوفي بواسطة الملائكة) ، لأن

هؤلاء جميعهم يطيعون امر الله ، والله عز وجل هو الفاعل الحقيقي ، كما ان الملائكة التي تتوفى الارواح لهم رئيس ايضاً الذي يسمى بملك الموت وسائر الملائكة الموكلين بقبض الارواح يعتبرون مسيرين من قبل هذا الملك .

* * *

وفي الآية الخامسة والاخيرة ورد هذا المعنى نفسه مع مقارنة وضع الانسان عند النوم مع وضعه عند الموت ، وقد عبّر بـ « التوفى » عن كلتا الحالتين ، قال تعالى : ﴿اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضٰى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاٰخَرٰى اِلٰى اَجَلٍ مُّسَمًّى اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾ .

و « انفس » جمع « نفس » بمعنى الروح ، والمراد من الروح هنا الروح الانسانية ويستفاد من الآية المذكورة انّ روح الانسان تقبض في كلا الحالتين ، حال الموت وحال النوم ، مع فارق واحد انّ التوفى في حال النوم غير تام حيث تعود الروح ثانية الى الجسد ، اما في حال الموت فلا عودة لها . (وهناك طبعاً من ينتقل من حالة النوم الى الموت مباشرة ولا يستيقظ من نومه ابداً ، وقد اشارت الآية المذكورة لهذه الحالة ايضاً) .

وعلى حد تعبير بعض المفسرين : « إنّ للروح ثلاث حالات ، فتارةً يشع نورها على ظاهر البدن وباطنه ، واخرى على الظاهر فقط ، وثالثة ، ينقطع اشعاعها عن الظاهر والباطن معاً . فالحالة الاولى حالة اليقظة ، والثانية حالة النوم ، والثالثة حالة الموت ^(١) .

ولمزيد من الايضاح يجب الالتفات الى هذه الحقيقة وهي ان الانسان له ثلاثة

انواع من الحياة .

« الحياة النباتية » وهذا يعني أنّ خلايا البدن تتغذى وتنمو وتتكاثر (كما هو

الحال في النباتات) .

« الحياة الحيوانية » التي تشتمل على الحس والحركة ، والحركة هنا تشمل

الحركة الارادية كالمشي حركة اليد والرجل أو الحركات غير الارادية كضربات القلب

وغيرها من الحركات .

« الحياة الانسانية » التي تختص بالادراكات الرفيعة التي يمتلكها الانسان التي

تتعلق بالارادة وتحليل المسائل المختلفة والابداع والابتكار والشعور بالمسؤلة .

ومما لاشك فيه ان النوعين الاول والثاني من انواع الحياة لا يسلب من الانسان

حال النوم ، والنوع الثالث الوحيد الذي يخرج عن اختيار الانسان في تلك الحالة .

ومما يجدر ذكره أنّ هذه الآية تفيد بأن النوم « موت مخفف » أو بتعبير آخر إنّ

الموت « نموذج كامل من النوم » كما يفهم ايضاً بأن الانسان مركب من الروح

والجسد وإن الجسد مادّي والروح جوهر لا يخضع للقوانين الماديّة :

ومن خلال ماتقدم يمكن التوصل الى معرفة نبذة من اسرار الاحلام والرؤيا

وما يدركه الانسان من حقائق جديدة في تلك الحالة ، لأن روح الانسان حال النوم

تنفصل عن الجسد وتنجز فعّالياتها بحريّة اكثر إذا فهي نحوم في عوالم جديدة .

جاء في الحديث عن امير المؤمنين علي عليه السلام : إنّ الروح يخرج عند النوم ،

ويبقى شعاعه في الجسد ، فلذلك يرى الرؤيا ، فإذا انتبه عادَ روحه الى جسده

باسرع من لحظة (١) .

وعلى اية حال فإن هذه الآيات لا تفسر الاً بمسألة بقاء الروح ، وذلك لأن توفّي

الشيء اي اخذه بصورة تامة عند الموت لا يصدق على التوفّي الجسدي ، فالحياة

النباتية والحيوانية تفنى بواسطة الموت ولا يبقى منها شيء فلا يمكن ان تكون مصداقاً لعنوان « التوفي » ، فبناءً على هذا تكون النتيجة ان المراد من التوفي توفي الروح الانسانية التي تعتبر العامل الرئيسي في حياة الانسان .

* * *

توضيحات :

١ - خلود الروح :

إن مسألة خلود الروح لها علاقة وثيقة بمسألة استقلال واصالة الروح ، لأن الروح إن كانت مستقلة فيحتمل ان تبقى على حالها بعد الموت ، لكنها لو كانت تابعة لقوانين المادة وكانت تشبه في خواصها المادة فإنها سوف تفنى تبعاً لفناء الجسم (كما هو الحال في حركة عقارب الساعة التي تتبع في وجودها وعدمها نفس الساعة) .

لذا علينا وقبل كل شيء ان نبحث في هذه القاعدة هل ان روح الانسان جوهر مستقل ام شيء مشابه للخواص الفيزيائية والكيميائية التي تمتلكها خلايا المخ التي تفنى تبعاً لفناء المخ ، كما هو الحال في الروح الحيوانية والنباتية التي هي عبارة عن التغذية والنمو والتكاثر والحس والحركة ؟

إن مما لا شك فيه ان التغذية والنمو والتكاثر لا تبقى بعد فناء الجسم وكذلك تنعدم فيه الحركة والحس (فتأمل) .

ولكن لدينا ادلة كثيرة تثبت ان الروح الانسانية لا تشبه الروح النباتية والحيوانية ، بل هي حقيقة مستقلة تتعلق بالبدن تارة وتنفصل عنه اخرى .
من هنا ننتقل لبحث الادلة العقلية التي اتى بها الفلاسفة لاثبات اصالة الروح

واستقلالها اولاً ، وبعد ذلك نشرع بذكر ادلة المنكرين اي الماديين ثم نشرع بنقد تلك الادلة .

ومع ان مجرد اثبات خلود الروح لا يثبت جميع ما نريد اثباته في مباحث المعاد - كما اشرنا الى ذلك سابقاً - (لوجود قسم كبير من مسائل المعاد يرتبط بجانب المعاد الجسماني) الا أنه يُمهّد امامنا نصف الطريق على الاقل ويكبح جماح المنكرين .

٢ - هل الروح مستقلة عن البدن ؟

يشهد تاريخ العلم والحضارة البشرية على أن الروح وهيتها وخواصها الغريبة كانت موضع اهتمام العلماء دائماً .

وقد ساهم واحد منهم بجهوده ليكشف بُعداً من ابعاد دائرة الروح التي تعتبر لغز الالغاز وسر الخفايا ولهذا السبب كانت آراء العلماء في مجال الروح متنوعة وكثيرة جداً .

ورغم ان روحنا أقرب الينا من كل شيء في هذا العالم ، الا أنه قد لانفي جميع علومنا المعاصرة - بل حتى علوم اللاحقين لعصرنا - لكشف جميع اسرار الروح وليس هذا من الامور الغريبة لأن جوهر الروح يختلف كثيراً عما أنسناه من عالم المادة ، ولاعجب في اخفاقنا في الاطلاع على اسرار وكنه هذا المخلوق العجيب الذي لا يخضع لقوانين المادة .

ولكن هذا - على آية حال - لا يمنعنا من مشاهدة ظل الروح بواسطة منظار العقل الثاقب ولا يمنعنا من التعرف على كليات القوانين المهيمنة عليها .

وأهم ما ينبغي لنا معرفته هنا مسألة أصالة واستقلال الروح ، وعلينا ان نثبت ذلك في مقابل رأي الماديين الذين يرون بأن الروح امرٌ ماديّ وأنها من افرازات خلايا

المخ والخلايا العصبية ولاشيء وراء ذلك ! .

ونحن نتعرض بدورنا لهذا البحث هنا ونمعن النظر فيه ، لأن بحث « خلود الروح » و « مسألة التجرد الكامل أو التجرد البرزخي » تعتمد على هذا الامر .
إلا أنه قبل الولوج في هذا البحث نرى من الضروري ذكر هذه الملاحظة أن تعلق الروح ببدن الانسان ليس من قبيل حلول الهواء في المنطاد مثلاً - كما يعتقد البعض - بل هو نوع من الارتباط القائم على اساس هيمنة الروح على البدن في التصرف والتدبير ، وقد شبه بعضهم هذه الرابطة بالعلاقة الموجودة بين « اللفظ » و « المعنى » وسوف تتضح هذه المسألة بجلاء خلال ببحث مسألة استقلال الروح فلنعد الى صلب البحث .

مما لاشك فيه ان الانسان يختلف عن الجمادات كالحجر والخشب ، لأننا نشعر في قرارة انفسنا بأننا نختلف عن سائر الموجودات غير الحية ، بل حتى عن النباتات ، فنحن بإمكاننا ان نفهم شيئاً أو نتصور شيئاً أو نريد شيئاً ونمتلك ارادة ونحب ونبغض و... ، اما بالنسبة للجمادات والنباتات فهي لا تمتلك شيئاً من هذه الأحاسيس اذن هناك شيء اساسي يتميز به عن هذه الموجودات ، ذلك الشيء هو مانسميه بالروح .

لأحد ينكر أصل وجود « الروح » و « النفس » ابدأ ، لا الماديون ولاغيرهم ولهذا فالجميع يعتقد بأن علم النفس (السيكولوجي) وعلم التحليل النفسي (البيسكاناليزي) من العلوم الثابتة ، وهذا ، العلمان على الرغم من كونهما في مرحلة النشوء وفي المراحل البدائية الا انهما من العلوم التي تُدرس في الجامعات الكبيرة في العالم ويتابع تطورها الاساتذة والمحققون وكما سنلاحظ فإن « الروح » و « النفس » هما حقيقتان غير منفصلتين عن بعضهما لحقيقة واحدة مرحلتان مختلفتان بل هما .
وسوف نطلق اسم « النفس » في المجالات التي تتعلق بارتباط الروح بالجسم والتأثيرات المتبادلة بينهما كما نطلق اسم « الروح » عند الحديث عن الروح المستقلة

عن الجسم .

وقصارى الحديث عدم وجود من ينكر امتلاكنا روحاً ونفساً ، فمن هنا علينا ان نحدد دائرة النزاع المحتدم بين « الماديين » و « الميتافيزيقيين » .
ولتحديد دائرة النزاع نقول : إن العلماء الالهيين والفلاسفة الميتافيزيقيين يرون أنَّ الانسان بالاضافة الى امتلاكه لجسم المادّي يمتلك جوهرأً آخر غير مادّي ، والجسم يتلقّى اوامرهُ من ذلك الجوهر بصورة مباشرة .
وبعبارة اخرى إنّ الروح من الحقائق المتعلقة بعالم ماوراء الطبيعة وتختلف عن عالم المادة من ناحية وجودها ونشاطها معاً ورغم ارتباطها بعالم المادة بنحوٍ ما الا انها غير ماديّة ! .

والرأي المقابل لهذا هو رأي الماديين حيث يقولون : أنَّ كيّاننا خالٍ من وجود شيءٍ مستقل عن المادّة يسمى بـ « الروح » أو ايّ اسم آخر وما كيّاننا الاّ هذا الجسم المادّي والآثار الفيزيائية والكيميائية المختصة به فنحن لدينا جهاز نسميه بـ « المخ والاعصاب » وهو ينجز لنا قسماً كبيراً من اعمالنا الحياتية وهذا الجهاز مادّي كسائر اجهزة البدن الاخرى ويخضع في نشاطاته لقوانين المادة .

فالانسان لديه مثلاً غدد تحت اللسان تسمى بـ « الغدد اللعابية » وهذه الغدد تمارس افعالاً فيزيائية وكيميائية في آن واحد ، فعندما يدخل الطعام الفم تمارس هذه الغدد فعاليتها بصورة ذاتية لا ارادية ، وتضخ من الماء الكميّة اللازمة لمضغ الطعام بصورة دقيقة ، فالغذاء الجاف يحصل على مايكفيه من الماء من هذه الغدد وكذلك الغذاء الرطب ، فكل واحد منهما يحصل على مايناسبه من كمّيّة الماء لاكثر ولا اقل ! .

والاغذية الحامضة بالخصوص تثير هذه الغدد لفرز كمّيّات اكبر من الماء إن كان تركيز الحموضة كبيراً فيها ، وذلك من أجل خفض نسبة الحموضة كي لا تؤثر على جدار المعدة والجهاز الهضمي .

وبعد بلع الطعام تتعطل هذه الغدد عن العمل واذا اختل نظام هذه الغدد لساعة من الزمان فاما أن يجف الفم فلا يتمكن الانسان من بلع الطعام ، أو يسيل اللعاب بصورة مستمرة من الفم ! .

وهذه هي المهمة « الفيزيائية » لهذه الغدد ، لكننا نعلم أن المهمة الأكثر أهمية لهذه الغدد هي الافرازات الكيميائية ، فاللعاب يحتوي على مواد مختلفة تتفاعل مع الغذاء لهضمه ولتسهيل عمل المعدة في هضمه .

فالماديون يقولون : إن الجهاز الهضمي والمخ يشبهان في عملهما النشاطات الفيزيائية والكيميائية للغدد اللعابية . (التي تسمى النشاطات (الفيزيائية) التي نسميها بـ « مظاهر الروح » او « الروح » .

فهؤلاء يقولون : عندما يمارس الانسان عملية التفكير تشع من المخ مجموعة خاصة من الامواج الالكترونية ، وهذه الامواج في عصرنا الحاضر تُسجل على شريط من الورق بواسطة أجهزة معينة متوفرة في المستشفيات وبالاخص في المصحات المعدة لعلاج الامراض النفسية ، ويواكب الاطباء مطالعة هذه الامواج المسجلة على الشريط لتشخيص الامراض النفسية التي يعاني منها المرضى لغرض علاجها ، وهذه هي النشاطات الفيزيائية للمخ .

وبالاضافة الى هذه النشاطات تحدث في خلايا المخ تفاعلات كيميائية عند ممارسة التفكير او عند حدوث الانفعالات النفسية .

وبناءً على هذا ليست الروح والمظاهر الروحية الأتلك النشاطات الفيزيائية او تلك التغييرات الكيميائية لاغير .

وتوصل هؤلاء من خلال هذا البحث الى النتائج الآتية :

١ - كما انّ افعال الغدد اللعابية وآثارها المختلفة لا توجد قبل وجود البدن وتفنى بفنائها ، فكذلك الحال في الروح التي توجد مع وجود المخ والجهاز العصبي وتفنى بفنائها .

٢ - انّ الروح من مختصات الجسم ، فهي مادّيّه وليس لها بعدّ مبتافيزيقي .

٣ - إنّ الروح تخضع لجميع القوانين التي تتحكم بالجسم .

٤ - لايمكن وجود الروح بصورة مستقلة عن الجسم او ان تستقل عنه .

٣ - أدلة الماديين على عدم استقلالية الروح :

وقد أورد الماديون عدّة أدلة لإثبات مدعاهم بأن الروح والفكر وسائر الظواهر الروحية الاخرى انما هي امور مادّية ، اي انها من الخواص الفيزيائية والكيميائية للخلايا العصبية وخلايا المخ ، كما يأتي :

١ - « نحن نرى بوضوح بأن مجموعة من الآثار الروحية تعطل بمجرد اصابه قسم من المخ او مجموعة من الخلايا العصبية » (١) .

فمثلاً شوهد عند قطع قسم معين من مخ الطير - كما اثبتت التجربة - بأن هذا الحيوان لايموت بل يفقد قسماً كبيراً من معلوماته ، فعندما يوضع الغذاء في فمه فإنه يبلع الغذاء ويهضمه ولكن عندما توضع الحبوب امامه فإنه لايتناولها ولايهتم لها ويظل على هذا الحال حتى يموت جوعاً ! .

وكذلك الحال عند عطب قسم من خلايا المخ عقب اصابته بضربة او مرض معين ، والإنسان يفقد قسماً من ذاكرته بفعل هذه الاسباب .

فقد ذكرت احدئ الصحف بأن شاباً معلماً فقد ذاكرته اثر ضربة شديده اصابته دماغه في حادثه اصطدام ، واصبح لايعرف احداً من اقربائه حتى أنّه لم يعرف امّه واخته ! وعندما اخذوه الى الدار التي ولد وترعرع فيها لم يُبد اي انفعال وانكر ان يكون قد رأى او دخل هذه الدار سابقاً !! .

(١) البيسكولوجيا - د . أراني الصفحة ٢٣ .

فهذه الامور ونظائرها تدل على ان هناك علاقة وثيقة بين « عمل خلايا المخ » وبين « الظواهر الروحية » .

٢ - « عندما يفكر الانسان تحدث تغييرات ماديه على سطح الدماغ ، حيث يفرز فسفوراً اكثر مما يفرزه في حالة عدم التفكير ، ويحتاج بذلك الى غذاء اكثر ، وعندما ينام الانسان ولا يمارس الذهن عملية التفكير فإنه يحتاج الى غذاء أقل ، وهذا دليل واضح على أن آثار الفكر مادية » (١) .

٣ - اثبتت التجارب بأن وزن المخ عند المفكرين غالباً ما يكون اكثر من الحد المتوسط لوزن المخ عند الآخرين (الحد المتوسط لوزن المخ عند الرجال ١٤٠٠ غرام تقريباً ، والحد المتوسط عند النساء أقل من ذلك) وهذا دليل آخر على كون الروح مادية .

٤ - اذا كان التفكير والظواهر الروحية دليلاً على وجود روح مستقلة فهذا يعني ان الحيوانات لها روح مستقلة كذلك ، لأن الحيوانات لها ادراك محدود ايضاً ! .
وخلاصة القول في رأي هؤلاء اننا لانشعر بوجود روح مستقلة لدينا ، بالاضافة الى أن علم النفس الحديث قد أكد على صحة هذه النظرية ايضاً .
ومن خلال هذه الادلة يخرجون بالنتيجة الآتية إن تطور علم الفلسفة المستمر توصل الى وجود علاقة وثيقة وجليّة بين الظواهر الروحية وخلايا المخ .

النقاط المظلمة في هذا الاستدلال :

إن الخطأ الفضيع الذي إبتلي به الماديون كان نتيجة لاستنادهم على هذا النمط من الادلة وخلطهم بين « آلة الفعل » وبين « فاعل الفعل » .

(١) بشر از نظر مادي - د . أراني الصفحة ٢ .

ولبيان كيفية خلطهم بين الآلة والفاعل واشتباه الامر عليهم نضرب مثلاً
دقيقاً .

لقد طرأ تطور كبير على علم الفلك منذ عصر « غاليلو » فقد تمكن العالم
الايطالي غاليلو بمساعدة رجل يمتهن صناعة النظارات من صنع تلسكوب صغير
وقد غمر الفرح كيانه اثر هذا الانجاز . وعند المساء كان غاليلو يشاهد النجوم بواسطة
ذلك التلسكوب الصغير فظهرت امامه اعاجيب لم يرها احد من قبل ، وعندها علم
غاليلو بأنه توصل الى كشف سر عظيم ، ومنذ ذلك اليوم حصل الانسان على مفتاح
كشف اسرار العالم العلوي ! .

فالانسان قبل اكتشاف التلسكوب كان كالفراشة العاجزة عن رؤية ماحولها
باستثناء اغصان معدودة من اغصان الاشجار المحيطة بها ، ولكنه عندما أمسك
بالتلسكوب بيده صار بإمكانه مشاهدة محيط كبير من الاشجار الموجودة حوله في
غابة الكون العظيم .

ثم استمرّ هذا الاكتشاف والتكامل حتى صنعت التلسكوبات الفلكية العظيمة
التي بلغ قطر عدستها الى عدة امتار ، وقد نصبت هذه التلسكوبات على مناطق
مرتفعة بعيداً عن الهواء الملوّث .

واستطاعت هذه التلسكوبات التي تبلغ من الضخامة احياناً بحجم بناء متعدد
الطوابق ان تيسّر للانسان مشاهدة امور كثيرة من العالم العلوي لم يسبق له ان شاهد
منها بعينه المجردة بنسبة واحد من الالف .

هذا ماتوصل اليه الانسان حتى عصرنا الحاضر ، فإذا تطورت التقنية وتمكن
الانسان من صنع تلسكوبات يبلغ قطر عدستها مائة متر واصبحت ملحقاتها تملأ
رقعة من الارض بسعة مدينة كاملة فالى اي مدى سيصل الانسان في اكتشافاته في
مثل هذه الحالة ؟ ! .

وهنا يتبادر هذا السؤال الى الاذهان : اذا ما فقدنا هذه التلسكوبات فإننا سوف

نفقد قسماً كبيراً من معلوماتنا ومشاهداتنا الفلكية قطعاً ، ولكن ياترى من المشاهد الحقيقي ؟ فهل هو التلسكوب ام الانسان ؟ ! وهل يعتبر التلسكوب هو الناظر الحقيقي ام هو آلة ننظر نحن من خلالها ؟ !

فأما بالنسبة للمخ فإنه لا احد ينكر بأن التفكير والامور الاخرى لا تحصل من دون توفر الخلايا العصبية ، ولكن السؤال هو : هل المخ آلة تستخدمها الروح لانجاز فعاليتها او هو نفس الروح ؟ !

وخلاصة الكلام : إن جميع الادلة التي اتى بها الماديون هنا لا تثبت الا شيئاً واحداً وهو وجود علاقة بين خلايا المخ وادراكات الانسان لاغير ، ولكنها لا تثبت لنا بأن المخ هو الفاعل الرئيسي للادراك . (فتأمل) .

ومن هنا يتضح بأن السبب في عدم ادراك الجسد الميت هو انقطاع اتصاله بالروح ، وليس السبب فناء الروح ، كما الحال بالضبط بالنسبة للباخرة او الطائرة التي تفقد اتصالها بالاسلكي بالقاعدة ، فالباخرة لم تفن ولم يفن الرّئان والطاقم ايضاً ولكنهم مع ذلك غير قادرين على الاتصال بالساحل وكل مافي الامر انهم فقدوا وسيلة الاتصال بالقاعدة .

٤ - ادلة انصار نظرية استقلال الروح :

أ - خصوصية كشف الواقع (اي الاطلاع على العالم الخارجي) :

إنّ أوّل سؤال يمكن ان يطرح على الماديين هو : اذا كانت خواص المخ « الفيزيا كيميائية » نفس الافكار والظواهر الروحية ينبغي ان لا يكون هناك « فرق مهم » بين عمل المخ وبين عمل المعدة أو الكلية او الكبد مثلاً ، لأن عمل المعدة « مثلاً » يتمثل في مجموعة من النشاطات الفيزيائية والكيميائية ، فالمعدة بواسطة حركاتها الخاصة وضخ الافرازات الحامضية تهضم الغذاء وتعدّه لعملية الامتصاص ، وهكذا

الحال في واجبات اللعاب الذي تقدم ذكره فهي مركز من اعمال فيزيائية واخرى كيميائية ، لكننا نرى بالوجدان بأن اعمال الروح تختلف عن جميع هذه الاعمال . فجميع اعمال اجهزة الجسم لها شبه ببعضها البعض الأ « المخ » فهو لا يشبه في افعاله اي واحد من تلك الاجهزة لأن اجهزة الجسم ترتبط بالامور الداخلية للجسم بينما ترتبط الظواهر الروحية بالخارج أي انها تخبرنا عما هو خارج وجودنا .

ولتوضيح ذلك يجب الالتفات الى النقاط الآتية :

اولاً : هل يوجد هناك عالم وواقع خارج وجودنا ام لا ؟

إن وجود العالم الخارجي بديهي طبعاً ، أما المثاليون فقد انكروا وجود عالم خارج وجودنا وقالوا بأن كل مانراه إنما هو « نحن » و « تصوراتنا » ، ولا يوجد هناك عالم خارجي ، والعالم الخارجي ماهو إلا صور خالية من المحتوى تشبه الصور التي نراها في المنام عند الرؤيا فليس وجود العالم الخارجي الأكوجود وجود تلك الصور لاغير . وقد اخطأ هؤلاء في اعتقادهم هذا ، وفضل دليل على ذلك ايمانهم بالواقع وهم واقعيون عملياً ، فكل ما يحملونه من نظريات مثالية ينسونها بمجرد ان يخرجوا من مكتبة افكارهم ويضعوا اقدامهم في شوارع وأزقة محيطهم الاجتماعي المعتاد ، ويتعاملون مع كل شيء على اساس الواقعية ! .

ثانياً : هل للانسان علم عن العالم الخارجي ام لا ؟

والجواب على هذا السؤال بالايجاب ايضاً ، وذلك لأننا نمتلك تصورات كثيرة عن عالم الخارج ولدينا معلومات جمة عن الموجودات المحيطة بنا أو عن المناطق النائية .

وهنا نواجه هذا السؤال هل تحضر الموجودات الخارجية بأعيانها في ذواتنا ؟ والجواب كلاً طبعاً ، بل إنما يحضر في ذواتنا صور تلك الموجودات ، ونصل الى

ادراك الحقائق الخارجية بالاستفادة من خصوصية « معادلات كشف الواقع » الموجودة لدى الانسان .

انّ معادلات كشف الواقع ، لايمكن ان تكون مجرد خواص فيزياء كيميائية بالنسبة للمخ ، وحتى لو كانت هذه الخواص نابعة حقاً من تأثيرنا بالعالم الخارجي وناجمة عنه ، إلا أنّ تأثيرها يشبه تأثير الغذاء على معدة الانسان ، فهل تتمكن المعدة من الحصول على معلومات عن الغذاء بواسطة ممارستها الافعال الفيزيائية والكيميائية عليه ؟ اذن كيف يتمكن ذهننا من ادراك العالم الخارجي ؟ !

وبتعبير آخر : إنّ العلم بالموجودات الخارجية والعينية لا يحصل الاً بواسطة حلول هذه الموجودات في وعاءٍ خاص ، مع أنّ خلايا المخ لايمكنها ان تكون وعاءً ملائماً لهذه الموجودات بل تتأثر بها خلايا المخ فقط ، هذا والتأثر يشبه تأثير سائر اجهزة الجسم بالموثرات الخارجية ، ونحن ندرك ذلك بوضوح .

فإذا كان علمنا بالموجودات الخارجية يحصل بمجرد التأثير بأيّ نحو كان فهذا يستلزم حصول الانسان على العلم عن طريق معدته او لسانه ايضاً ، وهذا غير ممكن بالبداية . فالخلاصة إنّ الوضع الاستثنائي لادراكاتنا يدل على أنّ هناك حقيقة خفية لاتخضع مطلقاً للقوانين الفيزيائية والكيميائية اي يجب علينا ان نرضخ امام هذه الحقيقة وهي إنّ هناك جوهرأ آخر في ذواتنا وهو مانطلق عليه اسم الروح يكون السبب في ادراك الحقائق (فتأمل) .

* * *

ب - وحدة شخصية الانسان :

الدليل الاخر الذي يمكن التعويل عليه في مسألة استقلال الروح مسألة اتحاد شخصية الانسان طوال عمره .

وتوضيح ذلك : اننا لو شككنا في أيّ شيء فإننا لانشك في اننا « موجودون » .

و « انا موجود » ولا أشك ابدأ في وجودي ، كما ان علمي بوجودي من نوع « العلم الحضورى » لا « العلم الحصىلى » أى اننى حاضر لى نفسى ولم انفصل عنها . على اية حال فإن علمنا بأنفسنا من اوضح المعلومات لدينا ، وهذا الامر لا يحتاج الى اقامة البرهان ، اما بالنسبة للاستدلال المعروف الذى اتى به الفيلسوف الفرنسى الشهير ديكارت لاثبات وجوده وهو : « انا افكر اذن انا موجود » فهو استدلال غير صحيح وغير مجدى ، لأنه اعترف بوجود نفسه مرتين قبل ان يثبت وجودها ! فمرة عندما قال « أنا » واخرى عندما قال « افكر » ، هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى فإن الـ « انا » لها وحدة واحدة لا تتبدل من بداية العمر حتى نهايته ، فـ « أنا اليوم » عين « انا الامس » ونفس « أنا قبل عشرين عاماً » . « فأنا منذ الطفولة حتى اليوم لم أتغيره » فأنا كنت ذلك الشخص وسأبقى ذلك الشخص حتى نهاية المطاف ، ومن البديهي أننى تعلمت واصبحت مثقفاً وتكاملت وسوف اكامل لكننى لم اتحول الى شخص آخر ، لذا فإن جميع الناس يعتبروننى شخصاً واحداً من البداية حتى النهاية فأنا لا احمل إلا اسماً واحداً وهوية شخصية واحدة الخ .

فلنرى الآن ما هذا الموجود الواحد الذى يرافقنا طيلة حياتنا ، فهل هو خلايا جسمنا ام مجموع خلايا المخ وفعالياتها ؟ لاشئ من هذا طبعاً ، لأن هذه الاشياء تتبدل عدة مرات خلال فترة حياتنا في كل سبع سنين تقريباً تتبدل جميع خلايا البدن ، لأننا نعلم بأن الملايين من الخلايا تموت في كل يوم وليلة وتحل محلها ملايين اخرى كما الحال في البناء الذى يستبدل حجره بالتدريج ويوضع مكانه حجر جديد ، فهذا البناء سوف يتبدل كلياً بعد فترة من الزمن حتى لو كان ذلك التغيير خافياً على الناس أو كالمسبح الكبير الذى يدخله الماء من احد جهاته بصورة بطيئة ويخرج من الجهة الاخرى بمقدار ما يدخل فيه من ماء جديد ، فمن البديهي ان يتبدل جميع ماء المسبح بعد مدة من الزمان ، حتى لو غفل الناس عن ذلك التغيير ولم يدركوه .

وبصورة عامة فإن كل موجود لا يحافظ على بقائه إلا بواسطة الطعام ويستهلك ذلك الطعام بصورة تدريجية فهو يحتاج الى « الترميم » و « التبديل » .
 بناءً على هذا فالانسان البالغ من العمر سبعين عاماً تكون جميع خلايا جسمه قد تبدلت ما يقارب العشر مرات ، لذا فإننا لو اعتبرنا الانسان ذلك الجسم والمخ والجهاز العصبي والخواص الفيزيائية كيميائية فإن « أنا » ذلك الشخص البالغ من العمر سبعين عاماً قد تبدلت عشر مرات وأنه غير ذلك الشخص السابق ، مع ان هذا الكلام مرفوض بالوجدان .

ومن هنا يتضح بأن هناك حقيقة واحدة ثابتة في جميع مراحل حياة الانسان ، وهذه الحقيقة غير تلك الاجزاء المادية وليست متغيرة وهي التي تمثل اساس وجودنا وتعتبر العامل الرئيسي في ايجاد وحدة الشخصية .

* * *

خطأ ينبغي اجتنابه :

يتصور البعض بأن خلايا المخ لا تتبدل ابداً ، ويقولون : بأننا قرأنا في كتب الفلسفة بأن عدد خلايا المخ لا يتبدل من بداية العمر وحتى نهايته ، اي إن عددها لا يزيد ولا ينقص ابداً ، وكل ما في الامر انها تنمو ويكبر حجمها لكنها لا تتكاثر ، لذا فإنها لو اصبحت بعطب فلن ترمم . بناءً على هذا فنحن نمتلك شيئاً ثابتاً هو مجموع خلايا المخ ، وهذه الخلايا هي التي تحفظ لنا وحدة الشخصية .

الا ان هذا التصور يُعتبر خطأ فادحاً ، لأن هؤلاء خلطوا بين امرين ، فما توصل اليه العلم الحديث هو إن عدد خلايا المخ ، ثابت من بداية الحياة حتى نهايتها فهو لا يزيد ولا ينقص ، لا أن اجزاء هذه الخلايا لا تتبدل ، لأننا قلنا بأن خلايا البدن تتغذى باستمرار وتفقد الاجزاء القديمة وتحل محلها اجزاء جديدة دائماً ، كما هو الحال في المسبح الذي يدخله الماء من احد جهاته بالتدرج ويخرج من الجهة الاخرى

وتتبدل بعد فترة من الزمان جميع محتوياته على الرغم من ثبات مقدار كمية الماء في المسبح ، بناءً على هذا فإن خلايا المخ تتبدل ايضاً^(١) .

ج - عدم مطابقة الكبير للصغير :

تصوروا بأننا نجلس بالقرب من بحر جميل يركب امواجه عدد من القوارب الصغيرة وتعم فيه باخرة عظيمة والشمس تغرب من احد جوانبه والقمر يطلع من الجانب الآخر وبعض الطيور المائية في حالة الهبوط على الماء وبعضها في حالة الاقلاع ، وبالقرب من البحر جبل شامخ الى عنان السماء .

وهنا نغلق اعيننا لعدة لحظات ونتخيل كل ما رأيناه في أذهاننا من الجبل العظيم والبحر الواسع والباخرة الكبيرة ، فكل هذه الصور تتجسد في أذهاننا وكأن هناك لوحة كبيرة رُسمت في أذهاننا أو في اعماق أرواحنا .

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه اين تستقر هذه الصور الكبيرة ؟ فهل تتمكن خلايا الدماغ البالغة في الصغير ان تحتوي هذه الصور العملاقة ؟ كلا طبعاً ، اذن يجب ان يكون هناك قسم آخر من وجودنا لا يخضع لقوانين المادة يبلغ من السعة مبلغاً يجعله يتمكن من احتواء جميع هذه الصور .

فهل يتمكن الانسان من تشييد بناء تبلغ مساحته ٥٠٠ متر في ارض مساحتها عدة امتار ؟ ! كلا طبعاً ، لأن الموجود الكبير لا يمكنه ان ينطبق على الموجود الصغير مع حفظ حجمه الكبير ، لأن من مستلزمات المطابقة اما ان يكون الظرف والمظروف متساويين في الحجم واما ان ينطبق الموجود الكبير على الصغير في حالة صنع نموذج مصغر منه .

(١) أتى في كتب علم وظائف الاعضاء هذه المسألة ايضاً ، يُراجع على سبيل المثال كتاب الهرمونات الصفحة ١١ وكتاب علم وظائف اعضاء الحيوان الصفحة ٣٢ تأليف الدكتور محمود بهزاد وزملائه .

ومهما يكن من شيء يبقى هذا السؤال بلا جواب وهو كيف نتمكن من استيعاب صور كبيرة جداً في خلايا أدمغتنا الصغيرة ؟

فنحن نتمكن من تصور محيط الكرة الأرضية الذي يبلغ طوله أربعين مليون متر ونتمكن من تصور الشمس التي تعادل حجم الأرض بمليون ومائتي ألف مرة ، وهكذا يمكننا ان نتصور المجرات التي تعادل حجم الشمس بملايين المرات ، فمثل هذه الصور لا يمكنها ان تستقر في خلايا الدماغ الصغيرة طبقاً لقانون « عدم مطابقة الجسم الكبير للجسم الصغير » ، اذن يجب ان نعترف بوجود شيء غير هذا الجسم يحتوي هذه الصورة الكبيرة .

* * *

تساؤل :

من الممكن ان يقال بأن الصور الذهنية تشبه « الميكروفلم » او « الخرائط الجغرافية » التي يدون في إحدى زواياها مقياس الرسم الذي هو عبارة عن اعداد كسرية مثل : $\frac{1}{1000000}$ أو $\frac{1}{1000000}$ والتي تدل على مقياس نسبة التصغير ، فإذا اردنا الحصول على المساحة الواقعية علينا ان نكبر تلك الخارطة بذلك المقياس ، وقد شاهدنا ايضاً الكثير من صور البواخر العظيمة التي لا يمكن من خلال تلك الصورة ان ندرك حجمها الحقيقي فهم من اجل اظهار حجمها الحقيقي يضعون على متنها انساناً ثم يلتقطون لها صورة كي نتمكن من خلال مقارنة حجم الانسان في الصورة من معرفة حجمها الحقيقي .

فالصور التي نحملها في اذهاننا صغيرة جداً ايضاً وقد صغرت طبقاً لمقاييس معينة ، فإذا ما كبرنا تلك الصور وفقاً لتلك المقاييس فسنحصل على تلك الصور بحجمها الحقيقي من البديهي إن هذه الصور الصغيرة تستقر بنحو مافي خلايا الدماغ (فتأمل) .

الجواب :

نحن نواجه هنا مسألة مهمة هي إنَّ الميكروفلَم يُكَبَّر عادةً بواسطة المكبرات ثم يعرض على العارضات ، ويمكننا أن نتصور الحجم الواقعي في اذهاننا للخارطة الجغرافية بواسطة اجراء عملية الضرب . وهنا يطرح هذا السؤال : اين تقع هذه العارضة الكبيرة التي يُعرض عليها الميكروفلَم الذهني الذي كُبر عدَّة اضعاف ؟ فهل العارضة الكبيرة هي نفس خلايا المخ ؟ .

وبعبارة اوضح : ان الموجود الخارجي في مثال الميكروفلَم والخارطة الجغرافية هو الافلام والخرائط الصغيرة ، اما الموجود الذهني منها فهو الصور التي تطابق حجم الموجودات الخارجية لتلك الصور ، ومن الطبيعي ان تحتاج تلك الصور المطابقة للواقع الى مكان مطابق لحجمها ، ونحن نعلم بأن خلايا الدماغ لاتمكن من احتواء تلك الصور العظيمة .

وخلاصة الكلام : إننا نتصور تلك الصور في أذهاننا بحجمها الخارجي وإنَّ هذه الصور الكبيرة لايمكنها ان تستقر في خلايا المخ الصغيرة ، اذاً فنحن نحتاج الى مكان مناسب لها لذا فإننا نُدرك بأن هناك وجود حقيقياً غير هذه الخلايا نسميه بالروح .



د - الظواهر الروحية لا تتلائم مع الكيفيات الماديَّة :

الدليل الاخر الذي يمكن ان نثبت من خلاله استقلال الروح وكونها غير ماديَّة هو : إننا نشعر بالوجدان بأن الظواهر الروحية وخواص الروح وكيفياتها لا تشبه بأيِّ نحو خواص وكيفيات الموجودات الماديَّة ، وذلك لما يلي :

اولاً: ان الموجودات الماديَّة تخضع لقيد « الزمان » وتمتاز التدرج .

ثانياً : تتلاشى بمرور الزمان .

ثالثاً : قابلة للتحلل الى اجزاء متعددة .

اما الظواهر الذهنية فلا تتصف بهذه الخصوصيات والآثار . فالمناظر التي انطبعت في ذهننا في مرحلة الطفولة مثلاً لا تتلاشى ولا تبلى بمرور الزمان وتحافظ على كیفيتها طول هذه المدّة ، على الرغم من تلاشي خلايا المخ الا ان صورة البيت الذي انطبع في الذهن قبل عشرين سنة لا تفنى و تبقى تحافظ على نوع من الثبات الذي هو من خصوصيات عالم ما وراء الطبيعة .

ان روح الانسان تملك قوة ابداع عجيبة في مجال خلق الصور ، ومن دون اي تأمل يمكنها ان تخلق اي صورة شاءت ، كخلق صور الكواكب السيّارة والمجّرات أو صور الموجودات الارضية كالبحار والجبال وامثالها ، ولا تتصف الموجودات الماديّة بشي من هذا القبيل ، بل يعتبر هذا دليلاً على انها موجود غير مادي .

وبالاضافة الى هذا فإننا نعلم مثلاً بأن $2 + 2 = 4$ وهذا بديهي ، ونتمكن ايضاً من تحليل طرفي المعادلة اي ان نحلل العدد اثنين او العدد اربعة ، ولكن لا يمكننا ان نحلل هذه « المساواة » اي ان نقول بأن المساواة تنقسم الى قسمين يختلف احدهما عن الاخر ، لأن التساوي عبارة عن مفهوم وهو غير قابل للتحليل والتجزئة ، فهو اما ان يكون موجوداً واما ان لا يكون موجوداً ولكن لا يمكن تقسيمه ابداً .

فالمفهوم لا يقبل القسمة ومن اجل هذا لا يمكن ان يكون مادياً ، لأنه لو كان مادياً لقبل الانقسام ، ولهذا السبب ايضاً لا يمكن ان تكون الروح مادية لأنها تعتبر الطرف الذي يحوي هذه المفاهيم الغير المادية ، اذا فالروح اسْمى من الماده (فتأمل)^(١) .

٥ - هل النفس مجردة ؟

هل الروح مستقلة لاغير ، اي يمكنها البقاء بعد موت الجسم وفناؤه ؟ ام لها حالة التجرد عن المادة والاستقلال معاً ، اي انها تفتقد خصوصيات المادة التي هي عبارة من تقيدها بالزمان والمكان والتركيب .

اصرّ جمع من الفلاسفة على ان الروح مجردة ولا معنى لاحتوائها على كفيات مادية ، واستدلوا على ذلك ببعض الادلة السابقة التي اقيمت على فرضية استقلال الروح .

والبعض الآخر يرى بأن الروح مادية لكنها مكوّنه من مادة شفافة ويتعبير آخر إنهم يرون بأن الروح « نصف مجردة » اي مجردة عن المادة الكثيفة والعناصر المادية .

فنحن نعلم مثلاً بأن النور جسم ، ولا فرق في ذلك في كونه على شكل امواج أو ذرات « فوتونية » ، ولكن مما لا شك فيه هو عدم خضوعه للقوانين التي تخضع لها الاجسام العادية ، لذا فهو يخترق الاجسام الشفافة ولا فرق بالنسبة له بين الفراغ وغيره .

فهل ان روح الانسان شبيهة بهذا حقاً ؟ ام هي مجردة تماماً وارقى من المادة بشقيها الكثيف والشفاف .

وبما ان اثبات مسألة تجرد الروح او اثبات كونها مادة شفافة هي من الابواب غير المجدية في بحوث المعاد وبما أن المهم بالنسبة لنا هو استقلال الروح وبقاؤها بعد فناء الجسم ، فإننا نعرض عن ذكر مزيد من التفاصيل في هذا المجال ونوكل ذلك لعلم الفلسفة ، وكل ما يمكن ان نقوله هنا هو : ان الروح مستقلة سواء كانت مجردة ام كانت جسماً مادياً شفافاً وهي تبقى بعد فناء الجسم المؤلف من عناصر مادية وتحافظ على حيويتها ، وهذه هي الخطوة الاولى نحو عالم ماوراء الموت . (فتأمل) .

المعاد الجسماني

تمهيد :

هل يختص المعاد بالجانب الروحي فقط ؟ اي هل ينفصل الانسان بعد موته عن جسمه الى الابد فيتفسخ جسمه ويفنى ولا يتعلق خلوده في الدار الآخرة الآخر بالروح ؟ أم تتحقق مسألة المعاد بكلا الجانبين فيعاد الجسم والروح معاً ويتحدان مرة اخرى هناك ؟ ام لا يعاد الا الجسم لوحده لان الروح ماهي الا آثار الجسم ومتعلقاته ؟

ام يعاد الجسم والروح معاً ولكن الجسم الذي يُعاد هناك هو غير الجسم المادّي المؤلف من العناصر المادية بل هو جسم شفاف ارقى من الجسم الموجود في الدنيا وهو من ارقى مراحل هذا الجسم فيكون المعاد ذا حيثية « روحية » وحيثية « نصف جسمية » ؟

انّ لكل واحدة من هذه النظريات الأربع المذكورة انصاراً كثيرين ، لكنّ ما يستفاد من القرآن والذي دلت عليه ماثّ الآيات هو ان المعاد يتم بالروح والجسم معاً (وبهذا الجسم المادي) وبما ان اعادة الروح من الامور البديهية لدى العلماء والفلاسفة فقد عبّروا عن المعاد بـ « المعاد الجسماني » مع ان مرادهم من ذلك هو « المعاد الجسماني والروحي » .

بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن المجيد ونستمع خاشعين للآيات التي تحدثت عن المعاد الجسماني :

ونظراً لكثرة هذه الآيات فقد قسمناها الى « تسع مجموعات » واخترنا من كل مجموعة عدّة نماذج وهي كما يلي :

المجموعة الاولى :

وهي الايات التي تجيب على اعتراضات منكري المعاد الذين كانوا كثيراً مايسألون النبي ﷺ : كيف نحى ثانية بعد ان نصبح تراباً وعظاماً رميمة ؟ فتقول لهم هذه الآيات بأن الله قادرٌ على ان يحيي العظام المتفسخة وان يلبسها ثوب الحياة (اجل انه يحيي هذه الاجسام المؤلفة من العناصر المادية) ، ومن هذه الايات مايلي :

١ - ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

(يس / ٧٨ و ٧٩)

٢ - ﴿ أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّيَ

بَنَانَهُ ﴾

(القيامة / ٣ و ٤)

٣ - ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ * هَٰئِهِاتِ

هَٰئِهِاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾

(المؤمنون / ٣٥ و ٣٦)

٤ - ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْ

أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(الواقعة / ٤٧ - ٥٠)

هـ - ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِإِنْتَهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ
لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (١)

(الاسراء / ٩٨)

جمع الآيات وتفسيرها:

١ - كيف تحيي العظام المتفسخة ؟

بما اننا تعرضنا لتفسير الآيات المذكورة وبحثناها في المواضيع السابقة فقد
اكتفينا هنا بالتركيز على بحث اجزاء منها تتعلق ببحثنا هذا :
فالأية الاولى تجيب بصراحة على هذا السؤال وتقول : يحييها الذي انشأها
اول مرة .

وجملة « يُحييها » تدل على احياء الاجسام بكل وضوح ، ولو لم يكن في
القرآن الكريم إلا هذا التعبير لكان وافيأ في اثبات هذه المسألة ، مع اننا ذكرنا آنفاً بأن
هناك مئات الآيات التي وردت للدلالة على اعادة الاجسام .
ومما تجدر الاشارة اليه هو ان الآية المذكورة تؤكد على احياء نفس هذا
الجسم المؤلف من العناصر المادية ، لجسم آخر مشابه له أو جسم برزخي ونصف
مادي .

والآية الثانية ابطلت ادعاء اولئك الذين يرون بأن الله لا يعيد عظام الانسان
فقلت بكل وضوح : إننا لانعجز عن اعادة الانسان مرة اخرى بلى قادرين على ان

(١) وهناك آيات متعددة اخرى ايضاً وردت في القرآن المجيد ولكن بسبب مشاكلتها في المضمون مع
الآيات المذكورة اكتفينا بذكر الآيات اعلاه .

نسوي بنانه .

ووضوح هذه الآية في الدلالة على المعاد الجسماني مما لا يشوئه أي رب .
واشارت الآية الثالثة الى مجادلة قوم ^(١) ثمود لنبيهم صالح ، اذ قالوا في
محاورتهم وهم يقرعون نبيهم : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ
مُخْرَجُونَ * هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

فهذه التعبيرات تشير الى ان نبي هؤلاء القوم وهو صالح (هود) ﷺ كان
يعدهم بأن اجسامهم سوف تعاد يوم القيامة ، الا أنهم عارضوه بشدة واخيراً ابتلاهم
الله بعذاب شديد واهلكهم عن آخرهم بسبب تكذيبهم (كما دل على ذلك ذيل هذه
الآيات من سورة الحج) .

وفي الآية الرابعة كان الحديث عن « اصحاب الشمال » وقد كرر القرآن ذكر
هذا المعنى فقال : ﴿كَانُوا يَصْرُونَ عَلَى الْحَنَثِ الْعَظِيمِ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ .

وهذا الظم العنيف في الواقع جاء دفاعاً عن هذه الحقيقة وهي ان العظام التي
اصبحت تراباً سوف تلبس ثوب الحياة ثانياً .

والآية الخامسة والاخيرة تحدثت عن جميع الكفار ايضاً ، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ
جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً
جَدِيداً ﴾ .

ويستفاد من هذه الآية بالاضافة الى ماتقدم بأن منكري المعاد الجسماني هم
من اصحاب النار ، وهذا دليل آخر لاثبات المدعى .

ومن خلال الآيات المذكورة اعلاه نصل بسهولة الى هذه النتيجة وهي ان

(١) لم يصرح في الآية المذكورة باسم القوم او اسم نبيهم ، فالبعض يرى بأن هؤلاء هم قوم ثمود (قوم
صالح) والبعض الآخر يرى بأنهم قوم عاد (قوم هود) ، ولكن بالالتفات الى نوع العذاب (وهو الصيحة
الذي ذكر في ذيل الآية فإنه من المناسب ان يكونوا هم قوم ثمود .

الجسم بعد فنائه يعود الى الحياة مرة اخرى .

المجموعة الثانية :

وهذه المجموعة هي عبارة عن الآيات التي صرّحت بخروج البشر من القبور يوم القيامة ، فالقبور هي محل رقود الاجسام وهذا واضح من دون الحاجة الى دليل ، وهذا التعبير دليل واضح آخر على المعاد الجسماني .

وقد ورد هذا النوع من الآيات في القرآن بكثرة ايضاً الا اننا نكتفي بذكر نماذج

منها :

١ - ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ^(١)

(الحج / ٧)

٢ - ﴿وَتُفْعَخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ^(٢)

(يس / ٥١)

٣ - ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

الْمُرْسَلُونَ﴾

(يس / ٥٢)

(١) جاء نفس المضمون في سورة الانفطار الآية ٤ والعاديات الآية ٩ .

(٢) ورد هذا المعنى في آيتين اخريين من القرآن الكريم (المعارج ٣٣ - والقمر ٧) .

جمع الآيات وتفسيرها :

٢ - كيف يُبعث من في القبور ؟

طُرحت الآيات المذكورة اعلاه تحت ثلاثه عناوين (الخروج من القبور والاحداث والمرقد) واذا شفعتها بالآيات المشابهة لأصبح عددها سبع آيات ، وكل هذه الآيات تبحث بوضوح في مسألة المعاد الجسماني .

ففي الآية الاولى قال تعالى : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ .

ومما لا شك فيه هو إنَّ ما يَرْقُدُ في القبور هي اجسام البشر ، وهذا التعبير يشير الى إنَّ ما يُحيى هو ذلك الجسم المادي .

وورد التعبير بـ « الاحداث » في الآية الثانية بدلاً عن القبور ، و « الاحداث » جمع « جَدَث » (على وزن قَفَض) بمعنى القبر ، قال بعض اللغويين إنَّ « جدث » لغة « اهل تهامة » أمّا « اهل نجد » فإنهم يستعملون كلمة « جدف » بدلاً عن « جدث » . على اية حال فإنَّ هذا التعبير لا يدلّ إلا على المعاد الجسماني ، وذلك لأن القبور تضم في باطنها اجساد البشر او عظامهم المتفسخة وتراهم ، وخروج الناس من القبور يوم القيامة هو دليلٌ حيٌّ على احياء تلك الاجساد .

وفي الآية الثالثة نواجه تعبير ثالثاً هو مسألة بعث الاموات من « مرقدهم » ، ويتم ذلك بهذا النحو وهو إنَّ مجموعة من الكفار عندما يبعثون من مرقدهم ويرون

بأنهم عادوا للحياة وقامت القيامة يضحجون بالصياح والعيول ويقولون : ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ .

و «مرقد» من مادة «رقد» و «رقاد» بمعنى النوم ليلاً أو نهاراً ، ويرى بعض اللغويين بأنه يختص بالنوم ليلاً ، وقيل ايضاً بأنه في الاصل بمعنى الاستقرار والنوم عند نزول البلايا المعضلات (اي النوم المُسْكَن) لذا استُخدم في المكث عند معالجة المعضلات ايضاً .

بناءً على هذا فـ «المرقد» بمعنى المقر ومحل الاستراحة ومحل النوم ، واطلق على القبر من اجل ان الميت يتحرر من الابتلاءات النازلة في هذه الدنيا وكأنه يغرق في القبر في نوم مُسْكَن ومُهدئ^(١) .

واستعمال هذا التعبير بشأن القبور لوجود شبه كبير بين النوم والموت ، من اجل هذا قالوا النوم أخ الموت .

وقال البعض : إن هدف المنكرين من استعمال هذا التعبير هو انهم ارادوا بذلك ان يظهروا شكهم مرة اخرى ولسان حالهم هو هل كنّا نياماً فتبقظنا ام كنّا امواتاً فعندنا للحياة ؟ ! ولكن لا يلبثون حتى يجيبوا عن سؤالهم هذا ويعترفون بالحق قائلين : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾

فهؤلاء ومن خلال وصفهم الله بـ «الرحمن» كأنهم يريدون التمسك بالرحمة الالهية بالاضافة الى اعترافهم بخطئهم لعلهم يصلحون ماضيهم الاسود بسلوكهم هذا الطريق .

ومهما يكن من شيء فإن هذا التعبير دليل آخر على صحة المعاد الجسماني ، وذلك لأن المعاد إن كان بالروح فقط فإن ذكر «المرقد» لا يكون له اي معنى .



(١) مقاييس اللغة وصحاح اللغة والتحقيق في كلمات القرآن (مادة رقد) .

المجموعة الثالثة :

وهي الايات التي تتحدث عن خلق الانسان من التراب وعودته الى التراب
ثانياً وحشره مرة اخرى منه ، مثل :

١ - ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾

(طه / ٥٥)

٢ - ﴿ وَاللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾

(نوح / ١٧ و ١٨)

٣ - ﴿ قَالَ فِيهَا تَخَيُّونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

(الاعراف / ٢٥)

جمع الآيات وتفسيرها:

٣ - من التراب نخرجكم تارة اخرى :

تخللت الاية الاولى قصة موسى وفرعون ، لكن الخطاب كان من قبل الله تعالى عندما اشار الى الارض في الآيات السابقة ، قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ .

فنحن جميعاً خُلِقْنَا من التراب ، امّا لأننا خلقنا من آدم وآدم من تراب ، وامّا من اجل ان جميع الاغذية (من نباتات او حيوانات تتغذى على النباتات) التي ينشأ منها لحمنا وجلدنا وعظامنا ، قد خُلِقَتْ من التراب فمن البديهي ان نعود جميعاً الى التراب ونبعث ثانية من التراب ، وهذا دليل واضح على اثبات المعاد الجسماني .

وهذا التعبير ، بالاضافة الى كونه جواباً لمن يقول بعدم امكان تحقق المعاد بعد تحليل الاجسام وتحولها الى تراب وجواباً لمن غفلوا عن كونهم خلقوا من التراب ، فهو انذارٌ لجميع الطغاة والمستكبرين المتغطرسين لفرعون واعوانه لاعلامهم بأنهم كانوا في بداية الامر تراباً وسوف يعودون الى التراب ويخرجون تارةً اخرى من التراب ويحضرون في محكمة العدل الالهية .

إن ادنى تأمل في مراحل وجود الانسان يكفي لتحطيم غروره واحياء روح التواضع والتسليم امام الحق في اعماقه .

والآية الثانية جاءت على لسان النبي نوح عليه السلام حيث شبه الانسان بالنبات الذي ينبت في التراب ، قال تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ اَنْبَتَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيْهَا وَيُخْرِجُكُمْ اِخْرَاجًا ﴾ ^(١) .

إن استعمال « الأنبات » في مورد الانسان تعبير لطيف جداً ، والمراد منه هو لفت الانظار الى التشابه الكبير بين القوانين السائدة على الحياة النباتية وعلى الحياة الانسانية ، بالاضافة الى ان الله تعالى لا يعتبر معلماً للانسان فحسب ، بل هو كالفلاح الذي يزرع البذور في الجوّ الملائم ويستمر في سقيها ومداراتها حتى تُخرج ثمرها وهو الاستعداد الذي يكمن فيه !

اننا نعلم بأن النباتات التي تستحق الحياة هي النباتات التي تنبت وتنمو كي تعطي ثمراً وظلاً وتساهم في تنقية الهواء ، فإن لم تكن كذلك فهي لا تنفع الا في استعمالها حطباً ، وهكذا الحال في الانسان . قال الشاعر الفارسي :

(١) تقتضي القاعدة في هذه الآيات بوجوب استخدام كلمة « انباتاً » التي هي مصدر لفعل « انبتكم » ، لكن بعض المفسرين يرى بأن هناك تقدير في الآية على النحو التالي : « انبتكم من الارض فنبتكم نباتاً - أو - انبتكم من الارض انبات النبات » (تفسير الفخر الرازي وابو الفتوح الرازي والميزان) .

لُتُحْرَقَ الأشجار غير المثمرة هذا جزاء لِّلَّذِي لَا يَنْفَعُ !
وعلى اية حال فإن هذه الآية تدل بوضوح على تحقق المعاد الجسماني ،
وذلك لأنها تقول : سوف تعودون الى التراب وتبعثون منه ، فأنتم في بداية الامر كنتم
تراباً وسوف تُبعثون مرة أخرى من التراب .

وتحدثت الاية الثالثة عن آدم وحواء ونسلهم ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فِيهَا
تَخْيَوْنَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ .

وجملة ﴿ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ دليل واضح على تحقق المعاد الجسماني من
وجهة نظر القرآن المجيد ، ولا يمكن بأي وجه أن تدل على معاد الروح فقط أو على
المعاد النصف جسماني (اي بالجسم البرزخي) .

كما أن هذا التعبير يشير ايضاً الى أن مسألة المعاد الجسماني كانت مطروحة
على طاولة البحث منذ بداية خلق آدم ﷺ ولا يختص طرح هذه المسألة بعصر ظهور
الاسلام ونزول القرآن المجيد .

المجموعة الرابعة :

وهي الآيات التي تُشَبِّه بعث الانسان مرة أخرى بحياة الأرض بعد موتها ،

مثل :

١ - ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَاباً فُسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيِنَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾

(فاطر / ٩)

٢ - ﴿ وَأَخْيِنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

(ق / ١١)

جمع الآيات وتفسيرها :

٤ - المعاد يشبه إحياء الارض بعد موتها :

لقد تعرضنا في هذه الآيات في البحوث السابقة لمناسبات أخرى ، وهنا نتعرض لبحثها من زاوية أخرى وهي أنّ القرآن المجيد شبه نشور الناس بحياة الارض عند نزول المطر فقال : ﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ . وقال في موردٍ آخر : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ . فهذه التعبيرات والتعبيرات المشابهة لها تتطرق للمعاد الجسماني ، وذلك لأنّ الجسم المادي اذا لم يتلبس بالحياة مرةً أخرى فإنه سوف لن يكون له ايّ شبه ابدأً بالارض التي تحيي بعد موتها ، لأنّ معاد الروح بمعنى بقاءها بعد موت الجسم ، فما هو العامل المشترك بين احيائها واحياء الارض ليكون التشبيه صحيحاً ؟ ! وكما اشرنا آنفاً فإنّ القرآن يحتوي على آيات أخرى تحمل نفس هذا المضمون ايضاً وردت بعبارات واثوابٍ مختلفة تدل جميعها على تحقق المعاد الجسماني .

المجموعة الخامسة :

وهي الايات التي تشير الى شدة مخالفة اعداء نبي الاسلام ﷺ أو سائر الانبياء في مسألة المعاد ، اولئك الذين كانوا يرون بأنّ الاعتقاد بمسألة الاحياء بعد الموت ضربٌ من الجنون (والعياذ بالله) وكانوا يعدّونه من الامور العجيبة غير المألوفة

فلو كان النبي ﷺ يدعوا الناس للتصديق بمسألة تحقق المعاد بالروح فقط لما كان هذا من العجائب طبعاً ، وذلك لأنّ عرب الجاهلية كانوا يعتقدون ببقاء الروح ولم يكن بقاء الروح آنذاك امراً عجيباً .

وبالاضافة الى ذلك تشير هذه الايات الى ان تعجب هؤلاء نابع من عدم تصديقهم بامكانية جمع اجزاء الانسان المنحلة في التراب .
فلنستمع الآن لهذه الآيات :

١ - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾

(سبأ / ٧ و ٨)

٢ - ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(المؤمنون / ٣٨)

جمع الآيات وتفسيرها :

٥ - هل يمكن ان نُخلِّق من التراب ثانية ؟

قد تعرضنا سابقاً لتفسير هذه الآيات ايضاً ، لكننا هنا ننظر اليها من زاوية اخرى جديدة ، وكل ما في الامر ان المشركين الذين عاصروا النبي ﷺ والذين هبوا لمعارضته قالوا : لقد ظهر رجل يدعي بأنكم سوف تُبعثون مرة اخرى بعد ان تتحولوا الى تراب وينتشر ترابكم في كل صوب ، ثم يصفون هذا الادعاء بالافتراء على الله وأن قائله اصابه مس من الجنون ، اي انه إن لم يكن مجنوناً فقد افترى على الله كذباً كي يخدع الناس بذلك ، وإلا فإنه تحدث بهذا بسبب ما اصابه من الجنون !

وفي الآية الثانية نواجه نفس هذا المعنى ايضاً ، فهذه الآية تتحدث عما جاء على لسان قوم ثمود عند مقابلتهم لنبيهم صالح عليه السلام ، فعند ما تحدث لهم النبي صالح عليه السلام عن المعاد غضبوا عليه وعدّوا ذلك نوعاً من الافتراء والكذب على الله ! .

لقد كانت جميع هذه الاعتراضات التي جوبه بها نبي الاسلام ﷺ أو النبي صالح عليه السلام أو سائر الانبياء منبثقة من دعوة الانبياء الناس للتصديق بتحقيق المعاد الجسماني ، فإن لم يكن الامر كذلك فما معنى هذه الاعتراضات الشديدة . فهذه الامور تعتبر ادلة اخرى مما ورد في القرآن المجيد لاثبات تحقق المعاد الجسماني .

المجموعة السادسة :

وهي الآيات التي تحدثت عن انواع النعم المادية في الجنة كالفواكه والانهار والارائك وانواع الشراب وانواع الملابس الفاخرة والظل وانواع الاشجار وعن جميع الملاذ الجسمانية الاخرى ، وعدد ماورد في القرآن من هذه الآيات مما لا يحصى . ومن البديهي عدم امكانية حمل جميع معانيها على المجاز فنصرف الالفاظ عن معناها الحقيقي من دون اي قرينة . فرغم اختلاف هذه الفواكه والاشربة والملابس والاطعمة الموجودة في الجنة عن امثالها في الدنيا وبالرغم من اننا اسارى هذه الدنيا المحدودة واننا لانتمكن من درك تلك الآفاق بصورة مثلى إلا ان هذه النعم مهما كانت كيفياتها فهي نعم مادية ولا يكون ذكرها مناسباً إلا من اجل تحقق المعاد الجسماني .

بالاضافة الى عدم انحصار نعم الجنة بالنعم المادية وان هناك نعماً ومواهب معنوية وروحية لامثيل لها ايضاً إلا ان هذه النعم لاتتنافى مع وجود النعم المادية . وبتعبير آخر بما أن المعاد يتحقق بالجسم والروح معاً فإن نعم الجنة لها حيثية مادية وروحية معاً ، بناءً على هذا لا يصح ان نحصرها في البعد الروحي ونغض النظر عن جميع هذه الآيات الواضحة .

أما بالنسبة لعدد هذه الآيات فإنه قد يبلغ المئات ، وما نذكره من نماذج فيما يلي هو من سورة واحدة من القرآن المجيد وهي سورة الرحمن فمن اراد تفصيلاً أكثر

عليه تتبع باقي الآيات في مواضع اخرى من القرآن :

- ١- ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾
- ٢- ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾
- ٣- ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾
- ٤- ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾
- ٥- ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾
- ٦- ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾
- ٧- ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾
- ٨- ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾
- ٩- ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾
- ١٠- ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾
- ١١- ﴿ حُوزٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾
- ١٢- ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾
- ١٣- ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيُّ حِسَانٍ ﴾

(سورة الرحمن / ٤٦ الى ٧٦)

جمع الآيات وتفسيرها :

٦- نِعَمَ الْجَنَّةِ المادية دليلٌ على تحقق المعاد الجسماني :

كما لاحظتُمْ فَإِنَّ سورة الرحمن لوحدها والتي تعتبر من قصار السور تقريباً قد

احتوت على اثني عشر نوعاً من نعم الجنة المادية على الاقل ، وهذه الانواع هي :

بساتين الجنة والاشجار المثمرة المتنوعة والفواكه المختلفة التي تدنو من اهل الجنة ليسهل قطعها ، وفرش الجنة المصنوعة من قماش ناعم وجميل والزوجات الباكرات اللواتي يشبهن الباقوت والمرجان لشدة جمالهن والعيون الجارية والحدود المستورات في خيام الجنة والارائك المزينة بأنواع الاقمشة الجميلة التي يتكئ عليها اهل الجنة وماشابه هذه النعم .

وقد ورد في القرآن ذكر نماذج اخرى ايضاً في سور اخرى كثيرة جداً كأنهار الجنة التي تحتوي على اشربة مختلفة والوانى المختلفة التي يستخدمها اهل الجنة وغرف الجنة وأرائكها التي يتكئون عليها متقابلين يتسامرون.

فقد ورد ذكر هذه النعم المادية في الآيات بصورة متتالية احياناً وهذا النحو من ذكر الآيات لايبقي اى مجال للشك والتردد في انها نعم مادية فلنستمع بالاضافة الى ما سبق الى عدة ايات قصيرة وجميلة من سورة « الغاشية » :

﴿ وَجُودٌ يَوْمِيذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾

﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

(الغاشية / ٨ الى ١٦)

ففي هذه السورة التي بلغ عدد آياتها ستاً وعشرين آية قد اختصت سبع آيات منها بالمعاد الجسماني ونعم الجنة المادية المختلفة ، فإذا اردنا احصاء جميع آيات القرآن التي اختصت بهذا المجال فإننا بهذا نحصل على عدد كبير من هذه الآيات . ومن الضروري هنا ايضاً أن نوضح أمرين :

١ - إِنَّ نِعْمَ الْجَنَّةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى النِّعَمِ الْمَادِيَّةِ فَحَسَبَ ، بَلْ تَحْتَوِي عَلَى نِعَمٍ رُوحِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ كَثِيرَةٍ أَيْضاً - سوف نتطرق لبحثها باذن الله في محلها المناسب . - .
ولكن هل من الممكن اساساً ان يوقّر الله تعالى جميع هذه النعم المادية لتنعّم الجسم بها من دون ان يوقّر النعم والمواهب الملائمة للروح التي تعتبر الجزء الرئيسي في وجود الانسان والتي هي ارقى وافضل من الجسم من جميع النواحي ؟ كلاً طبعاً ، لكنّ عدم ذكر هذه النعم هو لسبب قصور الالفاظ عن بيانها وشرحها ولعدم امكان دركها الاّ عن طريق الوصول اليها ، من اجل هذا لم يأتِ شرحها في القرآن المجيد ، ولكن رغم ذلك فقد وردت عدّة تعابير غامضة ومختصرة وجذابة في هذا المجال لبيان عمق وعظمة هذه النعم ، وسوف نتحدث عنها بالتفصيل في بحثٍ مستقل .

٢ - إِنَّ الْبَعْضَ تَجَرُّاً فِي تَأْوِيلِ جَمِيعِ هَذِهِ الْآيَاتِ بِجَسَارَةٍ وَحَمَلِهَا عَلَى مَفَاهِيمٍ خَارِجَةٍ عَنْ دَلَالَةِ ظَاهِرِ الْفَافِظِ وَعَدَّاهَا كُنَايَةً عَنِ النِّعَمِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، لَكِنَّ الْقَوَاعِدَ الْمَعْرُوفَةَ فِي بَابِ الْفَافِظِ لَا تَسْمَحُ لَنَا أَبَداً بِأَنْ نَرْتَكِبَ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ ، فَإِذَا مَا سَمَحْنَا لَأَنْفُسِنَا بِاسْتِخْدَامِ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ فَإِنَّهُ سَوْفَ لَنْ يَبْقَى هُنَاكَ أَيُّ مَعْنَى لِحُجِّيَّةِ الظُّوَاهِرِ وَسَوْفَ تَخْرُجُ الْفَافِظُ عَنْ كَوْنِهَا وَسِيلَةً لِنَقْلِ الْمَفَاهِيمِ وَتَفْقَدُ أَصَالَتَهَا وَاهْمِيَّتَهَا بِالْمَرَّةِ ، وَهَذَا الْعَمَلُ نَوْعٌ مِنَ التَّجَرِّيِّ عَلَى اللَّهِ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .

* * *

المجموعة السابعة :

وهي الآيات التي تحدّثت عن جزاء المجرمين وعقابهم يوم القيامة ، وهذه العقوبات لها حيثية مادية . فإذا كان المعاد بالروح فقط فإنه يجب ان نحمل جميع هذه التعبيرات على معانيها المجازية ، وغير مسموح ابداً ارتكاب هذا العمل .
وهنا يجب ان نذكر ثانية بأن عقوبات يوم القيامة على نوعين : عقوبات معنوية وعقوبات مادية ، وقد ورد ذكر كلا النوعين في آيات القرآن رغم تركيز القرآن

على ذكر العقوبات المادية ، وذلك لما اشرنا اليه في البحث السابق .

اما بالنسبة لعدد هذه الآيات فهو كثير جداً ، ولنستمع لنماذج منها فيما يلي :

١ - ﴿ وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشُّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *
وَضِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾

(الواقعة / ٤١ - ٤٤)

٢ - ﴿ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَضُهُورُهُمْ ﴾

(التوبة / ٣٥)

٣ - ﴿ ... وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾

(التوبة / ٨١)

٤ - ﴿ ... كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾

(محمد / ١٥)

٥ - ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾

(القمر / ٤٨)

٦ - ﴿ تَضَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
ضَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾

(الغاشية / ٤ - ٧)

٧ - ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْإِثِمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ
الْحَمِيمِ ﴾

(الدخان / ٤٣ - ٤٦)

جمع الآيات وتفسيرها:

٧ - العذاب المادي في جهنم دليل اخر:

يتضح الجانب الذي يخص بحثنا في تفسير هذه الآيات بشكل كامل ، بدون حاجة للاطالة فيه لان الايات تحدثت عن نار جهنم التي يسحب المجرمون فيها على وجوههم .

نار كنوز الدراهم والدنانير التي لم تدفع الحقوق الالهيه منها فتصهر وتكوى بها جبا اصحابها وجنوبهم وظهورهم .

فيه الحديث الرياح السموم القاتله ، وماء الحميم ، وظلل من النار التي تنظر المجرمين .

الحديث عن الوجوه التي ترد جهنم وعن العيون الآنيه التي يسقون منها ولا طعام لهم فيها إلا الضريع .

الحديث عن شجرة الزقوم التي هي طعام المذنبين الحديث عن الشراب الحميم الذي هو كالمهل يغلي في البطون .

هذه الشواهد كلها ويشابها دلائل واضحه للمعاد الجسماني .

المجموعة الثامنة :

وهي الآيات التي تتحدث عن اعضاء الانسان عن اليد ، والرجل ، والعين ، والاذن ، واللسان ، والوجه والملذ ، وجميعها تدل على المعاد الجسماني .

ومثل هذه الآيات كثيره في القرآن الكريم وسنلقي النظر على النماذج التاليه .

١ - ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا

كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿

(يس / ٦٥)

٢ - ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

(فصلت / ٢٠)

٣ - ﴿ وَقَالُوا لِيُجْلِدَهُم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

شَيْءٍ ﴿

(فصلت / ٢١)

٤ - ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ ... وَأَمَّا مَنْ

أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالِيتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ﴿

(الحاقة / ١٩ - ٢٥)

٥ - ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا

غَبْرَةٌ * تَرَهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿

(عبس / ٣٨ - ٤١)

جمع الآيات وتفسيرها:

٨ - تكلّم اعضاء الجسم دليل ملموس آخر :

بما اننا سنتعرّض لتفسير هذه الآيات في مباحث اخرى مثل بحث شهود يوم

القيامة وبحث كُتب الاعمال فإننا هنا نتعرض لتفسيرها بصورة اجمالية ولانبحثها الآن

من بُعدٍ واحد وهو (كيفية دلالتها على المعاد الجسماني) .

فالآية الاولى تحدثت عن ختم الافواه وتوقف اللسان عن النطق بصورة مؤقتة وتكلم الأيدي والارجل للدلاء بالشهادة على الاعمال التي ارتكبها الانسان في الدنيا.

من البديهي ان هذه المسألة لا تنسجم سوى مع المعاد الجسماني ، لأن المعاد إن كان ذا بعد روحي فقط لما كان هناك ايدي وارجل ولما كان هناك لسان وفم ولا اى نوع من التكلم .

وتحدثت الآيتان الثانية والثالثة عن شهادة الأذن والعين والجلد في يوم القيامة على الاعمال التي ارتكبها الانسان .

وادلاء تلك الاعضاء بالشهادة قد يكون بواسطة اعطائها القدرة على النطق او بلسان الحال ، وذلك لأن الاذن والعين واليد والرجل والجلد تُسجّل الاعمال في داخلها وتحتفظ بها وتظهر آثارها في يوم القيامة الذي هو « يوم البروز » (سوف يأتي شرح هذه المطالب - باذن الله - في بحث اشهاد يوم القيامة) .

وتحدثت الآية الرابعة عن الذين يأتون يوم القيامة وهم يحملون كتاب اعمالهم بيدهم اليمنى (للدلالة على موفقيتهم وطهارتهم وفوزهم) فيدعون الناس في المحشر بكل فخر واعتزاز لمطالعة كتب اعمالهم ! واما الذين يحملون كتب اعمالهم بيدهم اليسرى للدلالة على سوء اعمالهم فإنهم ينادون بأعلى اصواتهم : ليتنا لم نؤت هذه الكتب !

والحديث هنا لم يقتصر على اعضاء البدن المختلفة فحسب بل قد أشير الى اليد اليسرى واليمنى ايضاً .

وفي الآية الخامسة كان الحديث عن وجوه الصالحين المشرقة ووجوه الطالحين والمذنبين المغبرة المظلمة ، وهذه الامور تدل ايضاً على ان المعاد يتحقق باعادة الجسم .

وبالاضافة الى ماتقدم من نماذج هناك آيات كثيرة اخرى في القرآن تحدثت

عن الاغلال والسلاسل التي تثقل اعناق المذنبين كما جاء في (سورة ابراهيم / ٤٣)
(والانسان / ٤) .

وهناك آيات اخرى تحدثت عن ظواهر تعرض على الجسم كضحك المؤمنين :
﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ (المطففين / ٣٤) .

كما أشير في بعض الآيات الى يوم القيامة بأنه يوم رهيب تشخص فيه الابصار
من شدة الخوف وتقف الاعناق عن الحركة وتبقى الوجوه مرتفعة نحو الاعلى
ولا يرتد طرفهم وتبقى عيونهم مفتوحة من شدة الخوف والرعب : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ
لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾
(ابراهيم / ٤٢ - ٤٣) .

وتحدثت بعضها عن عضّ الظالمين ايديهم حسرةً على ما فاتهم : ﴿ وَيَوْمَ
يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ (الفرقان / ٢٧) .
وامثال هذه الآيات .

فهل يمكن ان تحمل جميع هذه الآيات على الكناية والمجاز من دون اي
دليل واضح ، وأن نضرب القواعد المسلمة في استعمال الالفاظ عرض الحائط ؟!

المجموعة التاسعة :

وهي الآيات التي اشارت الى نماذج عينية من تحقق المعاد على مر التاريخ
كقصة ابراهيم مع الطيور الاربعة وقصة عزيز أو ارمينيا عليه السلام وكقصة اصحاب الكهف
واحداث قتل بني اسرائيل التي مر شرحها بالتفصيل تحت عنوان « النماذج العينية
والتاريخية لتحقيق المعاد » ^(١) .

فجميع هذه النماذج تدل بوضوح على ان المعاد لا يختص بالجانب الروحي

فحسب ، بل يهتم بالجانب المادي ايضاً ، وإن استفسار الناس والانبياء في مسألة المعاد يدور حول محور الحثيثة المادية للمعاد وإراءة تلك النماذج لم يتم إلا من اجل اثبات الجانب المادي للمعاد .

وبما اننا تعرضنا بالتفصيل لبيان هذه الايات فإننا لانرى ضرورة في اعادة شرحها هنا .

* * *

ثمرة البحث :

بالاعتماد على المجموعات التسع من آيات القرآن المجيد التي تحدثت عن المعاد الجسماني بكل وضوح وطرحت تلك المسألة بطرق مختلفة وببيانات متنوعة لن يبقى اي مجال للشك في أنّ مسألة تحقق المعاد الجسماني (بمحاذاة المعاد الروحي) هي من الامور القطعية الحدوث من وجهة نظر القرآن المجيد (وهذه المجموعات هي : ١ - الآيات التي تحدثت عن اعادة العظام الرميم الى الحياة مرة اخرى ، ٢ - الايات التي تحدثت عن بعث من في القبور ، ٣ - الآيات التي تحدثت عن خلق الانسان من التراب وأنه سوف يعود اليه ثم يبعث منه مرة اخرى ، ٤ - الايات التي شَبَّهت احياء الموتى باحياء الارض الميتة ، ٥ - الآيات التي تحدثت عن مواقف اعداء الاسلام الصارمة ازاء مسألة تحقق المعاد (على الرغم من ان اكثر هؤلاء كانوا يؤمنون بمعاد الروح الا أنهم كانوا يتعجبون من تحقق المعاد الجسماني) ، ٦ - الآيات التي تحدثت عن انواع النعم المادية في الجنة ، ٧ - الآيات التي تحدثت عن انواع العقوبات المادية في نار جهنم ، ٨ - الآيات التي تحدثت عن اعضاء جسم الانسان وما يطرأ عليها يوم القيامة كالعين والاذن واليد والرجل والوجه والعنق ، وأخيراً الآيات التي أشارت الى نماذج عينية من تحقق المعاد

ونظراً لصراحة وكثرة تلك الآيات يجب الاعتراف بأن المعاد الجسماني هو

من الضروريات من وجهة نظر القرآن المجيد ، أمّا أولئك الذين يبحثون عن طريق آخر فإنهم غرباء عن القرآن وتعاليمه .

من هنا نتّجه لذكر توضيحات هذا البحث ، لنذكر الأدلة التي اقيمت على اثبات المعاد الجسماني ثم نذكر ما أورده المخالفون بقلب منطقي ونتعرض لنقد تلك الايرادات .

توضيحات :

المعاد الجسماني في مقياس العقل :

هل يمكن اثبات المعاد بهذا الجسم المادي المؤلف من العناصر المادية عن طريق العقل ام لا ؟

يرى البعض عدم وجود دليل عقلي مقنع لاثبات هذه المسألة كما أنّه لا يوجد دليل على نفيها ايضاً ، وبما اننا لانمتلك دليلاً على استحالة ذلك فإننا نكتفي في هذا المجال بأدلة كتاب الله والسنة من دون تأويل ظواهرهما ^(١) وبتعبير آخر إنّ دليل العقل يعجز عن اثبات هذه المسألة فعند ما يتمكن الدليل العقلي من اثبات ذلك فإنّه لا يبقى امامنا سوى التسليم للدليل النقلي .

هذا بالاضافة الى ما يراه البعض من أن المعاد الجسماني مطابق للدليل العقلي ويقولون بأن روح الانسان تنمو بموازاة نمو البدن وترتقي معه الى الكمال . لذا فإنّه

(١) قال المرحوم العلامة المجلسي في البحار : إنّ المعاد الجسماني هو من المسائل المتفق عليها بين الاديان ويعدّ من ضروريات الدين ، ومن انكر ذلك فقد خرج عن الاسلام . فالآيات صريحة الدلالة على ذلك ولاتقبل التأويل كما أنّ الاخبار متواترة في هذا المجال ولاتقبل الانكار (بحار الانوار الجزء ٧ الصفحة ٤٧) .

توجد هناك رابطة وثيقة بين « الروح » و « البدن » فتؤثر حالات كل منهما في الآخر ، فالآلام الجسمية تؤثر على الروح كما أنّ الآلام الروحية تؤثر على الجسم ايضاً ، فالسكينة وراحة البال في كل منهما له تأثير ايجابي على الآخر بصورة تامة .

على هذا فإنّ الروح والجسم رفيقان حميمان ينشآن وينموان معاً .

ولاشك في أنّ الموت يقطع هذا الارتباط بصورة مؤقتة ، ولكن من اجل اقامة العدالة الالهية والوصول الى العقاب والثواب التام يجب أن تعاد تلك الرابطة على مستوى ارقى كي يتم لقاء الروح برفيقها الحميم ليتمكن من التحرك ونيل المواهب المعنوية والمادية التي اعدت لها في الآخرة أو تحمّل العذاب ان كانت تستحق العقاب .

وقصارى الكلام إنّ اعادة كل واحد من هذين الاثنين بمفرده يعني وجود نقص في المعاد وكمال المعاد لا يتم الا عن طريق اعادتهما معاً .

ورغم ان الروح هي التي تتلقّى العقاب أو الثواب واللذة والالام لكننا نعلم جيداً بأن الكثير من هذه الآلام والملاذ تتلقاها الروح عن طريق الجسم ، فإذا عُدِم الجسم فإنّ قسماً كبيراً من هذه الملاذ أو الآلام لن يبقى لهاي تأثير .

بناءً على هذا فالعقل يقول : يجب ان يقترن هذان ببعضهما في الآخرة كما كانا مقترنين في الدنيا ، وذلك لأن كل واحد منهما يعتبر ناقصاً لو حده . (فتأمل) .

٢- شبهات جاحدي المعاد الجسماني

لنرى هنا ماهو السبب الذي دعا عدداً من الفلاسفة وغيرهم لانكار هذه المسألة ؟ وماهي العوامل التي دفعتهم لقبول هذا الاعتقاد ؟ ومن خلال تتبع كلماتهم يلاحظُ بأن « العوامل الثمانية » التالية هي السبب في انتحالهم هذا الاعتقاد :

١ - استحالة اعادة المعدوم .

٢ - شبه الأكل والمأكول

٣ - معضلة تبدل خلايا الجسم طيلة عمر الانسان .

٤ - شحة العناصر الترابية على قشرة الارض .

٥ - اذا ما تحقق المعاد الجسماني على الكرة الارضية فسوف تظهر معضلة

اخرى وهي شحة المكان .

٦ - كيف يحصل الجسم الذي من صفاته الفناء على حياة خالدة ؟

٧ - لايمكن الجمع بين عودة الارواح والاجسام .

٨ - نحن نعلم بأن جسم الانسان يتبدل عدّة مرات طول فترة حياته ، فهل تعود

اليه جميع تلك المكونات عند المعاد ام لايعود الأ بعضها ؟ .

ولنبداً ببحث كل واحد من هذه الأشكالات المذكورة :

١ - استحالة « اعادة المعدوم »

إنَّ عدد من علماء العقائد نقلوا البحث في مسألة المعادِ الى بحث اعادة المعدوم وقالوا: بما أنَّ جسم الانسان يفنى عن آخره فإنَّ اعادته يوم القيامة من قبيل اعادة المعدوم ، ونحن نعلم باستحالة اعادة المعدوم ، فمن هنا تصبح مسألة المعاد الجسماني امراً معضلاً .

ولكننا لو امعنا النظر في هذه المسألة لتبيَّن بأنَّ اعادة المعدوم بتلك الصورة ليس بمحال ، ويتضح ايضاً بأنَّ المعاد ليس من قبيل اعادة المعدوم .

توضيح ذلك : لقد استدل الفلاسفة بأدلة متعددة على استحالة اعادة المعدوم ، حتى انهم يرون بأنَّ استحالة اعادة المعدوم الى الوجود من الامور البديهية ، وذلك لأنَّ اعادة الشيء يجب ان تكون اعادة من جميع الجهات ، ومن البديهي أنَّ الشيء الذي كان موجوداً بالأمس يستحيل ان يعاد اليوم بجميع خصوصياته ، وذلك لأنَّ « وجوده بالامس » هو من احد خصوصياته فكيف يمكن ان نجتمع بين اليوم والامس في آن واحد ؟ هذا خلف .

ولكن اذا ما صرفنا « النظر عن هذه الخصوصية بالذات فإنه لا يبقى اي مانع من اعادة عين الموجود الاول بجميع خصوصياته باستثناء خصوصية الزمان . ومن البديهي ان الموجود الجديد لا يكون عين الموجود السابق بالدقة التامة بل هو مثله ، بهذا يعود النزاع في مسألة استحالة او عدم استحالة المعدوم الى نزاع لفظي ، فالمنكرون يقولون باستحالة اعادة جميع الحثيات ، بينما يقول المؤيدون بإمكان الاعادة بجميع الحثيات « باستثناء الزمان » .

ومما لاشك فيه ان انصار تحقق المعاد الجسماني لا يعتقدون بأعادة نفس الموجود المقيد بالزمان الماضي ، بل باعادة الشيء في زمانٍ آخر فهو عين الموجود السابق من جهة ومثله من جهة اخرى . (فتأمل) .

واذا ماتجاوزنا ذلك لاعتبر المعاد من مصاديق اعادة المعدوم ، وذلك لأنَّ

الروح لا تفنى وتبقى بعينها ، وبالرغم من اضمحلال الجسم وتفرقه فهو « لا يفنى ايضاً ، بل يتحوّل الى تراب ، وكل ما في الامر انه يفقد شكله الظاهري فيعاد اليه يوم القيامة شكله السابق . فإذا كان المراد من اعادة المعدوم اعادة الصورة فحسب فإن ما يعاد يوم القيامة هو صورة مشابهة للصورة السابقة ، لكن بقاء الروح مع وحدة مادة الجسم هما العامل الرئيسي لحفظ وحدة شخصية الانسان ، لذا يمكننا القول بأن الانسان هو نفس الانسان السابق ، لأن روحه عن تلك الروح ومادة جسمه عين تلك المادة والفارق الوحيد هو إن صورة الجسم تشبه الصورة السابقة لاعينها . ومن المحتمل ان يكون التعبير بـ « مثل » في سورة يس الآية ٨١ : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ ؟ ! يشير الى هذا المعنى .

والطريف هو ما روي عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير آية ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَنِّهَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (النساء / ٥٦) في جوابه عليه السلام عن سؤال « ابن ابي العوجاء » عندما سأل الامام عليه السلام : ما ذنب الغير ؟ (اي الجلود الاخرى) ، فأجابه الامام عليه السلام : هي هي وهي غيرها . فطلب ابن ابي العوجاء توضيحاً اكثر وقال : اضرب لي مثلاً في هذا المجال مما اعتدناه في هذه الدنيا ! قال الامام عليه السلام : رأيت لو ان رجلاً اخذ لبنه فكسرها ثم ردها في ملبنها ، فهي هي وهي غيرها ! (١) .

٢ - شبهة الأكل والمأكول :

إن شبهة « الاكل والمأكول » هي مسألة اخرى من المسائل التي طرحت على طاولة البحث وهي في الحقيقة من اكثر معضلات مباحث المعاد الجسماني من ناحية التعقيد .

(١) بحار الانوار الجزء ٧ الصفحة ٣٨ الحديث رقم « ٦ » ، وقد جاء نفس هذا المعنى في حديث آخر بصورة مختصرة (نفس المصدر السابق الصفحة ٣٩ الحديث رقم « ٧ ») وقد ورد ذكر الحديث المذكور اعلاه في نور الثقلين ايضاً في التعليق على الآية ٥٦ من سورة العشاء (الجزء ١ الصفحة ٤٩٤) .

توضيح ذلك : يتفق في بعض الاحيان أن تحل بعض اجزاء بدن احد الناس في بدن شخص آخر ، أما بصورة مباشرة كما يحصل ذلك عند حصول المجاعات حيث يتغذى بعض الناس على لحوم البشر ، وأما بصورة غير مباشرة كما لو تحللت اجزاء الانسان وتحولت الى تراب فتتغذى النباتات من ذلك الجسم فيأتي انسان آخر ويتغذى من تلك النباتات (كالخضر والحبوب والفواكه) ، أو ان يتغذى احد الحيوانات على تلك النباتات فيأكل الانسان الآخر لحم تلك الحيوانات . كما أنه من الممكن ان تتحلل بعض اجزاء جسم الانسان وتحوّل الى بخار وغازات فيستنشقها إنسان آخر فتحلّ في جسمه .

ومن الممكن ايضاً ان تحل جميع اجزاء بدن الانسان في بدن انسان آخر بالتدريج .

من هنا يطرح هذا السؤال وهو : بأيّ جسم تختص هذه الاجزاء عندما تعود الروح الى البدن ؟ فإن كانت مختصة بالجسم الاول فالاجسام الاخرى تكون حينئذ ناقصة واذا مااختصت بالاجسام الاخرى فسوف لن يبقى للجسم الاول شيء ، وبالإضافة الى هذا من المحتمل ، ان يكون احد الشخصين صالحاً والآخر مذنباً فما مصير هذه الاجزاء في هذه الحالة ؟

كما يستفاد ايضاً من سبب نزول الآية (٢٦) من سورة البقرة في قصة ابراهيم عليه السلام والطيور الاربعة بأن سؤال ابراهيم عليه السلام كان منحصراً في مجال المعاد الجسماني وشبهة الأكل والمأكول ، وذلك لأن الحيوان الميت الذي شاهده ابراهيم عليه السلام على ساحل البحر كان قسم منه في ماء البحر وكانت تتغذى عليه حيوانات البحر وكان القسم الآخر على اليابسة وكانت تأكل منه الحيوانات البرية ، وهذا المشهد هو الذي جعل ابراهيم عليه السلام يفرق في التفكير ثم عرض طلبه على الله لمشاهدة كيفية اعادة الحياة للموتى .

الجواب

قد اجيب على هذا الاشكال القديم بأجوبة مختلفة ، واشهر هذه الاجوبة هو التمسك بعدم فناء « الاجزاء الاصلية » ، قال انصار هذه النظرية : إنَّ جسم الانسان مركب من اجزاء اصلية وغير اصلية ، فالأجزاء الاصلية هي التي لا تعرض عليها الزيادة ولا النقصان ، وغير الاصلية ما تعرض عليها الزيادة والنقصان باستمرار .

فالاجزاء الاصلية تحافظ على بقائها بعدموت الانسان واذا مات تحولت الى تراب فإن ذلك التراب لن يحل في جسم موجود آخر وفي يوم القيامة تنمو هذه الاجزاء فيتكون منها جسم الانسان ثم تحل فيها الروح .

وقد دعموا هذه النظرية بذكر عدّة روايات والتي منها : مارواه « مصدق بن صدقة » عن « عمار بن موسى » عن الامام الصادق حيث قال عليه السلام : (١) .

وجاء في رواية اخرى مرسله عن الامام الصادق عليه السلام ايضاً في قصة ذبح بقرة بني اسرائيل بأنه قال : فأخذوا قطعة وهي عَجَبُ الذنب الذي منه خُلِقَ ابنُ آدم ، وعليه يُركَّبُ اذا أُريدَ خلقاً جديداً فضرّوه بها (٢) .

الجدير بالذكر انّ الرواية الثانية ضعيفة السند لأنها مرسله ، اما الرواية الاولى فهي ضعيفة ايضاً لحصول الاختلاف بين علماء الرجال في « عمرو بن سعيد » بالاضافة الى انّ هذه الروايات مخالفة لظاهر القرآن - كما سيأتي شرحه - ، لذا فلا يمكن التعويل عليها .

ومهما يكن من شيء فإنّ العلوم التجريبية الحديثة ابطلت هذا الرأي من الانساق فهي لا ترى أي فرق بين اجزاء الجسم وترى بأن جميع اجزاء الانسان تتحول الى تراب ومن الممكن ان تحل جميعها في اجسام افراد آخرين .

(١) بحار الانوار الجزء ٧ الصفحة ٤٣ ، الحديث ٢١ .

(٢) نفس المصدر السابق ، الحديث ١٩ .

وقد اثبت التجارب خلاف مايعتقده انصار نظرية الاجزاء الاصلية من أن الحلقة الآخيرة من العمود الفقري التي تسمى بـ «عجبُ الذنب» هي الجزء الأصلي من اجزاء البدن وانها لا تفنى بمرور الزمان وكثيراً ما شاهدنا تبدل ، جميع اجزاء البدن الى رماد عند نشوب الحرائق كما اننا لم نشاهد ائى فرق بين اجزاء الرماد المتخلف منها ايضاً .

وحتى لو تجاوزنا ذلك فإن النظرية المذكورة لاتوافق ظاهر القرآن ، لأن القرآن المجيد عندما اجاب على الاعرابي الذي كان يحمل بيده عظماً رميمًا قال : ﴿ قَالَ مَنْ يُخَيِّ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُخَيِّهَا الَّذِي اَنْشَأَهَا اَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس / ٧٨ و ٧٩) فإنه من المستبعد جداً ان الاعرابي كان يحمل الحلقة الآخيرة من العمود الفقري عندما كان سأل عن ذلك .

كما يستفاد ايضاً من ظاهر قصة ابراهيم عليه السلام مع الطيور الاربعة بأن الاجزاء المتفرقة تعود جميعها الى ماكانت عليه سابقاً .

وعلى اية حال لايمكن الاعتماد على جواب هذه النظرية نظراً لما توصل اليه العلم الحديث ونظراً للاستناد بآيات القرآن الواردة في هذا المجال ، كما أنه لايمكن الاعتماد على خبر الواحد لاثبات هذه النظرية .

وقد سلك آخرون للردّ على « شبهة الأكل والمأكول » طريقاً آخرًا فقالوا : ليس من الضروري ان تعاد نفس الاجزاء السابقة لجسم الانسان ، لأن شخصية الانسان تكمن في الروح ، واذا ما حلت الروح في جسم ما فسوف يكون ذلك المركب عين الانسان السابق ، على هذا سوف لن يمس وحدة شخصية الانسان ائى ضرر بسبب التحولات التي طرأت على الجسم بسبب طول المدة وتبدل الاجزاء باجزاء اخرى . بناءً على هذا فلايوجد هناك مانع من ان يخلق الله جسماً آخر لتحل فيه الروح ، فتنعم الروح بواسطة هذا الجسم بنعم الجنة أو ان تتعذب بواسطته بعقوبات النار ، فنحن نعلم بأن اللذة والالم يتعلقان بالروح وما الجسم الا واسطة لا اكثر !

لكنّ هذا الجواب غير صحيح ايضاً ، لمعارضته ظاهر كثير من الآيات القرآنية ، وقد مرّ علينا في البحوث السابقة بأنّ القرآن يقول : عين تلك العظام المتفسخة تخرج يوم القيامة من عين تلك القبور التي دُفنت فيها لا أنّ الله يخلق جسماً آخر لتحلّ فيه الروح . بناءً على هذا فالجواب المذكور يفتقد القيمة العلمية ايضاً .

الجواب النهائي لشبهة الأكل والمأكل :

إنّ الجواب المتين الذي اجيب به هذه الشبهة يحتاج الى ذكر عدّة مقدمات :

١ - نحن نعلم بأنّ اجزاء بدن الانسان منذ مراحل الطفولة وحتى نهاية العمر تبدّل عدة مرات ، وهذا التبدّل يشمل خلايا المخ ايضاً على الرغم من انّ البعض يرى بأنّ عددها ثابت الاّ إنّ محتواها متغيّر ، وذلك لأنها تحتاج الى « التغذية » من جهة و « تتحلل » وتتفسخ من جهة اخرى ، وهذان الامران هما السبب في تبدّل محتوياتها على مرّ الزمان بأكملها .

والخلاصة إنّ بمرور سبع سنين تقريباً لايبقى ايّ اثر لخلايا الجسم السابقة وتحلّ محلّها خلايا جديدة .

ولكن يجب الالتفات الى انّ الخلايا السابقة عندما تموت تعطي جميع ماتحملة من صفات وخواص وآثار للخلايا الجديدة ، لذا فإنّ خصوصيات جسم الانسان من لون وشكل ومواصفات جسمية اخرى تبقى ثابتة على مرّ الزمان ، وهذا لا يتم الاّ بانتقال الصفات القديمة الى الخلايا الجديدة (فتأمّل) .

بناءً على هذا سوف تحمل اجزاء جسم الانسان الاخيرة عند الموت والتي سوف تتحول الى تراب جميع الصفات التي كان يتصف بها الانسان طوال عمره في طبائنها تاريخ ناطق بجميع فعاليات جسم الانسان التي اداها خلال فترة حياته !

٢ - رغم كون الروح هي الاساس في تحقق شخصية الانسان ولكن يجب

الالتفات الى ان الروح تنمو وتتكامل بموازاة نمو وتكامل الجسم وإن كلا منهما له تأثير متبادل على الآخر ، وبما أن الجسمين المستقلين عن بعضهما لا يوجد بينهما شبه من جميع الجهات فإنّ الروحين المستقلّتين لا تشابهان ايضاً بصورة تامّة ، لذا لا يمكن لأيّ روح ممارسة نشاطاتها بصورة تامة بدون الجسم الذي نمت وتكاملت بموازاته ، على هذا يجب ان يعاد يوم القيامة عين ذلك الجسم الذي كانت تحلّ فيه تلك أرواح لتمارس نشاطها بعد حلولها بذلك الجسم على مستوى ارقى لتتمتع بنتائج الاعمال التي ارتكبتها .

٣- كل خلية من خلايا الجسم تحمل جميع خصوصيات ذلك الجسم ، اي اذا ما تمكّننا من تربية ايّ خلية من خلايا الجسم وتنميتها لتتحول الى انسان كامل فإنّ ذلك الانسان الجديد سوف يحمل جميع الخصوصيات التي كانت تحملها تلك الخلية والتي ورثتها من الانسان السابق . (فتأمل) .

أولم يكن الانسان في يومه الاول خلية واحدة ؟ فتلك النطفة كانت عبارة عن خلية واحدة كانت تحمل جميع صفات ذلك الانسان ونمت بالتدريج عن طريق الانشطار الى خليتين ثم الى اربع وهكذا حتى تكوّنت منها جميع خلايا بدن الانسان . بناءً على هذا فإنّ كل خلية من خلايا الانسان هي فرعٌ من تلك الخلية الاولى ولو انها نمت وتكاملت مثل سابقتها لا صبحت انساناً يشبه الانسان السابق ويحمل صفاته من جميع الجهات .

٤ - يُستفاد من آيات القرآن في مجال المعاد الجسماني إنّ جسم الانسان الاخير الذي تحول الى تراب في القبر يحيى بأمر الله ويُعدّ للجزاء .
ويؤيد هذا المعنى كل الآيات العديدة التي اشرنا اليها سابقاً في مجال المعاد الجسماني .

٥ - لا يمكن لجسمٍ ما ان يحل بجسم آخر بصورة تامّة ، ويتعبّر آخر لا يمكن ان يصبح الجسم الثاني عين الجسم الاول ، بل قد يشكل الجسم الاول قسماً من الجسم

الثاني ، وذلك لأن هذا الامر لا يتم الا بوجود الجسم الثاني اولاً كي يتحول الجسم الاول - او قسم منه - الى جزء من الجسم الثاني عن طريق التجزئه .
بناءً على هذا لا يوجد اي مانع من حلول جسم بصورة كامله في جسم ثانٍ
ويصبح « جزءاً » منه ، ولكن المستحيل ان يصبح « جميع » اجزاء الجسم الثاني ، كما
يُحتمل حلول اجسام متعددة في جسم آخر لكنها لا يمكن ان تصبح جميع أجزائه .
(فتأمل) .

وبعد طرح هذه المقدمات الخمس نتجه للجواب الرئيسي في الرد على شبهة
الآكل والمأكول :

يقول القرآن بكل وضوح إن مكونات جسم الانسان التي يمتلكها عند الموت
هي التي تبعث يوم القيامة ، بناءً على هذا فلو حلت هذه الاجزاء بعد تحولها الى
تراب في جسم انسان آخر فإنها سوف تعاد الى صاحبها الاول يوم القيامة ، لكن قد
تقولون بأن جسم الانسان الثاني سيصبح ناقصاً لأنه فقد قسماً من مكوناته . إلا أنه من
الافضل ان يقال بأن جسم الانسان الثاني سوف يضم (لا أنه يكون ناقصاً) لأن
اجزاء جسم الانسان الاول بعد ان تغذى عليها الانسان الثاني قد انتشرت في جميع
اعضاء بدنه لا أنها حلت في مكان معين من بدنه (لأن الغذاء الذي يتناوله الانسان
يوزع على جميع اعضاء البدن) ، بناءً على هذا فإنه من الممكن ان يفقد الانسان
الذي يصل وزنه الى سبعين كيلو غرام مثلاً نصف وزنه أو ان يفقد جميع مكوناته
باستثناء كيلو غرام واحد منها أو حتى اقل من ذلك ولا يبقى منه الا جسم صغير
بحجم جسمه الذي ولد به او بحجم جسمه عندما كان جنيناً ! .

ومع ذلك فإننا لانواجه أية مشكلة ، وذلك لأن الجسم الصغير يحمل في
طياته جميع خصوصيات ذلك الجسم الكبير ، فإذا ما نما فسوف يعود عين

ذلك الجسم الكبير .

فالمولود في يومه الاول لا يملك إلا جسماً صغيراً وقبل ذلك اي عندما كان جنيناً كان جسمه اصغر من ذلك فنما وكبر حتى اصبح يحمل صفات الانسان الكامل من دون ان تتبدل شخصيته ويتحول الى شخص آخر .

والسؤال الوحيد الذي ظل من دون اجابة هنا هو : ماهو مصير الاجزاء التي اصبحت جزءاً لجسمين أو عدة اجسام اذا كان احد صاحبها مطيعاً والآخر مذنباً ؟ والجواب على هذا السؤال امرٌ يسيرٌ ايضاً ، لأنه كما اشرنا سابقاً فإن الثواب والعقاب في الحقيقة يتعلقان بالروح ، والدليل على ذلك هو عندما ينقطع الارتباط الموجود بين الروح والجسم بسبب فقدان الوعي بعد ممارسة عملية التخدير فإننا نرى بأن الروح لا تتأثر عند استخدام المشروط الحاد حتى لو قطع الجسم إرباً .

وبتعبير آخر إن الثواب والعقاب واللذة والالام لا يختصان بالجسم بل ليس الجسم إلا واسطة لا يصال آثار الثواب والعقاب واللذة والالام لروح الانسان . بهذا يتضح بأن المعاد الجسماني - طبقاً لظاهر الآيات - يتحقق بعين هذا الجسم المؤلف من العناصر المادية ، وحتى لو فرضنا بأن شبهة الأكل والمأكل ترد على هذا الاستدلال فإنها سوف لن تخذش فيه ايضاً .

ومن الجدير بالذكر هنا ايضاً أن بعض منكري المعاد الجسماني سعوا الى تغطية حقيقة آرائهم في الاوساط الاسلامية لتبرير جحودهم الواضح مخالفة للآيات القرآنية وجاءوا بتعبيرات في مجال المعاد الجسماني تدل في الواقع على أن المعاد يتحقق بالروح فقط أو بالروح مع جسم مادي غير هذا الجسم .

فتمسكوا احياناً بالجسم النوعي وقالوا : ان شخصية الانسان تتمثل بروحه وهذه الروح اذا ماتت بغير ما فسوف تشكل نفس ذلك الشخص .

وقالوا احياناً باعادة الجسم البرزخي اي الجسم النوراني اللطيف .

وتارة قالوا بأن شيئية الشيء ووجوده يكمن في صورته لا في مادته ، فكلما

وحدث الصورة وجد ذلك الشيء ، وإنَّ روح الانسان هي قوام هذه الصورة ، بناءً على هذا فأينما وجدت روح الانسان فسوف تتحقق شبيثته ووجوده .

لكن هذه التعبيرات جميعها لا تتلائم مع تعبيرات القرآن الواردة في مجال المعاد الجسماني ، والسبب في سلوك هؤلاء هذا الطريق هو ولعهم بكلام بعض الفلاسفة وعجزهم عن حلِّ معضلة شبهة الأكل والمأكول ، وهذا مما لا يليق بالعالم المسلم الذي يتمسك بتعاليم القرآن .

٣ - شحّة العناصر الترابية على سطح الارض :

هناك مسألة اخرى شغلت اذهان البعض واصبحت تمثل معضلة من معضلات المعاد الجسماني هي مسألة شحّة العناصر الترابية على سطح الارض .
توضيح ذلك : اننا اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار عدد البشر الذين وضعوا اقدامهم على الكرة الارضية على مرّ التاريخ وكذلك البشر الذين يلونهم الى يوم القيامة مع علمنا بأن هؤلاء جميعاً سوف يتحولون الى كمّية هائلة من التراب فإنّه من الصعب جداً ان يكفي تراب الكرة الارضية لاعادة هؤلاء جميعاً يوم القيامة الا ان نقول بأن البشر يبعثون يوم القيامة بحجم الدُّمى ، لكنّ هذا غير معقول ايضاً ، وعلى اية حال فإن اعادة هؤلاء البشر بهذه المواصفات تشبه عمليه صنع ملايين السيارات مثلاً من كمّية من الحديد لا تزيد على الالف طن .

الجواب :

الم يكن من الافضل لهؤلاء الذين يطرحون مثل هذه الاشكالات ان يُتعبوا انفسهم قليلاً قبل طرحها وان يأتوا بقلم وورق لإجزاء احصاء سطحي في هذا

المجال ليتحققوا عن عدم صحة هذه الاشكالات من الاساس ؟

ان الماء يشكّل ٦٥ ٪ الى ٧٠ ٪ من جسم كل انسان . على هذا لايشكل التراب الا مايقارب ٣٠ ٪ من وزن الانسان ، فلو فرضنا بأن التراب يشكّل كلّ وزن الجسم فياترى كم هو وزن كمّيّة من التراب مقدار حجمها متر مكعب واحد ؟ إنّه لايزيد على طنين او ثلاثة اطنان ! ، فلو كان الوزن المتوسط لكل انسان يبلغ ستين كيلو غرام فسوف يكفي كل متر مكعب واحد من التراب لخلق اربعين انساناً تقريباً . وطبقاً لهذه الاحصائية فان الكيلو متر المكعب الواحد من التراب الذي هو عبارة عن « مليار متر مكعب » يكفي لخلق مايقارب ثمانية اضعاف سكّان الارض الحاليين ، وبما ان عدد سكان الكرة الارضية كان قليلاً جداً بالنسبة لسكان الارض الحاليين فإنّه من المحتمل ان لايزيد عدد جميع البشر الذين وطأوا الارض على اربعين مليار نسمة .

وكل هذه الحسابات تدور حول كيلو متر مكعب واحد من التراب الذي هو كقطرة في بحر بالنسبة لجسم الكرة الارضية ، فإذا ما اجرينا هذه الحسابات على مائة كيلو متر مكعب أو الف كيلو متر مكعب من التراب وهي نسبة ضئيلة جداً من حجم كل الكرة الارضية فإننا سوف نحصل على ارقام كبيرة جداً وسوف تتضح لنا حقيقة الامر بكل سهولة .

فبعد ان اجرينا هذه الاحصائيات على التراب تعالوا لنجري الاحصاءات في هذا المجال من زاوية الزمان .

فنقول كم هو العمر المتوسط لحياة الانسان ؟ او بتعبير آخر كم عمر الجيل الواحد من البشر ؟

من المحتمل ان يكون عمر الجيل الواحد مايقارب الخمسين سنة او اقل او اكثر من ذلك بقليل .

بناءً على هذا يكفي الكيلو متر المكعب الواحد من التراب لخلق ثمانية اجيال

اي يكفي لخلقهم لمدة اربعة قرون تقريباً (هذا لو فرضنا بأن عدد نفوس الاجيال السابقة بعدد نفوس الجيل الحالي ، ومن البديهي أنه لم يكن كذلك) .

على هذا فكل الفين وخمسمائة كيلو متر مكعب من التراب تكفي لخلق هذا العدد من البشر لمدة مقدارها مليون سنة ولخلقهم لمدة اربعة ملايين سنة نحتاج عشرة آلاف كيلو متر مكعب من التراب فقط .

على يقين بعدم وجود اية نظرية تُقدّر ونحنُ عمر البشر على الكرة الارضية بأكثر من اربعة ملايين سنة ، لكننا لانعلم ماهي مدة الفترة الزمانية الفاصلة بين وقتنا الحاضر وبين نهاية الحياة على الارض .

لذا فإننا لو اجرينا هذا الاحصاء بأي نحو كان فلن يمثل التراب المتخلف من جميع البشر على مرّ التاريخ الأكمية ضئيلة جداً لاتقدّر بأكثر من رقعة صغيرة من الارض تبلغ مساحتها الف كيلو متر مكعب لا اكثر في بلد صغير .

هذا بالاضافة الى ان احصاءاتنا كانت جميعها بحسابات الحد الاعلى ، لأننا لم نتقيّد بقيد ، فلم نراية اهمية للماء الموجود في جسم الانسان ولم نخفّض من عدد سكّان الارض في الاجيال السابقة وهو قليل جداً بالنسبة لعدد نفوس الجيل الحالي ، كما اننا اطلقنا العنان في حساب السنين الباقية من عمر الحياة على الارض . وقصاريّ الكلام : إنّ الادعاء بعدم كفاية تراب الارض لاعادة الاجسام يوم القيامة لا يصدر الا ممن لا يعرفون العمليات الحسابية الأربع ااي الذين يتكلمون بغير حساب ويرجمون بالغيب !



٤ - هل تسع مساحة الارض لحشر جميع البشر ؟

لقد شغلت هذه المعضلة اذهان الكثيرين ايضاً وهي اذا كان المعاد يتحقق بالجسم ويشمل جميع البشر الذين وطأوا الارض منذ ظهور الحياة عليها حتى

نهايتها فلن تسعهم مساحة سطح الارض ، وخلاصة مايمكن ان يقال : اننا اذا تمكنا من حل جميع المعضلات في مجال المعاد الجسماني فسوف تبقى معضلة شحة المكان على قوتها ، وذلك لأن بعض المناطق من الكرة الارضية تضيق حالياً من تحمل سكانها الذين يعيشون عليها وقد حذر الخبراء المتخصصون من مغبة استمرار النمو السكاني على هذا السياق وقالوا بأن تزايد السكان اذا مااستمر على هذا المنوال فسوف تضيق الارض بسكانها خلال فترة وجيزة .

وهنا يطرح هذا السؤال : ماذا سيحدث اذا بُعث جميع البشر السابقين واللاحقين على هذه الكرة الارضية ؟ !

فلو كان المعاد يتحقق بالروح فقط فإننا لن نواجه مثل هذه المعضلة من ناحية المكان ، لأن الارواح غير متميزة فهي لا تحتاج الى مكان لا تتميز بمكان .

الجواب :

ان الذين طرحوا هذا الاشكال قد فاتهم بأن القرآن قد صرح في آياته المختصة بالمعاد بأن المعاد لايتحقق على الكرة الارضية بصورتها الحالية ، بل سوف تتبدل بغيرها ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (ابراهيم / ٤٨) . وجاء في القران ايضاً بأن عرض الجنة يسع السماوات والارض ، قال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الحديد / ٢١) .

يستفاد من هذه الآيات وعدد من الآيات الاخرى بأن هنالك احتمالين : وهما اما ان تتسع الارض ويصبح حجمها بحجم السماوات والارض فتضم فيها الجنة والنار وجميع البشر ، واما ان ينتقل الناس يوم القيامة من الكرة الارضية الى مكان آخر . وفي كلتا الحالتين ترتفع مشكلة شحة المكان في مجال المعاد الجسماني

لجميع البشر ولا تبقى هناك مشكلة في اسكان اهل الجنة واهل النار... هذه المشكلة التي شغلت اذهان « المشكلين » !.

٥ - كيف يتلائم الجسم الذي من صفاته الفناء مع الخلود ؟

الاشكال الآخر الذي طرح في مسألة المعاد الجسماني هو إن الآخرة هي دار الخلد ، والآيات التي صرحت بهذا الخلود دليل واضح على الخلود يوم القيامة ، بينما نرى بالوجدان بأن الجسم المادي على اية حال يبلى ويندرس وفي نهاية المطاف يصل الى الفناء .

فإذا ما تحقق المعاد بالجسم فسوف يحصل التضاد وهو نفوذ « الفناء » في عالم « البقاء » ، وسوف يخلد الجسم الذي من طبعه الفناء .

وقد طرح هذا الاشكال المرحوم العلامة الطباطبائي في شرح تجريد الاعتقاد بالنحو التالي : إن التناهي والمحدودية هي من ملازمات الجسم ، والقول بخلود نعم اهل الجنة يستلزم عدم المحدودية وعدم التناهي ^(١) .

الجواب :

ليس من الصعب ايضاً الاجابة على هذا السؤال ، لأنه لاخلاف في كون الفناء والاندراس والتفسخ من طبيعة الاجسام ، لكن هذا يتم في حالة عدم وجود الدعم المستمر من الخارج ، فإذا ما شمل الدعم الالهي حال الجسم فإنه من الممكن ان يحافظ على طراوته على الدوام وان يبقى في حالة تجدد دائم .

وهذا يشبه حال الشجرة التي ترمم خلاياها المتفسخة وتبدلها بخلايا جديدة

لتبقى طرية وجديدة على الدوام وذلك عن طريق تغذيتها المستمرة على نوع خاص من الغذاء ، وهذا غير مستحيل .

وبتعبير آخر إن مقتضى الذات شيء ومقتضى العوامل الخارجة عن الذات شيء آخر ، والحديث يدور هنا عن خلايا الجسم التي من طبيعتها ان لاتعمر طويلاً أو التي تحصل على عمر غير محدود بواسطة الترميم الحاصل من الخارج وعن طريق المدد الالهي ، تخلد وتحافظ على بقائها .

وعندما طرح المرحوم العلامة الحلبي اشكال هؤلاء ، بالنحو المذكور اعلاه لم يكثر به وقال : إن هذه ليست بأدلة بل استبعادات لاغير^(١) ! اي ماهي الا ظنون غير مبرهنة منطقياً .

٦- هل يمكن الجمع بين (معاد) الاجسام والارواح ؟

يُتصور احياناً بأن الجمع بين اعادة الاجسام والارواح - وهو رأى القائلين بالمعاد الجسماني - امرٌ عسير ، وذلك للزوم وجود الثواب المعنوي والمادي ووجود اللذات بنوعيهما لمكافأة الروح والجسم معاً ، مع اننا نعلم بأن الانسان اذا ماغرق في عظمة انوار العالم القدسي فإنه لايمكن ان يعبر اية اهمية للملاذ المادية ، وكذلك الحال اذا ماغرق في الملاذ المادية فإنه لايمكنه التفرغ لنيل الملاذ المعنوية ، وقصارى الكلام إن مقتضى المعادين متضادّين فيما بينهما ولايمكن الجمع بينهما !

الجواب :

إن هذا الاشكال ضعيف جداً ، لأن الروح اذا ماكانت تمتلك القدرة الكافية

فسيُتاح لها التنعم بالملاذ المادية في نفس الوقت الذي هو مستغرق في الانوار الالهية كما كان الانبياء والاولياء عليهم السلام .

قال المرحوم العلامة المجلسي في بحار الانوار . إن السبب في انصراف الانسان عن الماديات عند ما يشتغل بالمعنويات وبالعكس هو ضعف روح الانسان في الدنيا لكنه بعد الموت وبعد ان يصله المدد من العالم القدسي ويظهر من الدنس فان روحه تشتد وتقوى فيتمكن آنذاك من الجمع بين الاشتغال بالماديات والمعنويات معاً ^(١) .

وعلى آية حال فهذا الاشكال ايضاً غير مسنود بدليل منطقي وهو شبه دليل وما هو الا استبعاد لا غير .

٧- اي جسم يُعاد يوم القيامة ؟

والاشكال الأخير الذي يمكن طرحه هنا ما اشرنا اليه سابقاً من ان العلم الحديث اثبت بأن جسم الانسان في حالة تبدل وتغير دائم ، فالخلايا تدرس بالتدرج ويحل محلها خلايا اخرى ، وبعد مرور سبع سنين تقريباً تبدل جميع خلايا الانسان وتحل محلها خلايا جديدة ، كما هو الحال في الحوض الكبير الذي يدخله الماء من احد جوانبه ويخرج من جانب آخر ، ومن الطبيعي ان يتبدل جميع مائه بعد فترة .

بناءً على هذا فإذا ما عمّر جسم الانسان سبعين سنة فإنه يتبدل عشر مرات . فهل تعاد جميع هذه الاجسام العشرة يوم القيامة ويعاد الانسان بحجم العمالقة ؟ أم لا يعاد الاً بحجم جسم واحد منها ؟ وإن قيل بأن احد هذه الاجسام يعاد يوم القيامة فأياها سوف يعاد ؟ وما هو النصاب في هذا الترجيح ؟

الجواب :

إنّ هذا السؤال استبعاد ايضاً ، فما المانع من ان تعاد جميع هذه الاجسام ؟
لكن الحق هو اعادة الجسم الاخير فقط ، لأن القرآن يقول : « يبعث من في القبور »
وتحيى العظام الرميمة والتراب ، وهذا لايعني الاّ اعادة الجسم الاخير .

أمّا ماهو المناطُ في ترجيح هذا الجسم على الاجسام الاخرى ؟ فالمناط ان
هذا الجسم يحمل جميع صفات وخصوصيات تلك الاجسام ، وذلك لأن الخلايا
التي تتخلّى عن محلها تعطي بالاضافة الى ذلك جميع صفاتها للخلايا الجديدة التي
تحل محلها ، بناءً على هذا فالجسم الاخير يحمل في طياته عصارة جميع الاعمال
والاوصاف السابقة ، واذا ماتوفر المنظار الثاقب الذي يكشف الحقائق لأمكن مطالعة
جميع سوابق الانسان من خلال بصمات ناصية جسمه الاخير .

ومن البديهي ان لايتنافى هذا ابدأً مع حشر المؤمنين والصالحين على هيئة
شباب يمثلّون بالحيوية ، وهذا يشبه عملية جمع تراب اللبنة البالية ووضعها في
قالب جديد لتصبح لبنه جديدة .

**ثمرة البحث :**

توصلنا من خلال مأمّر من البحوث الى هذه النتيجة ، وهي اننا لانواجه في
بحث المعاد مشكلة عصبية ، وما عدّه البعض من المشاكل في الغالب ناتج عن عدم
اعمال الدّقة الكافية في هذه خصوصان المسألة ، ولايستحق الطرح من بين هذه
الاشكالات السبعة الأشبه الأكل والمأكول ، أمّا بقية الاشكالات فهي جزئية تتضح
الاجابة عليها بمجرد اعمال شئ من الدقة .

المعاد في الحضارات السالفة

تمهيد :

كان لمسألة المعاد صدئً واسعاً لدى الشعوب السابقة ويلاحظ تجسّد آثار هذه العقيدة بكل وضوح في نفوس الشعوب التي عاشت في اعماق الزمان اي في قرون ما قبل التاريخ مما لا يبغي اي شك في أنّ اولئك كانوا يحملون اعتقاداً راسخاً بوجود العالم الآخر .

وعندما ندخل في مرحلة مابعد التاريخ نلاحظ ايضاً بأن جميع الشعوب والاقوام تقريباً يؤمنون بمسألة المعاد على الرغم من اختلاف ثقافتهم .

وقبل الخوض في مطالعة هذا الامر عن طريق مشاهدة اسانيد ووثائق المؤرخين نعود الى القرآن لنرى مايقوله في هذا المجال :

اشار القرآن الى هذه الحقيقة ايضاً وهي ان الاعتقاد بمسألة المعاد والحياة بعد الموت كانت مطروحة منذ خلق آدم ﷺ ، حتّى ، أنّ ابليس ايضاً كان يعترف بذلك ، وبعد آدم ﷺ كان الانبياء ايضاً - الذين كانت مهمتهم هداية الشعوب - يدعون الناس الى الايمان بهذه المسألة (مسألة الحياة بعد الموت وحياة الآخرة) ، وقد أدّت دعوة الانبياء الى ان تصبح هذه المسألة من المسائل المألوفة لدى الناس .

كما اننا لاننكر بأن هذه المسألة ومايتعلق بها من المعارف التي نزلت عن طريق الوحي قد وردت على لسان النبي ﷺ ايضاً وبصورة اوسع مما كانت عليه

سابقاً ، لذا خصص قسم مهم من آيات القرآن المجيد لشرح مسألة المعاد بجميع فروعها وتفاصيلها .

بعد هذا التمهيد نعود الى القرآن لنستمع خاشعين لنماذج من الآيات المختصة بهذا المجال :

١ - ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَتَعَثَّونَ ﴾

(الاعراف / ١٤)

٢ - ﴿ قَالَ فِيهَا تَخَيُّونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

(الاعراف / ٢٥)

٣ - ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾

(المائدة / ٢٩)

٤ - ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾

(المؤمنون / ٣٥)

٥ - ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾

(الشعراء / ٨٧ - ٨٨)

٦ - ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾

(البقرة / ١١١)

٧ - ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

(مريم / ٣٣)

٨ - ﴿ وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

(العنكبوت / ٣٦)

٩ - ﴿ ... إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ *

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾

(يوسف / ٣٧ - ٣٨)

١٠- ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

(النمل / ٦٨)

جمع الآيات وتفسيرها:

الاعتقاد بالمعاد خلال العصور المختلفة :

الآيات المذكورة اعلاه يرتبط كل منها بأحد العصور .

فالأية الاولى تشير الى قصة « ابليس » بعد طرده من الجنة ، فبدلاً من التوبة الى الله من فعله الشنيع توغل في العناد بسبب وقوعه باحضان الغرور والانانية ، وكان هذا طلبه من الله تعالى : ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَتَعَثَّوْنَ ﴾ .

وطلبه هذا لم يكن من اجل التوبة او ان يعمل صالحاً ، بل من اجل ان يكمن لأدم وذريته ليصددهم عن الصراط القويم لكي يطفى نار غضبه الجهنمية وحسده . يتضح من خلال هذه الآية بأن مسألة القيامة كانت موضع الاهتمام منذ البداية ، فالشيطان كان يعلم علم اليقين بحتمية وقوع مثل هذا اليوم .

أما طلب الشيطان فإنه لم يتلق الجواب بالصورة التي ارادها ، قال تعالى في الآية (٣٨) من سورة الحجر : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ وفسر البعض هذا اليوم باليوم الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا والذي يرفع فيه التكليف ، وفسره آخرون باليوم الذي يظهر فيه المهدي الموعود (عج) .

وهناك احتمال بعيد ايضاً جاء في كلمات بعض المفسرين وهو إن المراد من اليوم المعلوم يوم القيامة ، لكن هذا الاحتمال بعيد جداً ، وذلك لأنه لا يوافق ظاهر آيات القرآن ولا ينسجم مع الروايات الواردة في تفسير هذه الآية ^(١) .

وقد طرحت عدّة اسئلة في هذا المجال كما يلي :

١ - لماذا امهل الله الشيطان لينفذ خطته المشؤومة لاغواء الناس ؟

الجواب : إنّ امهال ابليس كأصل وجوده وهو زاوية من زوايا الامتحانات الالهية آتت اعدّها للبشر ، ففي ظل تلك الامتحانات يصل اولياء الله الى الكمال ويفترق عنهم اولئك الذين لم يخلص ايمانهم .

٢ - ألا يسبب اعطاء الوعد لابليس باستمرار الحياة حتى انتهاء العالم باستمراره على ارتكاب اعماله وعدم الكف عنها الا عندما يشعر بانتهاء عمره فيتوب الى الله تعالى ؟

الجواب : إنّ الطريق الذي سلكه ابليس لايسمح له بالعودة ، وتحت تأثير حالة الطغيان الشديدة تصبح هذه الصفة من طبائعه الثانوية ، ولايمكن العودة في مثل هذه الحالة .

٣ - لماذا يطلب الشيطان البقاء الى يوم القيامة مع ان اهدافه تتحقق ببقائه الى الفترة التي تنتهى بها حياة البشر ؟

الجواب : جاء في تفسير الميزان بأن ابليس كان يتمنى ان يستمر بأغوائه للبشر في عالم البرزخ ايضاً ، اي المدة الفاصلة بين انتهاء الدنيا وقيام يوم القيامة ^(١) .

٤ - كيف يتوقع ابليس ان تستجاب دعوته مع انه يعلم بأنه طرد من ساحة الرحمة الالهية ؟

الجواب : قال المرحوم الطبرسي في مجمع البيان : إن ابليس كان متيقناً بأن فضل الله وكرمه يتسع لشمول المذنبين والمطرودين ايضاً ^(٢) .

وجاء في احدى الروايات ايضاً بأن استجابة دعاء ابليس كانت بإزاء العبادات التي اداها قبل ذلك .

(١) « الميزان » الجزء ٨ الصفحة ٢٨ .

(٢) « مجمع البيان » الجزء ٤ الصفحة ٤٠٣ .

وفي الآية الثانية التي تتعلق بقصة هبوط آدم ﷺ وزوجه حواء من الجنة الى الارض وطرده ابليس من مقام القرب الالهي قال تعالى : ﴿ قَالَ فِيهَا تَخَيُّونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ .

وهذه التعبيرات تشير الى ان المقصود من الاخراج لا يختص بحشر البشر فحسب ، بل يشمل حشر الجن ايضاً والذين كان الشيطان من زمريتهم ، وتدل على ان هذا الامر كان يعتبر من الامور البديهيّة منذ اليوم الاول ، اما ما احتمله البعض في تفاسيرهم من ان المخاطب في هذه الآية هم آدم وحواء وذريتهما فحسب فلا يؤيده دليل واضح .

ويدل هذا التعبير بوضوح على ان الارض هي مبدأ حياة الانسان ومحل موته ومحل بعثه معاً (١) .

وتحدثت الآية الثالثة عن ابناء آدم « هابيل » و « قابيل » عندما تقبل الله قربان هابيل بسبب اخلاصه ولم يتقبل قربان قابيل لعدم اخلاصه فيه ، فتأججت نار الحسد في قلب قابيل وهدد اخاه بالقتل ، فقال هابيل ان قصدت قتلي فإنني لن افعل ذلك لأنني اخاف الله ، ثم اضاف : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وهذا يدل على ان مسألة المعاد كانت من الامور البديهيّة لدى اولاد آدم منذ ذلك الزمان ، لذا هدد هابيل اخاه قابيل بعذاب الله في الدار الآخرة .

و « بَوَّءَ تَبَوَّءَ » من مادة « بواء » قال الراغب في المفردات هي في الاصل بمعنى السطح الصقيل ، وتقابلها « نبوة » التي بمعنى السطح غير الصقيل ، لذا عندما يقال بَوَّأتُ له مكاناً فهذا يعني ساويت له سطح المكان .

وتأتي هذه الكلمة احياناً بمعنى الإقامة وملازمة المكان ايضاً ، لأن الانسان اذا ما اراد ان يقيم في مكانٍ ما فإنه ينظم سطحه ويساويه ، وقد فسروا هذه الآية بهذا

(١) جاء شبيه هذا المعنى في مسألة هبوط آدم والاشارة الى مسألة الحشر في سورة طه الآية ١٢٣ و ١٢٤ .

المعنى ايضاً .

لكن صاحب « المصباح المنير » فسرها بمعنى الاعتراف وحمل العب الكبير ، اما صاحب المقاييس فقد ذكر لها معنيين هما :

عودة الشيثين وتساوى الشيثين .

وقال صاحب كتاب « التحقيق » ، إن الأصل فيها هو (السفول) والانحطاط ، وعدّ جميع المعاني الاخرى من المجاز واعتبرها من لوازم المعنى الحقيقي ، وطبقاً لهذا المعنى يصبح مفهوم الآية المعنية بالبحث : إني اريد ان تسقط من ساحة الرحمة الالهية بإثمك واثمي .

وتتبع موارد استعمال هذه الكلمة في القرآن المجيد والمصادر الاخرى يؤيد ما ذكره صاب المقاييس من أن هذه الكلمة لها مفهومان وكلا المفهومين ينطبقان على الآية المعنية ، فطبقاً للمعنى الاول تصبح الآية بهذا المعنى : « إني اريد ان تعود (الى الله) وانت تحمل اثمك واثمي » ، وطبقاً للمعنى الثاني تصبح بهذا المعنى : « إنك تعدّ مكاناً لنفسك بارتكابك هذا الاثم وحملك اثمى » .

وهنا يطرح هذا السؤال المهم : ما هو المراد من ذنب هابيل الذي قُتل على يد أخيه حتى يثقل كاهل أخيه ؟ وكيف يمكن قبول هذا الحديث اساساً مع إن الآية ٣٨ من سورة النجم تقول : ﴿ أَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

سلك مشهور المفسرين عدّة طرق تحتاج اغلبها الى التقدير في الآية وقالوا بأن المراد من اثمى هو اثم قتلي .

لكن المناسب عدم التقدير والمراد في الآية هو : انك ان عملت بتهديدك هذا وقتلتني فإنك سوف تحمل ثقل جميع ما ارتكبته انا من اثم ، وذلك لأنك يجب ان تدفع غرامة قتلي يوم القيامة وبما انك لم تعمل صالحاً في الدنيا فعليك ان تحمل عبء ذنوبي غرامة فعلك ا

وقد روي عن الامام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية ما يؤيده هذا المعنى ،

وقال ﷺ : « من قتل مؤمناً متعمداً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب وبرئ المقتول منها ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ ، (١) .

وروي عن النبي ﷺ ما يعكس هذا المعنى (وان لم تكن الرواية واردة في تفسير هذه الآية) ، قال ﷺ : « يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من حساب الظالم فترة في حسنات المظلوم ، حتى يُنتصف ، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه » ، (٢) .

والاية الرابعة تشير الى عصر نوح ﷺ . فقد نقل القرآن دعوته عن لسان الكافرين والجاحدين ، قال تعالى : ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ .

ويدل هذا التعبير بوضوح على أن نوح ﷺ قد طرح على هؤلاء مسألة المعاد - وبالاخص المعاد الجسماني - وقد ملأت دعوته آذان جميع المخالفين ، وبسبب انحطاطهم الفكري بهتوا لما جاءهم وقالوا محدثين بعضهم البعض : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

ويستفاد بوضوح من الآيات الواردة في سورة نوح ايضاً بأن نوح ﷺ حاول رفع الشبهات والاستبعادات والهول الذي جثم على اذهانهم بسبب طرح مسألة المعاد فعمد الى تشبيه حياة البشر بحياة النباتات ليوضح لهم الامر ، قال تعالى عن لسان نوح : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ﴾ (نوح / ١٧ و ١٨) .

يتضح من هذا بأن المعاد كان معروفاً لدى قوم نوح ﷺ بالاسلوب المشابه لاسلوب نبي الاسلام ﷺ الذي استخدمه مع مشركي مكة ايضاً ، ونوح ﷺ كان

(١) نور الثقلين الجزء ١ الصفحة ٦١٣ ، الحديث ١٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي الجزء ٣ الصفحة ٢١٣٤ .

اول انبياء اولى العزم وكان صاحب شريعة .

وتحدثت الآية الخامسة عن « ابراهيم » عليه السلام وايمانه بمسألة المعاد ، فقد بينت هذه الآية جانباً من ادعية ابراهيم عليه السلام عندما عاش الالام بسبب المعارضة الشديدة التي تلقاها من كفار عصره ، قال تعالى عن لسان ابراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ .

وقال في الآية التي سبقت هذه الآية بآيتين : ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ .
فالادعية المذكورة اعلاه تشير بوضوح الى ان ابراهيم عليه السلام يخاف الخزي يوم القيامة مع ماله من مقام عظيم لأنه كان من اعظم انبياء اولى العزم .

ومن الممكن ان يعتبر البعض هذا التعبير على انه رشاد للآخرين وتعليم لغير المعصومين ، وذلك لأن المعصوم لا يخزي يوم القيامة ، لكن البعض لهم تعبير لطيف في هذا المجال وهو انهم قالوا « حسنات الابرار سيئات المقربين » فالاعمال الصالحة العادية لاتلائم مقام الانبياء والمعصومين ، وكذلك الحال بالنسبة للمقربين فإنهم ان حشروا يوم القيامة مع « الابرار » وهو مقام ادنى من مقام المقربين فهو خزي بالنسبة لهم ، وذلك لأنه يتوقع من كل شخص عمل يتناسب معه ، كما ان لكل شخص مقامه المناسب ! .

وتحدثت الآية السادسة عن عقيدة « اليهود والنصارى » في المعاد ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾
اجل انهم كانوا يعتقدون بأنهم ارقى الأمم وان الجنة خصصت لهم ولم يعيها بغيرهم حتى لو كانوا مؤمنين .

فأجابهم القرآن اولاً فقال : ﴿ تِلْكَ أُمَانِيَّتُهُمْ ﴾ اي امال بعيدة عن الواقع ولن تتحقق ابداً .

ثم وجه الخطاب نحو النبي ﷺ فقال : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . على دليل عقلي يستند هذا التخصيص وبأي دليل خصص اللطف

الالهى بكم وحرّم الاخرين منه ؟ فهل من الممكن اساساً ان يتسق هذا التمييز مع العدالة الالهية وان يحرم المؤمنون المحسنون كما تزعمون ؟
ان كانوا يدعون بأن دينهم لن يمسح الى الابد فلماذا حكموا على الامم السابقة التي كانت تتبع انبياء السلف ويعملون بتكاليفهم بهذا الحكم ؟ ان كل هذا يدل على ان هؤلاء في تخصيصهم الجنة بهم لم يتبعوا الا اوهامهم النابعة من انانيتهم .

والجدير بالذكر ان « امانى » جمع « امنية » وهي بمعنى الامل (وقد صرح عدد من المفسرين بأن الامانى بمعنى الآمال التي يستحيل تحقيقها) .
بناءً على هذا فـ « امانى » بمعنى الآمال وتحمل معنى الجمع ، بينما لا يشكل تخصص الجنة الا « امل واحد » . وللإجابة على ذلك قال بعض المفسرين ان الامل الواحد هذا تتبعه آمال اخرى ايضاً وهي الخلاص من العذاب الالهى وخوف المحشر وعُسر الحساب ومسائل اخرى من هذا القبيل .
وقال آخرون بأن الامل كلما كُبر يصبح بحكم « الآمال » ، وهذا تعبير لطيف يشير الى مدى بعد هؤلاء عن الواقع ! .

وهناك احتمال آخر ايضاً وهو ان السبب في عدها آمال هو وجود هذا الامل في قلب كل واحد منهم ، او ان يكون الواحد منهم تمنى ذلك كثيراً ، لذا جي بصيغة الجمع للدلالة على ان هذا التوهم لا ينحصر بفرد معين منهم او بمرحلة معينة ، بل هو امر له طابع العموم والدوام .

ومهما يكن من شيء فإن هذه الآية تدل بوضوح على وجود الاعتقاد بالمعاد لدى اليهود والنصارى .

وفي الآية السابعة نلاحظ تعرّض « المسيح » ﷺ لذكر المعاد عندما تكلم في المهد بإذن الله تعالى ، فقال في بعض كلامه : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

والسبب في اختيار هذه الايام الثلاثة (يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث) هو خطورتها ودورها المهم في تقرير المصير ، ويتعبير آخر ان كل يوم من هذه الايام الثلاثة يشكل بداية لفصل جديد في مسار الانسان وتعتبر السلامة امرٌ مهم فيها ولا تيسر الا بلطف من الله ، فطلب المسيح ﷺ ان يمن الله بلطفه عليه في هذه الايام الثلاثة .

بالاضافة الى ذلك فقد وجّه نداءه بنفي الوهيته ومذ كان في المهد وصرّح بأنّه كسائر عباد الله بعثه الله للناس جميعاً .

وجاء في الآية ١٥ من نفس هذه السورة الحديث عن هذا الموضوع عند الحديث عن النبي يحيى عليه السلام ، لكن الفرق بينهما هو كون الخطاب هنا صدر عن المسيح عليه السلام والخطاب هناك عن الله تعالى .

جاء في الحديث عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام : انّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم ولد من بطن امه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعابن الآخرة واهلها ويوم يبعث حياً فيرى احكاماً لم يرها في دار الدنيا .

ثم تعرّض الامام لذكر الآيات المتعلقة بالنبي يحيى والمسيح عليه السلام الواردة في هذا المجال ^(١) .

وعلى اية حال فقد اشارت الآية المذكورة بوضوح الى أنّ مسألة المعاد كانت من الامور البديهية لدى الاقوام السالفة مما جعل المسيح يتحدث عنها وهو في المهد .

الى هنا تحدثنا بصورة مجملة عن موضوع المعاد في شريعة اربعة انبياء من « اولي العزم » ، واذا ما اضعفنا الآيات الكثيرة الواردة في موضوع المعاد في شريعة نبي الاسلام ﷺ الى هنا فسوف يختتم الحديث عن المعاد في خمسة شرائع .

كما لاحظنا هذا الموضوع ايضاً لدى الانبياء « غير اولي العزم » في الاحداث

التي مرت على آدم ﷺ وماتعلق بها مثل قصة اولاد آدم وقصة ابليس .
ولابأس هنا من الاطلاع على هذا الموضوع من خلال ما جاء على لسان سائر
الانبياء :

عندما بُعث شعيب الذي كان يعيش في فترة حياة موسى ﷺ الى مدينة
(مدين) (مدينة تقع جنوب غرب الاردن اسمها الحالي (معان) وتقع شرق خليج
العقبة) قال لقومه : ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَغْتُوا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

لقد اكّد شعيب في بداية دعوته على مبدأين اساسيين تعتمد عليهما جميع
الاديان هما « المبدأ » و « المعاد » ودعا الناس للايمان بهما .
والمراد من رجاء اليوم الاخر هو رجاء نيل الثواب الالهي في ذلك اليوم ، او ان
يكون معنى الرجاء هنا بمعنى الايمان والاعتقاد بذلك اليوم .

والاية التاسعة تتحدث عن حوار « يوسف » ﷺ مع صاحبيه في السجن قال
تعالى عن لسان يوسف : ﴿ ... إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كَافِرُونَ ﴾ .

والسبب في استعماله لهذا التعبير هو أنّ مشركي ذلك الزمان عبدة الاصنام
كانوا يعتقدون بالله الاّ انهم كانوا يعتقدون بأن المعاد والجزاء يحصلان بواسطة
التناسخ ، فهؤلاء كانوا يعتقدون بأن روح الانسان بعد الموت تحل في جسم انسان
آخر في هذه الدنيا وتتلقى ثوابها وعقابها خلال الحياة الجديدة ، لكنّ دين التوحيد
يرفض عقيدة التناسخ وعودة الارواح في هذه الدنيا كما انه يرفض عقيدة الشرك
ايضاً ، لذا عدّهم يوسف مشركين وجاحدين للمعاد ^(١) .

و « الملة » في الاصل بمعنى (الدين) والفرق بين الملة والدين هو ان الدين يضاف الى الله والى الاشخاص معاً ، فيقال دين الله او دين محمد ﷺ بينما تضاف الملة عادة الى الانبياء (أو الى الاقوام الذين بُعث فيهم النبيون او مدعو النبوة) فيقال ملة ابراهيم وامثال ذلك ^(١) ولا يقال « ملة الله » .

والمراد من القوم الذين ذكرهم يوسف ﷺ هم عزيز مصر وزوجته زليخا وتابعوهم وهم شعب مصر بصورة عامة ، فهؤلاء لم يكن لديهم اعتقاد صائب لا بالمبدأ ولا بالمعاد .

وعلى اية فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على ان المعاد كان يشكل احد الركنين الاساسيين في دين يوسف ﷺ ايضاً ، وقد اشار الى هذين الركنين معاً في السجن عند محاورته للسجناء .

ومن الجدير بالذكر ان يوسف ﷺ قال بعد هذا الحديث : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ، وهذا يدل على ان المبدأ والمعاد كانا ركنين ثابتين في جميع الاديان الالهية السابقة .

وتحدثت الآية العاشرة والاخيرة من آيات بحثنا عن خطاب « مشركي مكة » عند معارضتهم دعوة النبي ﷺ حين دعاهم للايمان بالمعاد ، فبعد اظهارهم التعجب من عودة الانسان الى الحياة بعد تحوله الى تراب قالوا : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

يشير هذا التعبير بوضوح الى ان الدعوة الى الايمان بالمعاد كانت حاصلة من قبل الانسان منذ القدم الى الحد الذي عدها المشركون من (اساطير الاولين) ! .

و « اساطير » جمع « اسطار » جمع « سطر » بمعنى الصف من الاشجار او

الكلمات وغيرها ، فـ « اساطير » جمع الجمع وتستعمل بمعنى الروايات المنقولة عن الاقوام السالفة ، وبما ان روايات السالفين كانت تضج بالخرافات فقد استعملوا هذا التعبير عادةً في مجال « الخرافات » .

وقال البعض بأن « اساطير » جمع « اسطورة » و « اسطارة » و « اسطير » ووجود الزيادة على المصدر الثلاثي دليل على الاضافة في المعنى ، فيكون المعنى الاصلي هو السطر الطبيعي والمعنى الاضافي هو الاسطر المزيفة والكاذبة ^(١) .

ثمرة البحث :

يستفاد من خلال الآيات المذكورة اعلاه وكذلك الآيات الكثيرة المشابهة لها في القرآن المجيد بأن مسألة المعاد قد طرحت منذ وطأ آدم ﷺ الارض وان جميع الانبياء دعوا الناس للايمان بها ، خلافاً لزعم المغفلين الذين يرون بأن الحديث عن الايمان بيوم القيامة طرح مؤخراً من قبل المؤمنين .

بل يستفاد من آيات متعددة من القرآن بأن الله ايضاً يحاجج المجرمين بمسألة المعاد يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ (الانعام / ١٣٠) .

فهذه الآية تدل بوضوح على ان انبياء الله دعوا جميع الجن والانس للايمان بالمعاد .

وجاء هذا المعنى في آية اخرى نقلاً عن لسان خزنة جهنم عند محاورتهم اصحاب النار : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُوونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ (الزمر / ٧١) .

واللطيف ان اصحاب النار يعترفون جميعاً بهذا المعنى ايضاً ، كما يدل على

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم .

ذلك ماجاء في تنمه هذه الاية : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ۖ ﴾ .

بناءً على هذا فالقرآن يرى بأن مسألة المعاد تشكل العمود الفقري في دعوة الانبياء ، وان الدعوة للايمان بالمعاد بدأت منذ خلق آدم ﷺ واستمرت على مرّ العصور بواسطة دعوة الانبياء وانّ جميع الشعوب قد تعرّفت على هذا الموضوع .
والآن ننتقل الى بحث الاسانيد التاريخية وتقارير العلماء الواردة في هذا المجال .

توضيحات

١ - المعاد لدى شعوب ما قبل التاريخ :

نحن نعلم بأن مراحل حياة البشرية تقسم الى مرحلتين : مرحلة ما بعد اختراع الكتابة عندما تمكن الانسان من تدوين شيء من نفسه وسمّيت هذه المرحلة بمرحلة التاريخ ، ومرحلة ما قبل اختراع الكتابة فمن الطبيعي انّ الانسان لم يكن في هذه المرحلة قادراً على تدوين شيء مما كان يدور حوله كي يصبح له تاريخاً مدوناً ، وأطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة ما قبل التاريخ .

لكن عدم اختراع الكتابة في تلك العصور لم يكن حائلاً ابداً امام معرفتنا لافاض تلك الشعوب ، وذلك لأن ما خلفوه من آثار تحت التراب وفي المغارات وغيرها كثير جداً مما يسهل الكشف عن مجهولات كثيرة في اسلوب معيشتهم .

فالعلماء مازالوا مستمرين في التنقيب في مختلف انحاء العالم عن الآلات المختلفة التي كان الانسان يستخدمها في تلك الفترة ومازالوا ينقبون عن بيوتهم وقراهم التي كانوا يسكنونها ، كي يطالعوها بدقه بعد العثور عليها ليدونوا ما يكتشفونه

من عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم فيتوصلوا في هذا الطريق الى معرفة طقوسهم وعقائدهم الدينية ايضاً .

يقول عالم الاجتماع الشهير « صاموئيل كينغ » في كتابه « ان اسلاف الانسان الحالي (الذين عُثر على آثارهم خلال التنقيب) اي « النياندرتال » كانوا يمارسون طقوساً دينية ، والدليل على ذلك هو دفنهم امواتهم بطريقة خاصة ودفنهم الآت عملهم معهم وهذا ما يكشف عن عقيدتهم بوجود عالم آخر^(١) .

ونحن نعلم بأن نسل النيدرتال يتعلق بعصور مضت عليها عشرات الالاف من السنين في زمانٍ لم ت اخترع فيه الكتابة ولم تدخل مرحلة التاريخ البشري .
إن عملهم هذا كان خرافياً وهذا مما لاشك فيه ، لأننا نعلم بأن الات العمل لاتنفع الانسان في الآخرة ، لكنّ المحفّز لعملهم هذا هو الايمان بالحياة بعد الموت كان واقعاً متجسداً بينهم .

وجاء في كتاب دائرة المعارف القرن العشرين نقلاً عن كتاب « اصول علم الاجتماع » لمؤلفه « هربرت اسبينسر » : إن البشر القدامى وبسبب عدم قدرتهم على التفكير (العميق) كانوا يتصورون وضع الحياة في الآخرة على قدر عقولهم ، لذا كانوا يحملون اعتقادات عجيبة وغريبة عن جزئيات تلك الحياة تشوبها الخرافات احياناً ، فالكثير منهم وعلى الرغم من اعترافهم بالحياة الآخرة كانوا يعتقدون بأن تلك الحياة تختص بمن مات موتاً طبيعياً ، وكان البعض منهم يعتقد بأن تلك الحياة خاصة بالابطال والاقوياء . فقسم من هؤلاء كان يدفن مع الميت سلاحه ، كما كانوا يدفنون الادوات المنزلية مع النساء ووسائل اللعب مع الاطفال (كي ينتفعوا بها عندما يبعثون ثانياً !) .

كما كانوا يدفنون احياناً جميع ما يمتلك الميت من حيوانات معه ، ويدفنون معه احياناً شيئاً من حبوب الذرة والحبوب الاخرى لكي يستفيد منها في زراعته

(١) « جامعه شناس » ساموئيل كينگ الجزء ١ الصفحة ٢٩١ .

في الآخرة ١ .

كما كانوا يتجاوزون ذلك احياناً فيدفنون مع الميت نساءه وغلماؤه وبعض اعوانه المقربين كي يتسامر معهم في الآخرة ! حتى وصل الحد في بعض مناطق المكسيك وامريكا الى قتل كاهن (ودفنه) مع اصحاب النفوذ لبشاوره في الامور الدينية والمعنوية في الآخرة !! .

كما كانوا يقتلون مهرجه ويدفونه معه ايضاً ليلهي سيده في الآخرة بحركاته وما يقصّه عليه من الطرائف .

فعدد الذين يقتلون ليدفنوا مع الشخصيات يتناسب مع حجم شخصية ومكانة ذلك الرجل وقد ذكر احد المؤرخين بأن عدد ضحايا بعض هؤلاء الاموات يصل الى مائتي شخص !

وفي بعض الاحيان عندما كان يتوفى احد الابناء الاعزاء كانوا يقتلون امه وعمته وجدته فيدفنونهن معه كي يكنّ الى جواره في الآخرة ، (١) .

مما لاشك فيه هو انّ هذه الخرافات المرعبة كانت وليدة افكار تلك الشعوب المنحطة فكرياً ، لكن كل تلك الاحداث تتحد في دلالتها على شيء واحد وهو أن الاعتقاد بعالم وراء الموت كان ذا جذور عميقة لدى البشر الاوائل .

وجاء ايضاً في كتاب « تاريخ الحضارات العام » بأن اجساد الموتى كانت تدفن باهتمام خاص ومراسم خاصة منذ مراحل ما قبل التاريخ وحتى نهاية التاريخ القديم ، وكثيراً ما كانوا يدفنون مع الاموات الادوات المنزلية او اشكال غريبة اخرى ، وكان ذووهم يهدونهم الهدايا ، وهذه العادات والتقاليد ان دلت على شيء فإنها تدل على ايمانهم بالحياة الآخرة (٢) .



(١) دائرة المعارف قرن بيستم الجزء ١ الصفحة ٩٠ - الصفحة ٩٤ (باختصار) .

(٢) تاريخ الحضارات العام الجزء ١ الصفحة ٩٩ .

٢ - المعاد في ضمير شعوب مابعد التاريخ :

تدلّ الوثائق التاريخية على أنّ الشعوب التي كانت تعيش في مناطق مختلفة من العالم كانت تشترك مع الشعوب الأخرى في هذه العقيدة ، وغالباً ما كانت المجتمعات تؤمنُ بعقيدة راسخة في مسألة الحياة بعد الموت ، وتُولي اهتماماً كبيراً باقامة تلك الشعائر بالرغم من إدخالهم عليها بعض الخرافات ، ونحاولُ أن نلقي نظرةً على بعض المعتقدات لدى المجتمعات القديمة .



الف - المعاد لدى

المصريين القدماء :

جاء في كتاب تاريخ « ألبر ماله » في هذا المجال :
« كان المصريون يعتقدون بأنّ أرواح الموتى تخرج من القبور ، وتمثل بين يدي الربّ العظيم « آزيريس » .
وعندما تُقاد الروح لتمثل أمام أحكم الحاكمين فإنّ « آزيريس » يأخذ قلب الشخص ويضعه في ميزان الحقيقة ليزنه ، فتُرسل الروح الطاهرة إلى بستان لايسع تصور الانسان خيراتهِ ...

وكانوا يضعون إلى جوار كل من الأموات سفراً يُعينه ويَهديه في سفرهِ إلى ذلك العالم ، وذلك السفر العجيب يحتوي على جمل ينبغي على الميت أن يقولها امام الاله العظيم « آزيريس » كي تبرأ ذمّته ، وهذه الجمل هي :

إنّ العظمة تليق بك ايها المتعال ! إله الحقيقة والعدالة !

انني لم اراوغ مع الناس الذين كنت اعيش معهم ، ولم اضجّر امرأة عجوزاً ولم اكذب في محكمة ، ولم ادّس نفسي بالحيل وتلفيق الحقائق .

انني لم احمّل العامل اكثر مما يطيق من عمل في يوم واحد ، ولم أتراخ في انجاز وضائفي ، ولم اتخذ من التواني موضعاً ، ولم أرض بهتك المقدسات ولم انم على عبدٍ لدى سيده ، ولم الق برزق احدٍ إلى القبط ! ولم اقتل ، ولم اسرق لفائف وامتعة الموتى^(١) .

انني لم اغتصب ارض احد ولم اصد عن رضع الاطفال ، ولم أوقف جريان نهرٍ ، انني طاهر طاهر ! ...

ايها القضاة ! افسحوا المجال امام هذا المرحوم فاليوم يوم الحساب ، وهذا لم يقترب ذنباً ولم يكذب ولم يُسِّء ، انه نصر الحق والانصاف في حياته ، فكان الناس يحمدون افعاله وقد أرضى الاله ، انه أطعم الجياع وقدم القرابين في سبيل الاله ومد الموتى بالغذاء ، ان فمه طاهر ويديه طاهرتان أيضاً .

قال المؤرخ المذكور (آلبر ماله) في نقد هذا الكلام : يلاحظ بوضوح من خلال هذه العبارات كيفية تصنيف المصريين للذنوب الكبيرة والحسنات والمستحبات^(٢) .

ويجب ان نضيف إلى هذا الكلام أن هذه العبارات تدل أيضاً على ان هؤلاء كانوا يؤمنون بالحساب الالهي بالاضافة إلى ايمانهم بتمحيص الاعمال وايمانهم بوجود الجنان ، كما يجب ان نضيف إلى هذا أن هذه الاعمال اشبه ما تكون بتلقين الميت لدى المسلمين ، وتشير إلى تطهير السلوك من دنس جميع الذنوب ، هذا بالاضافة إلى قياس حجم الذنوب بالنسبة إلى بعضها البعض .

وعلى أي حال فالمصريون بناءً على ما جاء في تاريخهم ، كان لهم اعتقاد راسخ بمسألة الحياة بعد الموت على الرغم من نفوذ خرافات كثيرة فيها ، ومن جملة

(١) المراد من لفائف الموتى ظاهراً هو القماش الذي يلف على اجسام الموتى لتحنيطهم ، وكان ذا قيمة عالية ، اما الامتعة فهي الغذاء الذي كانوا يدفنونه مع الموتى على امل ان ينفعهم في حياتهم بعد الموت .

(٢) « آلبر ماله » تاريخ ملل شرق ويونان الجزء ١ الصفحة ٧٤ .

معتقداتهم هو وضعهم الادوات التي كانوا يستخدمونها في حياتهم والامتعة ، ووضعهم صور وتمائيل ورسوم الموتى في القبور ، لاعتقادهم بأن هذه الصور والرسوم يمكنها ان تحل محل الموتى .

ففي بعض المقابر عثر على صورة مزرعة وفي بعضها عثر على صورة تُصوّر كيفية عمل الرغيف ، وفي بعضها عثر على صورة تحتوي على منظر ذبح بقرة ، واخرى تحتوي على منظر تقديم اللحم المشوي الموضوع في الأنية للضيوف^(١) ، كما انّ تحنيط الموتى ، وبناء القبور الرصينة مثل الاهرام ، كلها تصب في هذا الميدان ، والهدف منها هو حفظ اجساد الموتى من التفسخ إلى يوم القيامة ، كي تتمكن من الحصول بسهولة على وسائل العيش بعد ان تحل فيها الروح (لذا) كانوا يضعون انواع المأكولات وتمائيل الطباخين والخبّازين ، وانواع الاسلحة والجواهر في القبور إلى جوار الاجساد ، ولما كانت هذه القبور عادةً عرضة لعبث الحيوانات الوحشية ، أو عرضة لحملات اللصوص لما يوجد فيها من جواهر فقد بادر اصحاب النفوذ والاثرياء إلى بناء الاهرام ، او بناء الابنية الرفيعة على القبور ، واطلقوا عليها اسم « پيرموس » اي « مرتفع »^(٢) .



ب - « البابليون » :

انّ البابليين أيضاً كانوا من اصحاب الحضارات القديمة ، وتدل الآثار الباقية من حضارتهم على أنّهم كانوا يدفنون اجساد الموتى في قبور على شكل غرف مُسقّفة تحت الارض ، وبالرغم من عدم تحنيطهم الموتى الا انهم كانوا يُلبسونهم الملابس الفاخرة بعد غسلهم ، وكانوا يصبغون وجنات الموتى بالالوان ويكحلون

(١) « تاريخ تمدن / ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ١٨٠ .

(٢) « تاريخ تمدن / ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ٤٩ .

أجفانهم باللون الاسود ! وكانوا يضعون الخواتم في اصابعهم ، اما بالنسبة للنساء فإنهم كانوا يدفنون معهم حِقاق الطيب والمشط ودقيق وزيت التجميل ، كي يحتفظن بطيب الرائحة وطراوتهنَّ وجمالهنَّ في العالم الآخر^(١) !

ج - « السومريون » :

يعتبر السومريون من اصحاب الحضارات السالفة ، الذين كانوا يقطنون جنوب العراق ، قال المؤرخ « ويل دورانت » : كان السومريون يدفنون الامتعة والآلات مع الاموات .

وقال في هذا المجال أيضاً : انَّ السومريين كانوا يدفنون الامتعة وآلات العمل مع الموتى ، فإنَّ من الممكن ان نفترض بأنهم كانوا يعتقدون بالدار الآخرة^(٢) .

د - « الزرادشت » :

إنَّ الزرادشت الذين كانوا يقطنون ايران ، كالشعوب الاخرى يعتقدون بعودة الحياة بعد الموت ، بل قد ذكروا لهذه المسألة جزئيات اكثر مما ذكرته الشعوب الاخرى ، فهؤلاء لديهم عبارات حول الجنة والنار والصراط ، حتَّى أنَّهم كانوا يصنفون اهل النار على دَرَكات تشبه إلى حد كبير المعتقدات المعاصرة .

وعلى حدِّ قول « ويل دورانت » انهم كانوا يعتقدون بالآخرة و« جهنم » و« محلَّ التطهير » (الاعراف) ويعتقدون بوجود الجنة ، كما أنَّهم يعتقدون بأنَّ الارواح عليها ان تجتاز الصراط ، لتمييز الارواح الخبيثة عن الارواح الطيبة فتهبط

(١) « تاريخ تمدن / ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ٢٨٣ (باختصار) .

(٢) « تاريخ تمدن / ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ١٥٥ .

الارواح المنزّهة بعد عبور الصراط إلى ارض « السرور » ، ليخلدوا إلى جوار « اهورامازدا » في النعيم والسعادة ، بينما لا تتمكّن الارواح الخبيثة من عبور الصراط فتَهوي في حفر النار ، فالارواح التي ارتكبت ذنوباً أكثر خلال حياتها تسقط في حفرٍ اعمق من حفر جهنم! ^(١) .

وكما لاحظتم أنّ هؤلاء كانت لديهم تفصيلات أكثر من غيرهم في مسألة الحياة بعد الموت .

هـ - « الصينيون »

والصينيون أيضاً كانوا يؤمنون بوجود الحياة الاخرى في طبّات معتقداتهم ، قال « ويل دورانت » في هذا المجال : إنّ عقائد هؤلاء الدينية كانت مليئة بتمني الوصول إلى الالهة والجنة ، وكانوا يعتبرون الاله « آميتابا » اميراً للجنة (من المحتمل ان يكون الاله هنا هو المَلَك) ^(٢) .

وجاء في مصدر آخر : إنّ الصينيين كانوا يعتقدون بأن الذين يموتون موتاً طبيعياً اذا ما كانوا صالحين ، فسوف تسمو ارواحهم وتصل إلى مراحل راقية بالتدرّج من خلال تقديم الهدايا والقرايين ، واخيراً يتحولون إلى آلهة (ملائكة) ^(٣) .

و - « اليابانيون »

واليابانيون ايضاً كانوا يشتركون في هذه العقيدة مع الشعوب الاخرى ، فعندما

(١) « تاريخ ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ٤٢٩ .

(٢) « تاريخ ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ١٥١ .

(٣) اسلام وعقائد وآراء بشرى ، الصفحة ١٥٨ .

وصلت الديانة البوذية إلى اليابان كانت مُلَبَّدةً بغيوم من التشاؤم ، ولكن سرعان ما تغيَّرت تحت السماء اليابانية وأصبحت لها آلهة حفظة (ملائكة حفظة) ، وطقوس جذابة وجنة آمنة ، ولا يخفى أن هذه الديانة لم تحرم من وجود جهنم والوحوش الخرافية ايضاً^(١) .

ز - « اليونانيون » :

أظهرَ اليونانيون (الاغريق) اعتقادهم بالحياة بعد الموت بصور مختلفة ، فمن جملتها إنهم « كانوا يدفنون مع الموتى بعضاً من الامتعة ووسائل التنظيف ليكونوا سعداء تحت التراب ، كما كانوا يدفنون معهم تماثيل فخارية صغيرة بهيئة النساء كي تحافظ عليهم وتسليهم في الدار الآخرة^(٢) .

ح - « الرومان »

وللرومان أيضاً تعابير مختلفة في هذا المجال . ف « الاترويون » الذين هم إحدى الفرق القديمة و الذين حكموا روما ، كان من اهم اعتقاداتهم هو أن الميت يحشر في المحكمة الالهية تحت الارض طبقاً للصورة التي تنقش على قبره ، ويمهل في آخر لحظات المحاكمة للدفاع عن اعماله التي ارتكبها في حياته ، فإن لم يتمكن من الدفاع عن نفسه فسوف يتلى بأنواع العذاب ... وهؤلاء أيضاً كانوا يدفنون الموتى احياناً في قبور تشبه البيوت يحفرونها في الصخور ، وكانوا يضعون مع الميت جميع ما يتعلق به من ادوات كالملابس والمزهريات والاسلحة والمجوهرات

(١) « تاريخ تمدن / ويل دورانت » الجزء ١ ، الصفحة ٩٢٥ .

(٢) يونان باستان « ويل دورانت » الجزء ٢ ، الصفحة ١٨ .

والمرآة وادوات التجميل^(١).

وكان المؤرخ اليوناني « بلوتارخُس » الذي كان يعيش في الفترة ما بين (٥٠ - ١٢٠) ميلادي ، الذي ألف كتبه في العقائد وسير مشاهير اليونان كان يعتقد بوجوب الايمان بخلود الانسان وبأن الجنة محل الثواب ، وأن البرزخ محل التطهير ، وجهنم محل العقاب^(٢).

٣ - الاعتقاد بالمعاد في كتب اليهود^(٣):

إن مما لاشك فيه هو أن النصارى واليهود كانوا يؤمنون بعالم ما بعد الموت ، وقد اشير إلى هذه المسألة كثيراً في كتب « العهد الجديد » والاناجيل الكثيرة ، بالرغم من قلة الاشارة اليها في كتب « العهد القديم » اي كتب اليهود.

ومن « المحتمل » ان يكون السبب في وجود هذا الفرق ، هو حب اليهود المفرط للحياة المادية ، و الذي يدل عليه تاريخهم بوضوح مما يجعل الاعتقاد بالمعاد يزاحم برامجهم ، لذلك عندما كانوا يحرفون كتبهم المأثورة كانوا يثبتون كل ما شاهدوه يتحدث عن الامور المادية في الحياة بنحو افضل وابرز مما ذكر ، لكنهم

(١) « تاريخ تمدن / ويل دورانت » الجزء ٣ (قصر ومسيح) الصفحة ٩ .

(٢) « تاريخ ويل دورانت » الجزء ٣ ، الصفحة ٥٧١ .

(٣) تشتمل كتب اليهود المقدسة والتي تسمى بالعهد القديم على ٣٩ كتاباً ، خمسة منها اسفار التوراة الخمسة ، وسبعة عشر كتاباً منها تسمى بمدونات المؤرخين وكما هو ظاهر من اسمها فهي تحمل في طياتها مادونه المؤرخون حول سير الملوك والحكام وغيرهم ، أما الكتب السبعة عشر الاخرى والتي تسمى بمدونات الانبياء فهي تتألف من شرح سير الانبياء وكلماتهم القصار ونصائحهم ومناجاتهم ، وأما بالنسبة لكتب المسيح المقدسة (العهد الجديد) فمجموعها سبعة وعشرون كتاباً لاغير ، فالاناجيل الاربعة دوت على يد تلاميذ المسيح او تلاميذ تلاميذه وأثنان وعشرون كتاباً منها هي رسائل (بولص) وسائر رموز الدين المسيحي الذين بعثوا للتبشير إلى مناطق مختلفة ، وآخرها كتاب الرؤيا (ليوحنا) الذي شرح فيه مشافهاته الغيبية .

كانوا يحذفون كل ما كانوا يواجهونه من حديث حول القيامة وعقوبة عبدة الدنيا والظلمة !

وقد وصفهم القرآن المجيد بهذا الوصف أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهْم أَخْرِصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة / ٩٦) .

ولكن بالرغم من جميع هذه الاحتمالات التي نشاهدها في كتب العهد القديم بالنسبة لمسألة المعاد ، فإننا نواجه عبارات واضحة الدلالة على الاعتقاد بمثل هذا العالم والتي منها :

١ - جاء في كتاب « النبي اشعيا » : « سوف تحيا امواتك وسوف تبعث اجسادى »^(١) .

٢ - وجاء في الكتاب الاول لـ « صومائيل » مايلي : « ان الله يميث ويحيي ويدخل القبور ويبعث »^(٢) .

٣ - وجاء في سفر المزامير لـ « داود » : « بما انني اسير تحت ظل الموت دائماً فإنني سوف لن اخاف السوء ، لأنك معي ، وسوف تتبعني الرحمة والاحسان في كل لحظات عمري ، وسوف اسكن بيت الله إلى الابد »^(٣) .

بهذا اشار كل من الانبياء « صاموئيل » و « اشعيا » و « داود » إلى القيامة باشارات بارزة ، بالرغم من ان هذه الاحاديث وامثالها لم يتلقاها اليهود بقناعة ، ومن المحتمل ان يكون هذا هو السبب في حذفهم لعبارات كثيرة اخرى في هذا المجال . قال بعض المؤرخين في معرض ذكره لنبذة من عقائد اليهود : ان هؤلاء كانوا يعتقدون بأن الاموات سوف يبعثون اخيراً (وتحل فيهم الروح من جديد) ... فيأتي

(١) كتاب اشعيا ، باب ٢٦ ، جملة ١٩ .

(٢) كتاب صاموئيل الاول ، باب ٢ ، الجزء ٦ .

(٣) مزامير داود ، مزبور ٢٣ ، جملة ٤ إلى ٦ .

المنقذ على الفور، وبعد انتصاره يجتمع المحسنون جميعاً ويلتحق بهم (حتى) من كان في القبور فيحشرون في الجنة التي هي مقره الابدي »^(١) .
وقد اشار هذا الكاتب في محل آخر إلى العقيدة الزرادشتية فقال : « سوف يبعث الأموات ؛ وتحل الروح في اجسادهم ، ويعود التنفس إلى صدورهم فيتخلص العالم المادي من الكهولة والموت والتفسخ والانقراض ، ويبقى على هذه الحالة إلى الابد » .

* * *

٤ - القيامة من وجهة نظر الاناجيل :

وكما اشرنا سابقاً إلى أن مسألة الحياة بعد الموت قد ذكرت بوضوح اكثر في اناجيل النصارى ، فمن جملة ذلك :

جاء في انجيل « متى » الذي هو من اقدم الاناجيل : « عندما يَمْتَثِلُ ابن آدم بين يدي الاب مع ملائكته ، حينئذ يجازى كل على قدر علمه »^(٢) .

وجاء في انجيل « يوحنا » مايلي :

« ... تأتي تلك الساعة فيستمع جميع من في القبور نداءها فيخرجون جميعاً ، فمن عمل صالحاً يذهب إلى قيامة الحياة ، ومن عمل سيئاً يذهب إلى قيامة الجزاء » (المراد من قيامة الحياة ظاهراً هي الحياة في النعيم الالهي التي هي ثواب الصالحين ، والمراد من قيامة الجزاء هو مجازاة المذنبين طبقاً لمقتضى قضاء العدل الالهي)^(٣) .

(١) تاريخ تمدن - ويل دورانت ، الجزء ٣ ، الصفحة ٦٣٧ (باختصار) .

(٢) انجيل متى ، باب ١٦ ، جملة ٢٧ .

(٣) انجيل يوحنا ، الباب ٥ ، جملة ٢٨ و ٢٩ (اقتباس من ترجمة « وليام غلن » طبع المجمع البريطاني للترجمة الاجنبية للكتب المقدسة سنة ١٨٧٨) .

ثمرة البحث :

من خلال البحوث المذكورة اعلاه يمكننا بكل وضوح الوصول إلى هذه النتيجة وهي : إنَّ الاعتقاد بالحياة بعد الموت في نظر مؤرّخي الاديان وغيرها هو من اقدم المعتقدات لدى الاقوام المختلفة للبشر ، بل هو اقدم من اختراع الخط وتدوين التاريخ أيضاً ، وإنَّ جميع الاقوام والشعوب كان لديهم نوعٌ من هذه الاعتقادات التي لم تؤثر فيها لا القومية ولا الجنس ولا اللغة ولا الخصوصية الجغرافية ، بل هي عقيدة شمولية حملها البشر على مرّ التاريخ وقبل تدوينه .

وطبقاً لما جاء مفصلاً في بحث كون المعاد فطرياً ، فإن شمولية هذه العقيدة نابعة من كونها ذات جذور فطرية ، فهي ذاتية وليست من الامور الطارئة على البشر من الخارج ، كي تتطوّر بمرّ الزمان او بتطور الشعوب .

* * *

الايان بالمعاد وعلاقته بالتربية

تمهيد :

إنّ مما لاشك فيه هو أنّ الايمان بالمعاد له تأثير بالغ على اعمال البشر ، فاعمال الانسان اساساً ، ما هي الا انعكاسات عقائده ، او بتعبير آخر إنّ سلوك كل انسان له علاقة وثيقة بنظرته الكونية .

فمن يعتقد بأن جميع اعماله بلا استثناء ، سوف تناقش قريباً في محكمة يتّسم قضاؤها بالعلم بجميع الامور ، وانه لا تنفع في تبديل حكمهم شفاعة الاخرين او الرشوة ، وانه لا مجال لدخول التعديلات على احكامها الصادرة ، التي سوف يثاب او يعاقب وفق مفادها ، بل من ناحية اخرى إنّ من يعتقد بأن اعماله محفوظة على الدوام وتتسم بصبغة الخلود ، وانه سوف تحشر معه في الآخرة لتعيين مصيره من ناحية الفخر او الذلة ، والطمأنينة أو العذاب ، وبأنّها تجرّه إلى السعادة الخالدة او العذاب الابدي ، فانه من البديهي ان لا يسعى مثل هذا لاصلاح نفسه فحسب ، بل يصبح حذراً جداً في ممارسة سلوكه واعماله المختلفة ويتمعن فيها كثيراً ، كما هو الحال في العالم المطلع على خواص العقاقير الطبية النافعة والسموم القاتلة ، فإنّ هذا يسعى لتجنيد جميع طاقاته للحصول على العقاقير النافعة ، كما انه يحذر كل الحذر من السموم القاتلة ، فهذه المسألة تصدق على موارد الاعتقاد بالحياة بعد

الموت ومحكمة القيامة .

بعد هذه الاشارة نعود إلى القرآن لنستمع خاشعين للآيات التالية الواردة في

هذا المجال :

١- ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا ﴾

(الكهف / ١١٠)

٢- ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾

(الدهر / ٨ إلى ١٠)

٣- ﴿ وَمَالِيَ لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(يس / ٢٢)

٤- ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ

اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(البقرة / ٢٤٩)

٥- ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا

أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾

(طه / ٧٢ إلى ٧٣)

٦- ﴿ ... يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ

مِنَ الْمُصَلِّينَ ... وَكُنَّا تُكَذَّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾

(المدثر / ٤٠ إلى ٤٦)

٧- ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ... أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ - لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(المطففين / ١ و ٤ و ٥)

٨ - ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(التوبة / ٤٥)

٩ - ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾

(الماعون / ١ و ٢)

١٠ - ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾

(القيامة / ٥ و ٦)

١١ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَغْمَالُهُمْ فَهُمْ يَغْمَهُونَ ﴾

(النمل / ٤)

١٢ - ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾

(الاسراء / ٤٥ و ٤٦)

جمع الآيات وتفسيرها :

الايمان بالمعاد هو المحفز على عمل الصالحات :

لقد عكست لنا الآية الاولى الرابطة الوثيقة بين الايمان بالآخرة والعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

فالايمان بالآخرة طبقاً لمفاد هذه الآية يمكنه في الواقع ان يؤثر في الانسان

من جهتين ، الاولى هي حثه على العمل الصالح ، والاخرى على الاخلاص في العبودية . والظريف هو ان هذه الآية اطلقت على يوم القيامة عنوان يوم « لقاء الله » ،

ونحن نعلم بأن هذا اللقاء المعنوي والشهود الباطني هو قمة التكامل بالنسبة للبشر، وتذكر ذلك اليوم بإمكانه ان يوجد دوافعاً للاخلاص الكامل والعمل الصالح . (وقد اصطالحوا على هذا بتعليق الحكم على وصف مشعر بالعية) .

وهذه الملاحظة أيضاً جديرة بالإهتمام ، وهي إن التطرق الى رجاء المعاد بدل اليقين به ، إشارة الى أنّ مسألة المعاد ، بدرجة بحيث انه حتى الرجاء بتحقيقه يكفي لوحده لكي يكون منبعاً لمثل هذه الآثار^(١) .

وبالاضافة الى ذلك فإن الاتيان بصيغة المضارع ﴿ يَرْجُو ﴾ التي تدل على الاستمرارية ، ثم الاتيان بعدها بالامر بالعمل الصالح والاخلاص بصورة مطلقة ، كل ذلك من اجل الدلالة على ان ذلك الرجاء وهذا العمل مقترنان ويحاذيان بعضهما على الدوام .

كما يمكن الكشف عن هذه المسألة الظرفية من هذه الآية أيضاً وهي ان القرآن شبه العباد بالمسافرين الذين يعودون ليلاقوا محبوبهم بعد انصرام مدة الفراق ، ومن البديهي انه يجب عليهم بأن يأتوا معهم بهدايا وأن يتصرفوا بما يليق بهذا اللقاء كي لا يقفوا خجلين بين يدي الحبيب .

جاء في بعض التفاسير في سبب نزول هذه الآية : ان رجلاً اتى النبي ﷺ وقال : انني احب الجهاد في سبيل الله ولكنني احب ان ابرز مالدي من مفاخر امام الآخرين ، فنزلت هذه الآية (وأكدت على الاخلاص في العمل) .

وجاء في رواية اخرى في سبب نزول هذه الآية أنّ رجلاً اتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا الله تعالى فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرنني ذلك واعجب به ، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١﴾ .

إن هذه الروايات الواردة في سبب نزول الآية تدل بوضوح على أن الاخلاص التام يعتبر اساس العبادة والعمل الصالح .. الاخلاص الذي لا يشوبه شيء من الرياء ولا يحتوي على أي نوع من انواع الشرك .

والآية الثانية تتحدث عن القصة المعروفة وهي نذر النبي ﷺ صيام ثلاثة ايام واهدائه طعام الافطار إلى « المسكين » و « اليتيم » و « الاسير » ، وهذه الآية تشير بوضوح إلى هذه الحقيقة وهي أن هذا الايثار الذي لامثيل له ينبع من الايمان بالمعاد ، قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (٢) .

أجل أن من يخاف الله ويخاف يوم الجزاء ، لا ينفق مما فُضِّل عن حاجته فحسب ، بل ينفق مما هو بأمس الحاجة اليه وذلك في سبيل الحبيب الذي لامثيل له ، هذا بالاضافة الى أنه ينفقه باخلاص تام ، ولا ينفقه من اجل الحصول على مكافأة أو اظهار الشكر على لسان من أحسن اليهم ، وهذا إنما يدل على أن الايمان بذلك اليوم العظيم هو محفز قوي لعمل الصالحات والاخلاص في النية .

ومما يجدر بالذكر هنا هو أن الآية السابقة تحدثت عن تأثير الرجاء والامل بتحقيق القيامة ، على الاخلاص وعمل الصالحات ، وفي الآية الثانية جاء الحديث

(١) تفسير القرطبي : الجزء ٦ ، الصفحة ٤١٠٩ .

(٢) « عبوس » بمعنى متقطب الوجه و « قمطير » بمعنى صعب وشديد . وتشبيه يوم القيامة بالانسان العبوس هو تعبير لطيف يصور ما لذلك اليوم من رعب وخوف شديدين ، ثم أن كلمة « قمطير » على رأي البعض مشتقة من مادة « قَمَطَر » وعلى رأي البعض الآخر هي من مادة « قَطَر » (على وزن قُفْل) ، ولكن المشهور هو الرأي الاول الدهر آية ٧ - ٩ .

عن تأثير الخوف من ذلك اليوم ، فعند الجمع يتشكّل لدينا ركنان اساسيان للحثّ على العمل الصالح والاخلاص وهما (الرجاء والخوف) .

والآية الثالثة تنقل ما جاء على لسان رجلٍ مؤمن نهض في انطاكيا للدفاع عن مبعوثي المسيح عليه السلام ، وليهدي اهل تلك المنطقة للسير على خطى اولئك السفراء ، انّ هذا الرجل كان يقول خلال دعوته للناس وكما قال تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

فهو في الحقيقة ذكر خلال دعوته دليلين على وجوب العبودية للرب وهما : أولاً لأنه خلقنا وانّ وجودنا وعلمنا وقدرتنا كلّها منه ، وثانياً أنّه هناك دنيا اخرى امامنا سوف يلحق بها الجميع ، ويمثّل الكل بين يدي الله ومحكمته العادلة .
و الملفت للنظر هو أنّه نسب الخلق واعطاء المواهب إلى نفسه ، امّا بالنسبة للمعاد والقيامة فقد نسبها اليهم ، وهذا يدل على انّ المورد الاول يتضمّن شكره للنعمة ، والمورد الثاني يتضمن تهديد المخالفين من عذاب الله يوم القيامة .

الايمان بالمعاد وتأثيره على الاستقامة :

وفي الآية الرابعة جاء الحديث عن تأثير الايمان بالمعاد في الاستقامة والصمود امام الاعداء في سوح الجهاد ، وهي تنقل ما جاء على لسان قوم من مؤمني بني اسرائيل الذين رافقوا « طالوت » (قائد الجند الذي نُصّب من قبل الباري تعالى) في حربهم مع « جالوت » الملك الظالم ، وبعد خوضهم لامتحان صعب تخلّف فريق منهم ولم يبقَ في ساحة القتال الا عدد ضئيل ، ثم انّ هذا العدد الضئيل انقسم بدوره إلى قسمين ، فقسم منهم استحوذَ عليهم الخوف والهلع فقالوا : ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا

اليَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴿١٠﴾

وفي قبال هذا القسم ، قسم آخر كانوا يعلمون بأنهم ملاقوا الله حيث قالوا : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

والتعبير بـ « يظنون » - على رأي كثير من المفسرين - وَرَدَ هنا بمعنى « اليقين بقيام يوم القيامة » وهو كذلك ؛ لأنَّ هذا الحديث صدر عن الذين خاضوا مختلف انواع الامتحانات ، ثم دخلوا ساحة الجهاد بإيمان راسخ . ولا يخفى أنَّ « الظنَّ » بمعنى الاعتقاد الناشئ من الادلة والشواهد ، وكلَّما كانت الادلة قوية ، فإنَّه سوف ينتهي الى العلم وكلَّما ضعفت شواهد فإِنَّه لا يتجاوز حدَّ الوهم .

وقال بعض المفسرين أيضاً : إِنَّ الظن هنا لا يصل حدَّ العلم ، لكن « لقاء الله » لم يأت هنا بمعنى القيامة ، بل جاء بمعنى الشهادة في سبيل الله ، اي أنَّ هذا الحديث كان صادراً عن الذين كانوا يظنون بأنهم سوف ينالون وسام الشهادة الرفيع . لكنَّ هذا المعنى بعيد جداً ، وذلك لأنَّه لا يتناسب مع « غلبة الفئة القليلة على الفئة الكثيرة » ، بالاضافة إلى أنَّ « لقاء الله » الذي ذُكر في آيات القرآن يدل عادةً على القيامة لا على الموت أو الشهادة .

وعلى اية حال فمن البديهي أنَّ الذين يؤمنون بالقيامة لا يعتبرون الموت نهاية الحياة ابداً ، بل يعتبرونه بداية حياة ارقى ، فمثل هؤلاء لا يخافون الموت بل يذهبون لاستقباله بكل شجاعة وشهامة .

والآية الخامسة تتضمَّن ماجاء على لسان سحرة فرعون عندما آمنوا بموسى عليه السلام ، بعد ان هددهم فرعون بالعذاب الاليم والتقتيل ، قال تعالى نقلاً عن لسانهم :

﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

انّ الايمان بالقيامة وعدم الاكتراث بالحياة الدنيا ، هنا دفع بالسحرة الفراعنة على ان يمارسوا اقوى درجات الايثار والتضحية ، فقد صرفوا انظارهم عن جميع ما اعدّه لهم فرعون من الهدايا ، وصرفوا انظارهم عن جميع الماديّات وذهبوا لاعتناق التقتيل والتنكيل ، ووقفوا بكل صلابة امام استفزازات ذلك الطاغية الجبار ، وشربوا شهد الشهادة بكل شجاعة .

اجل عندما يبرق الايمان بالمعاد في القلوب ، فإنه يؤجج النار فيها بنحو لا ينفع معه اي تهديد ، فيفقد كل شيء اهميته في نظر الانسان الا الله ولقاء الآخرة ونعيمها الخالد .

انّ هذا الايمان الشديد الملهب بدّل السحرة الذين كانوا بالامس عبدة الدنيا وكانوا اذلة متحلّقين بدّلهم اليوم وحولهم إلى رجال اقوياء وشجعان صامدين^(١) .
والتعبير بـ ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ هو دليل على ايمانهم بالحياة الآخرة الخالدة السامية . والآيات التي تتلو هذه الآية أيضاً قد صرحت بوضوح اكثر على ايمان هؤلاء بالدار الآخرة ومحكمة العدل الالهية ، والجنة والسعير والدرجات المختلفة لاصحاب الجنة وانواع النعم الخالدة في الجنة .

(١) ذُكِرَ في تفسير جملة « والذي فطرنا » احتمالان الاول على انّ الجملة تدل على القسم - كما ذكرنا في تفسيرها اعلاه - والثاني على انّ الجملة معطوفة على جملة سابقة ، ففي هذه الحالة يصبح المعنى بهذا النحو : « قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا » لكنّ المعنى الاول اقرب على الاخص اذا اخذنا بنظر الاعتبار بأن السحرة في عدة آيات كانوا يقسمون بعزة فرعون ، وهنا اقساموا بخالق جميع البشر .

انكار المعاد هو السبب الرئيسي لاقتحام الفجور :

اشير في الآيات الخمس السابقة إلى الآثار الايجابية للايمان بالمعاد والحياة بعد الموت في ابعاد مختلفة وحيثيات متعددة ، وابتداءً من الآية السادسة فما بعدها اشير إلى الآثار السلبية لعدم الايمان بالمعاد .

ففي الآية السادسة قال تعالى : ﴿ ... يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ ^(١) .

فينادى اصحاب السعير ليبينوا اسباب دخولهم النار ويلخصونها في اربعة عوامل هي : ترك الصلاة ، وترك اطعام المساكين ، ومعاشرة اهل الباطل ، واخيراً التكذيب بيوم الجزاء على الدوام ، قال تعالى بلسان حالهم ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا خَوْضٌ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

انّ هذه الآيات تدلّ بوضوح على أنّ احد عوامل السقوط في احضان جهنم ، و العامل الاساس المؤدي اليها هو انكار يوم الجزاء ، الذي يجعل من الانسان موجوداً غير مكترث ولا مسؤولاً وفاقداً للتقوى والايمان .

والجدير بالذكر هو انّ المتسائلين لم يسألوهم : لماذا القاكم الله في النار ؟ بل كان سؤالهم : ما هو السبب الذي ادى إلى دخولكم النار ؟ ، وذلك لتوضيح القانون الطبيعي الذي يربط « المنكرات والعقائد السيئة » بـ « دخول جهنم » .

ومما يجدر الاشارة اليه أيضاً هو انّ العامل الاول من هذه العوامل الاربعة ، هو

(١) « سَقَرٌ » (على وزن سَفَر) في الاصل من مادة سَقَر (على وزن فَعَرَ) وهي بمعنى التبدّل والذوب إثر حرارة الشمس ، وعدّ البعض (مثل صاحب مقاييس اللغة) من معانيها الاحراق والاحتراق أيضاً ، وفي « صحاح اللغة » عدّها من اسماء النار ، وعلى اية حال فإنّ انتخاب هذا الاسم لجهنم هو من اجل انّ جميع المعاني مجموعة فيها . وجاء في كتاب « التحقيق » أنّ سقر هي نفس النار لامحلّها كما هو الحال في جهنم .

ترك الارتباط بالله (الصلاة) ، والثاني هو ترك الارتباط بالضعفاء (اطعام المساكين) ،
والثالث هو معاشرة اهل الباطل (الخوض مع الخائضين) ، والرابع هو عدم الايمان
بالقيامة .

والتأكيد على ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (يوم الادانة) من بين اسماء القيامة هو للدلالة
على هذه الحقيقة وهي انَّ المحرك الرئيسي نحو الايمان والعمل الصالح هو الاعتقاد
بأنَّ يومَ القيامة هو يوم الادانة والجزاء .

وتحدثت الآية السابعة عن « المطففين » (الذين ينقصون الكيل) ، قال تعالى :
﴿ وَيَلِلْ الْمُطَفِّفِينَ ... أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ومن المحتمل هنا ان يكون الظن بمعنى اليقين ، او بمعنى الظن بالمعنى
الثاني ، والهدف هو التأكيد على هذا الواقع وهو انَّ يوم الجزاء يبلغ من الهمية
والعظمة ، مما يجعل من يظن وقوعه يحرص على الاجتناب من ارتكاب المعصية
فضلاً عن ان يكون متيقناً .

لكن الكثير من المفسرين انتخبوا المعنى الاول أيضاً ، كما جاء في بعض
الآيات السابقة (البقرة / ٢٤٩) ، وقد اكّدت الروايات على هذا المعنى ايضاً^(١) .
على أيِّ حال فإننا ان فسرنا الظن باليقين أو بالظن الذي هو اقل درجة من
اليقين ، ففي كلا الحالتين تعتبر الآية دليلاً على انَّ الايمان بالقيامة له اثر احترازي

(١) ورد في احاديث المروية عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال : الظن ظنان : ظن شك وظن يقين ، فما كان من امر المعاد من الظن ، فهو ظن يقين وما كان من امر الدنيا فهو على الشك . (نور الثقلين / الجزء ٥ ، الصفحة ٥٢٨ ، الحديث ٦) كما جاء في عبارة الراغب أيضاً من انَّ ظن في اللغة تستعمل في كلا الموردين .

مهم ، في ترك الظلم والكف عن غضب حقوق الناس وامثال ذلك .
فكلما قطع احدٌ ، او حتى لو احتمل بأن هناك محكمة عظيمة ، يُحاسب فيها على الأعمال الصالحة أو الطالحة حتى لو كان مقدارها « مثقال ذرة » ، وينال جزاءه على كل عمل ، وأنه لا مفر له من الامثال أمام تلك المحكمة ، فمن البديهي ان يراقب الشخص اعماله في هذه الدنيا ، وايمانه هذا واعتقاده سوف يؤثر في تربيته .
ومن الطبيعي ليس المراد هنا بأن كل من ينقص الكيل ، او يرتكب ذنباً آخر لا يؤمن بالمعاد وهو كافر ، بل المراد هو ان هؤلاء اما ان يكون ايمانهم ضعيف جداً أو ان يكونوا غافلين ، والآن فكيف يؤمن الانسان ايماناً راسخاً بمثل هذا اليوم وبيئته بالغفلة أيضاً ويغرق بمثل هذه الذنوب .

نعم لو كانوا يؤمنون بالمعاد لما ارتكبوا هذه الذنوب :

تحدث الآية الثامنة عن الذين تقاعسوا عن الاشتراك في الجهاد عندما صدر الامر بهذه الفريضة الالهية ، فهؤلاء كانوا يذهبون إلى النبي ﷺ ويتحججون بحجج واهية ، ليخرجوا النبي ﷺ حتى يأذن لهم بعدم الذهاب الى سوح القتال ، وبهذا كانوا يريدون ان يتخلصوا من ثقل هذه الفريضة المهمة ، من دون ان يكونوا في الظاهر قد ارتكبوا معصية !

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ بل عندما يأتي الامر بالجهاد يذهبون نحو سوح القتال بكل اشتياق ورغبة ، فهل يحتاج انجاز الواجب إلى الاذن ؟

ثم يضيف : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

وهذا لا ينحصر طبعاً بفريضة الجهاد ، فالمؤمنون والذين لديهم اعتقاد بالمعاد ، يتسلحون بعزم راسخ و ارادة قوية لا تنزل في جميع المجالات ، عند

انجازهم للتكاليف الالهية الموكلة اليهم ، لكن عديمي الايمان والذين ضعف ايمانهم وتزلزل ، وبالاخص المنافقون يسعون دائماً للتخلص من عبء التكاليف ، مع أنهم في نفس الوقت يحاولون ان يظهروا بمظهر من يلتزم بالموازين الشرعية وإنّ الشرع قد استثناهم في هذا المجال ، وبالحال من علامة حسنة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين الباطنيين ! .

وتحدّث الآية التاسعة عن الذين يتعاملون بعنف مع الايتام بسبب عدم ايمانهم بيوم الدين ، والذين لا يشجعون الآخرين على اطعام المساكين ، قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ .

وكلمة (يدع) مشتقة من مادة « دَع » (على وزن سدّ) وهي في الاصل بمعنى الطرد بغلظة ، وكلمة « يَحْضُرُ » مشتقة من مادة « حَضَّ » وهي بمعنى تشجيع الآخرين على القيام بعمل ما ، وبما انهما جاءتا في الآية المذكورة بصيغة المضارع فهما تدلان على الاستمرار ، و « طعام » بمعنى « إطعام » .

وبما أنّ « الفاء » في « فذلك » في الآية المذكورة « للسببية » فهذا يدل بوضوح على أنّ انكار يوم الجزاء هو المنبع الرئيسي لهذه الاعمال السيئة والمشؤمة ، فهو لا يحرم الايتام فحسب ، بل يمنعهم بغلظة وشدة ، ولا يكف نفسه عن اطعام المساكين فحسب ، بل يدفع الآخرين أيضاً على الكف عن اطعامهم ، ويقف حائلاً دون تصدّق الآخرين عليهم ، وذلك لأنّه لا يخاف عاقبة سوء اعماله .

انه لا يؤمن بمحكمة العدل الالهية ولا يؤمن بالحساب والثواب والعقاب ، فهو لا يعتقد الا بالحياة الدنيوية المحدودة والامور المادية فقط ، لذا فهو مشغوف بحبها ولا يفكر بسواها .

وجملة ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ مأخوذة من مادة « الرؤية » ، ويحتمل دلالتها على الشهود العيني أو على الشهود اللبّي ، هي بمعنى العلم والمعرفة . وعلى اية حال فالآية تفيد هذا المعنى وهو : أنك ان لم تعرف من ينكر يوم الجزاء فهم يحملون علائم واضحة ، إحداها انهم قساة القلوب ولا يرحمون اليتيم ، والاخرى انهم لا يعباون بحال المعدمين ، فبهذه الصفات السيئة يمكنك تمييزهم بوضوح ، وتلمس حقيقة غياب وجودهم الايمان بالمعاد .

وقد ذكر المفسرون اسباباً عديدة في نزول هذه الآيات ، منها : ان هذه الآيات نزلت في شأن (أبو سفيان) ، فإنه كان يذبح في كل اسبوع اثنين من الابل (لكنه كان يحتفظ بها لنفسه وذويه) ، فجاءه في احد الايام فقير يطلب منه شيئاً ، فدفعه ابو سفيان بعصاه إلى الخلف (فنزلت هذه الآية إثر تلك الحادثة) .

ونقل الفخر الرازي عن « الماوردي » أن هذه الآية نزلت في شأن (ابو جهل) ، فأبو جهل كانت له وصاية على احد الايتام ، فجاءه اليتيم وهو عريان ، وطلب من ابي جهل ان يمدّه بشيء من امواله ، لكن ابا جهل طرد اليتيم بعنف ، فقال وجهاء قريش لليتيم اليائس : اطلب من محمد ان يذهب إلى ابي جهل فيشفع لك عنده ، وكانوا يريدون بذلك الاستهزاء والسخرية ، فتوجّه الطفل إلى النبي ﷺ وهو لا يعلم الهدف من كلام وجهاء قريش ، وطلب من النبي ﷺ ان يشفع له عند ابي جهل ، وكان من عادة النبي ﷺ ان لا يردّ طلب محتاج أبداً ، فقام ﷺ فاصطحب الطفل وذهب إلى ابي جهل ، وعندما وقع نظر أبي جهل على النبي ﷺ رحّب به (وقد ملأ وجوده العجب) ، ثم اعطى اليتيم ما لا كثيراً ، بعد ذلك وجّه وجهاء قريش اللوم لأبي جهل على فعله ، وقالوا له أملكك حبّ محمد يا ابا جهل ؟ فقال كلاً والله إنّ حبّه لم يدخل قلبي ، لكنني شاهدتُ حراباً على يمينه وشماله فخفت ان لم ألب

دعوته ان تمزقني تلك الحراب^(١) !.

وعلى أي حال فإن دلالة الآية على تأثير الايمان بالمعاد على سلوك الانسان
ظاهر بكل وضوح .

وفي الآية العاشرة طُرِحت نفس هذه المسألة اي العلاقة بين « الايمان بالحياة
بعد الموت والحساب والجزاء والقيامة » وبين « اعمال الانسان في هذه الدنيا
والمسائل المتعلقة بالتربية » ولكن بنحو آخر ، قال تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ
لِيَفْجَرَهُ أُمَمَةٌ يَسْتَلُّ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وهل يمكن للانسان الذي يؤمن بعظمة الله ، وقدرته على خلق جميع هذه
الاجرام السماوية والمجرات والعوالم العجيبة ، ان ينكر قدرته على احياء الموتى ؟ !.
بناءً على هذا لا يكون الهدف من انكار هذا الانسان الا التحرر من القيود من
اجل اشباع جميع غرائزه ، وليبسط يديه في الظلم وهتك حدود العدالة وارتكاب
الذنوب ، انه يريد أن يخدع نفسه بهذا الاسلوب حتى تصل به القناعة المزيفة
بأسلوبه هذا حداً ، يجعله يخلق الاعذار والتبريرات لاختفاء قباحة اعماله عن انظار
الناس ، إنه يريد ان يحطم السد العظيم الذي اوجده الايمان بالمعاد للمنع من افتتاح
اي نوع من المعصية ، وهذا الامر لا يختص بالزمان الماضي ، فاليوم كالامس أيضاً .
لهذا ذكر في البحوث المتعلقة بالدوافع نحو المادية وانكار المبدأ والمعاد ، ان
إحدى تلك الدوافع هو الهروب من عبء المسؤوليات وتجاوز السنن الالهية
وخداع الوجدان الانساني .

والمراد من « الانسان » في هذه الآية هو نفس ذلك الانسان الذي جاء

(١) تفسير الفخر الرازي : الجزء ٣٢ ، الصفحة ١١١ . وروح البيان : الجزء ١٠ ، الصفحة ٥٢٢ .

الحديث عنه في بداية سورة الدهر ، ذلك الانسان الذي انكر القيامة ، وكان يظن بأن الله لا يقدر على جمع العظام الرميم واحيائها مرة أخرى ، والفرق هنا - على حد قول «الميزان» - عدم استخدام الضمير واستبداله بالاسم الظاهر (كلمة الانسان) ، وهذا في الواقع هو من احد اشكال اللوم والتحقير وكأنه قال : كيف لمن حصل على مقام الانسانية ان يسلك هذا الطريق الخاطي^(١) .

أما استعمال صيغة المضارع في (يُريدُ - يفجّر) التي تستعمل عادة للدلالة على الاستمرارية ، فقد جاء هنا للدلالة على هذه الحقيقة وهي ان الانسان انانيّ ويحبّ الذات على الدوام ويريد الاستمرار على المضي في فجوره .

و «فجور» من مادة «فجر» بمعنى تمزّق الشيء بشدّة ، وبما انّ الذنب يسبب في تمزّق ستار التدنّين لذا استخدمت هذه الكلمة في هذا المورد^(٢) .

وأما كلمة «امام» (على وزن مقام) فهي في الاصل بمعنى الجهة الامامية وهي تقابل «الخلف» ، وبتعبير آخر إنّ «أمام» بمعنى ما يقابل وجه الانسان ، وبما انّ الجهة المقابلة لوجه الانسان ذات اهميّة بالغة بالنسبة له ، لذا استخدمت هذه الكلمة هنا (لأنّ مادة «أم» بمعنى «قصد») .

لكنّه من الواضح انّ استخدام هذا التعبير هنا هو من اجل الدلالة على مستقبل العمر ، وهي ظرف مكان - على حدّ تعبير بعض المفسرين - وقد استخدمت للدلالة على ظرف الزمان من باب الكناية^(٣) ، والمراد هنا في الحقيقة هو انّ الانسان المتصف ذاتاً بحبّ الذات ، يتخذ من انكار المعاد ذريعة لكسب الحرية في ارتكاب الذنوب خلال فترة حياته .

(١) تفسير الميزان : الجزء ٢٠ ، الصفحة ١٩٠ .

(٢) مفردات الراغب مادة فجر .

(٣) روح البيان : الجزء ١٠ ، الصفحة ٢٤٥ ، وقد اخذ بهذا المعنى صاحب الميزان أيضاً : الجزء ٢٠ ، الصفحة ١٩٠ .

أما ما احتمله البعض من أن «أمام» للدلالة على القيامة فإنه بعيد جداً؛ وذلك لأنها لا تتلاءم مع مادة الفجور، بالإضافة إلى أن هذا المعنى يقطع صلة الترابط الموجود بين الآيات.

* * *

الايان بالمعاد وعلاقته بالرؤية الواقعية :

طرحنا هذه المسألة بشكل جديد في الآية الحادية عشرة ، حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أََعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

وكما اشتهر لدى علماء الادب وعلماء علم اصول الفقه بأن هذا هو من باب تعليق الحكم على الوصف ، وهو يُشعرُ بعلية الوصف للحكم ، بناء على هذا إن كانت الآية تنسب تزيين الاعمال إلى عدم الايمان بالآخرة فيكون مفهومها هو : عندما يفقد الانسان الايمان بالآخرة فإنه سوف يبتلى بهذه العاقبة . (فتأمل) .

كما يمكننا الحصول على هذه النتيجة أيضاً بإعمال شيء من التحليل وهي : إن الإيمان بالآخرة بمعنى الإيمان بوجود محكمة عادلة يباشر الباري تعالى فيها القضاء ، وإن الشهود هم الملائكة ، وإن الكذب والاحتيال والشفاعة والرشوة لا تنفع هناك . فالإيمان بوجود مثل هذه المحكمة يبعث الانسان على التدقيق في اعماله ، ويجعله ينظر اليها من منظار الواقع .

أما بالنسبة لمن يبتعد عن هذه الحقيقة ويشعر بأنه حرّ امام الفوارق الموجودة بين المفاهيم من حسناتها وسيئها ، فإن ذلك يؤدي بالانسان الاناني إلى الاتيان بالاعذار والتبريرات لخداع نفسه وخداع الآخرين في اصفاء صبغة التقوى والصالح على شهواته الجموحة ، واطهار السيئات بمظهر جميل مما يؤدي به في النهاية إلى الوقوع في احضان الحيرة والضباب ، (وهذا يستفاد من فاء التفريع التي تدل على السببية) وهذا من اخطر النتائج المترتبة على انكار المحكمة الالهية العظمى .

ومن الجدير بالالتفات هنا هو أنّ تزيين الاعمال أُسند إلى الله ، بينما أُسند ذلك إلى الشيطان وحب الهوى في آيات اخرى من القرآن المجيد (في ثمانية موارد) ، كما ورد بصيغة المبني للمجهول « زُيِّن » في آيات عديدة اخرى (في عشرة موارد) ، واذا ما تأملنا في ذلك لوجدنا أنها تشير إلى حقيقة واحدة هي :
 اذا أُسند التزيين إلى الله فذلك لأن الله هو مسبب الاسباب ، لأن كل ما للمخلوقات من افعال تنتهي اخيراً إلى الله ، أو بتعبير آخر إنّ الله جعل هذا الأثر مترتباً على انكار يوم القيامة او على تكرار اعمال السوء ، كي تظهر هذه الاعمال بمظهر حسن في نظر الانسان وتُسَلَّبَ منه قوّة التمييز بين الحسن والسيئ .
 اما اذا أُسند التزيين إلى حب الهوى او إلى الشيطان فذلك لأن هذين هما العلّة القريبة والمباشرة في تزيين الاعمال السيئة .

وامّا لو أُسند إلى الفاعل المجهول فذلك للدلالة على أنّ طبيعة انكار القيامة أو الاصرار على ارتكاب السيئات ، تقتضي اعتياد الانسان على تلك الاعمال أولاً ، ثم تصبح تلك الاعمال محبوبة لديه وتلبس ثوب الحسن في نظره .
 ومن البديهي إنّ تزيين الاعمال يجرّ وراءه الضياع الدائم والحيرة المستمرة في وادي الضلالة والضياع ؛ وذلك لأن الانسان لا يكف عن ممارسة عمل ما الا اذا ما وجده سيئاً ويلحق الاذى .

ويتضح مما قلناه اعلاه بأنّ من فسّر الآية بأنّ الله يُزيّن اعمال هؤلاء في نظرهم ، فيصيبهم الغرور فيبتلون بالضياع بأنّ تفسيره غير مناسب ، ومن المحتمل إنّ هؤلاء اتجهوا إلى هذا التفسير بسبب عدم تمكنهم من حل مغزى ما جاء في الآية من نسبة التزيين إلى الله ، ففسروها بهذا التفسير المخالف للظاهر .

وفي الآية الثانية عشرة والاخيرة من الآيات المعنية بالبحث توجه تعالّی

بالخطاب إلى النبي ﷺ فقال : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ ، ثم اضاف تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ .

وهنا أيضاً نواجه مسألة « تعليق الحكم على الوصف » اي اننا نرى إنّ مسألة وجود الحجاب المعنوي بين النبي ﷺ والمشرّكين وانسداد أستار القلوب وانسداد اذانهم تَرْتَبَ على وصفهم بعدم الايمان بالآخرة ، وهذا يدل بوضوح على أنّ عدم الايمان بالمحكمة الكبرى يؤدّي إلى ظهور هذه الحجب والابتعاد عن إدراك الواقع ، ودليل ذلك واضح وهو : إنّ عدم الاكتراث بالحساب وجزاء الاعمال يؤدّي بالانسان إلى ركوب مركب الغرور والانانية والعناد والتعصّب وعبادة الهوى ، ففي مثل هذه الحالة كيف يتمكّن من ان يرى الحقائق كما هي ويؤمن بها .

فهل يوجد حجاب أسوأ من حجاب الهوى ، وهل يوجد مركب أسوأ من مركب الانانية والغرور ؟

قال بعض المفسّرين : إنّ المراد من « الحجاب المستور » هو حجاب وجدار غير مرئي كان يحجب النبي ﷺ عن انظار المشرّكين ، حين تلاوته للقرآن كي لا يرونه ليكشف عنه اذاهم ، وقد روي في سبب نزول الآية ما يشابه ذلك أيضاً .

لكنّ ظاهر الآية ينافي هذا التفسير ؛ وذلك لأنّ ظاهرها يدل على أنّ هذا الحجاب يمنع من فهم وادراك الحقائق واللطائف القرآنية ، بناءً على هذا يجب القول بأنّ المراد من هذا « الحجاب المستور » هو تلك الحجب المعنوية ، التي تمنع عيون وآذان وقلوب المشرّكين عبّاد الهوى الانانيين المتعصبين من إدراك وفهم المعارف القرآنية السامية .

وهذا هو ما اشارت اليه الآيات المتعددة ، والذي بحثناه مفصلاً في الجزء

الاول من هذا الكتاب تحت عنوان « حُجُب المعرفة »^(١) .
 وجاء في الآية ٢٢ من سورة النحل ما يقارب هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى :
 ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ .
 فهنا اشير أيضاً إلى أنّ « عدم الايمان بالآخرة » هو من عوامل « إنكار الحق
 والمكابرة » .

ثمرة البحث :

اتضح من خلال ما جاء في الآيات الإثنتي عشرة المذكورة اعلاه (والآيات
 المشابهة) تارةً بأنّ الايمان بالآخرة (محكمة العدل الالهي في الدار الآخرة) ،
 يبعث على الصحو والانتباه والتقوى وتهذيب النفس والخوف من إتكاب الذنوب
 أو ممارسة الظلم والاستبداد ، وتارةً يكون عدم الايمان بها سبباً في ابتعاد الانسان
 عن الحقائق ، وسبباً في استكباره على الحق وانغماسه في بحر المفسد والذنوب .
 وبهذا يتضح بكل جلاء تأثير الايمان الراسخ بالمعاد على تربية البشر من
 وجهة نظر القرآن المجيد .

(١) وصف « الحجاب » بـ « مستور » يستخدم احياناً في معناه الظاهري ، اي « الحجاب اللامرئي » وحياناً
 قيل : إنّ اسم المفعول هنا جاء بمعنى اسم الفاعل فمستور هنا جاء بمعنى سائر .

توضيحات :

١ - الآثار الايجابية العميقة للإيمان بالقيامة :

إن « المراقبة والمحاسبة » هما عاملان مهمّان في التربية . ومن احد معاني المراقبة هو ان يعلم الانسان بأنّ هناك من يراقبه وهو يخضع لرقابته في جميع الاحوال ، بل يعلم بأنّ جميع اسراره الخفية أيضاً تخضع لرقابته .

فالالتفات إلى هذه الحقيقة يجعل من الانسان ان يكون في حالة انذار دائم ، كما أنّ الالتفات إلى « المحاسبة » وإلى أنّ جميع اعماله الصغير منها والكبير والحسن منها والسيئ ، سوف يخضع للحساب وسوف تجازى الاعمال بعدالة على قدرها ، يؤدي إلى ان لا يرى الانسان نفسه مطلق العنان في انجاز اعماله وإلى ان لا يهملها ويعدّها صغيرة ، وكلّما كانت قوّة الرقابة والحساب دقيقة كلّما دقق الانسان اكثر في انجاز اعماله .

ففي زماننا الحاضر تخضع بعض الطرق البريّة في بعض البلدان للمراقبة بواسطة الكاميرات الخفية ، وتراقب قوى شرطة المرور تلك الطرق وهم جالسون في مراكز المراقبة بكلّ دقّة ، وتنتمّ ملاحقة سائقي السيارات المخالفين لقوانين المرور بواسطة اعلام مراكز المراقبة (بواسطة المرسلات اللاسلكية) النقاط المستقرّة في بوابات تلك الطرق أو الدوريات المتجوّلة لايقاف تلك السيارات وتغريم سائقيها . فهذه المراقبة وتلك الغرامات تؤدي إلى استقرار نظام المرور حتّى في الطرق البريّة .

فاذا كانت المراقبة والمحاسبة من قبل الانسان غير المعصوم من الوقوع في الخطأ لها هذا الأثر ، فإنّ اثر الإيمان بمراقبة الله الدائمة ، الذي يعلم اسرار ما يمكن الانسان وما يعلن ، والايمان بمحكمة العدل التي تحاسب على ما مقداره « مثقال

ذرة » والتي لاتنفع معها الشفاعة ، فإنّ عمق تأثير هذا الايمان واضح من دون الحاجة إلى البرهان .

ومن الواضح أنّ هذا الامر يتبدّل من صورة افعال متفرّقة إلى عادة دائمة ومن عادة إلى ملكة ، وتحوّل الحقيقة التي يطلق عليها اسم « الوجدان الاخلاقي » و « التقوى الالهية » في قلب الانسان إلى إيمانٍ راسخ .

إنّ الغاية الاساسية في وجود المحاكم والعقوبات السائدة وكذلك المكافآت والمدح السائد هي ايجاد الاستقرار وهيمنة القانون وتربية الانسان ، والفرق بين المحاكم السائدة في هذه الدنيا وبين المحكمة الالهية هو أنّ هذه المحاكم يمكن استئناف الاحكام الصادرة عنها ، وغالباً ما تخضع احكامها تحت تأثير الشفاعة والرشوة ، بالاضافة إلى نقص القوانين المتبعة فيها والاستثناءات والاحكام الفرعية ، وامكان الاتيان بأدلة كاذبة تؤدي في اكثر الموارد إلى خلاص المجرمين من مخالف العدالة ، أو احياناً إلى تأخير صدور الحكم إلى سنين عديدة بسبب الاستفادة من الروتين ، لكنّ محكمة القيامة لاتحتوي على أيّ شيء من هذه النواقص ، بل كما سنشير لاحقاً فإنّ المكافآت والعقوبات هناك تشبه إلى حدّ كبير الآثار والخواص الطبيعية للاشياء ، فهل يمكن تبديل آثار الدواء النافع إلى آثار السم القاتل عن طريق الاتيان بأدلة كاذبة واستخدام الشفاعة والرشوة ؟ !

إنّ مما لاشك فيه هو أنّ الايمان بمثل هذه المحكمة له اثر في تربية وتطهير الانسان يفوق كثيراً آثار المحاكم الدنيوية .

ومن ناحية اخرى فإنّ الايمان بهذه المحكمة يوجج روح الايثار والتضحية في قلب الانسان ، وذلك لقاعدة ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ، فهذه الدنيا ممرٌ ودنيا فانية ، بينما سوف يبقى ما ذخّر لذلك العالم مستقراً وخالداً ، فأبي عاقل يتردد في شراء « المواهب الجمّة » ، بل المواهب التي لاتنضب بـ « المتاع القليل » ؟ من اجل هذا يمكن للايمان بالمعاد ان يصبح منبعاً لجميع انواع الانفاق

والا يثار والتضحية .

ومن ناحية ثالثة فإنّ هذا الايمان يعطي الانسان روح الشجاعة والشهامة والصبر والاستقامة ، فمن يخاف الموت يقول ﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ ، اما من يعتقد بأنّ ﴿ الدَارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ (العنكبوت / ٦٤) فإنه لا يخاف من الموت ابداً .

وكيف يبخل في بذل روحه وماله ، او ان يخاف كثرة صفوف الاعداء مَنْ يعتقد بأنّ الشهادة في سبيل الله هي بَوَابَةٌ للدخول في رحمة الحق تعالى ، والوصول إلى مقام القرب منه وَنَيْلُ هَبَاتِ الْجَنَّةِ التي لا يسعها الوصف ؟ !

وما شاهدناه في حروب صدر الاسلام والحروب المفروضة الاخيرة من صمود المقاتلين الشجعان الذي لم يسبق له مثيل ، ومن شجاعة خارقة وغلبتهم للاعداء بالرغم من كثرة عددهم وعدّتهم فإن السرّ في ذلك يكمن في انّ الايمان بالمعاد هو الذي صنع منهم اناساً آخرين .. اناساً لا يخافون الموت ابداً ، ويعتبرون الشهادة في سبيل الله مِنْ اَرْقَى المفاخر .

وقصارى الكلام اننا كلما امعنا النظر اكثر في هذه الرابطة (علاقة الايمان بالمعاد بتربية الانسان) ، فإننا سوف نكتشف اهميتها بصورة اوضح ، وكما كررنا القول كثيراً فإنّ تأكيد القرآن على هذه المسألة في آيات عديدة لاتحصى هو في الأساس من أجل هذا الأمر .

ومن المحتمل ان يقال : إنّ ما قلتموه هو بيان للعلاقة الموجودة بين « العمل » و « الايمان » ، لا العلاقة الموجودة بين « الاخلاق » .

و « الايمان » ، لكننا قد اشرنا آنفاً أيضاً إلى انّ « العمل » ، إثر التكرار يتحوّل بالتدرج إلى « حالة » ثم تتحوّل الحالة إلى « عادة » ، واخيراً تتحوّل العادة إلى « ملكة اخلاقية » . !

٢ - الآثار التربوية للمعاد من وجهة نظر الروايات :

إنّ هذا الموضوع لم يذكر في آيات القرآن فحسب ، بل له صدق واسع في الروايات أيضاً ، وقد وضّحت الروايات العلاقة الوثيقة والجذرية والدائمة الموجودة بين هذين الموضوعين ، ونذكر فيما يلي نموذجاً من هذه الروايات :

١ - قال علي عليه السلام في نهج البلاغة : « والله لأنّ أبيت على حسك السّفدان مسهداً ، أو أجرّ في الأغلال مُصفداً ، أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام » (١) .

وذكر عليه السلام بعد هذه الجمّل قصة أخيه « عقيل » المعروفة ، إذ لجأ اليه أخوه من شدّة ما أصابه من الفقر والتشتت فطلب منه ان يعطيه أكثر مما يستحقّه من بيت المال خلافاً لما تقتضيه العدالة الاسلامية .

لكنّ الامام عليه السلام وضع قطعة من الحديد في النار وبعد ان أحمرّ لونها قرّبها من يد أخيه فضجّ أخوه بالعويل ، فقال له الامام عليه السلام : كيف تصرخ من ألم هذه النار التي هي العوبة يُلهى بها ؟ وتجرنني إلى نار أججها الجبار لغضبه وانتقامه (٢) !

يلاحظ من خلال هذه الكلمات قوّة الايمان بالمعاد وتأثيرها في الحثّ على اقامة العدالة والوقوف امام جميع الانحرافات ، وهي نموذج حيّ عن تجلّي الايمان بالقيامة ومحكمة العدل الالهي في اعمال الانسان .

٢ - ورؤي عن امير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « من أيقن بالخلف جاد بالعطية » (٣) .

وهذه الرواية تدل بوضوح على أنّ الايمان بالمعاد يجعل الانسان متصفاً

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٢٤ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٢٤ (باختصار) .

(٣) بحار الانوار الجزء ٧٤ (روضة البحار) الصفحة ٣٨٥ ، نهج البلاغة الكلمات القصار ، الكلمة

بالجود والسخاء .

٣ - وجاء في غرر الحكم نقلاً عن الامام علي عليه السلام في عبارة صريحة انه قال :
« اجعل هَمَّكَ لمعادك تصلح » ^(١).

٤ - وجاء في ثورة كربلاء وعاشوراء أنَّ الحسين عليه السلام جمع اصحابه يوم عاشوراء وقام خطيباً فيهم فقال : « صبراً بني الكرام فما الموت الا قنطرة تعبُرُ بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة ، فأَيُّكم يكره ان ينتقل من سجن إلى قصر ؟ » .

والذي دعا الامام لا لقاء خطابه هذا هو انه كان كلما اشتد حصار الاعداء عليه وعلى اصحابه وكلما حمى الوطيس كان وجهه اكثر اشراقاً ونفسه اكثر اطمئناناً ، هنا حدث بعض اصحابه بعضاً قائلين : « انظروا لا يبالي بالموت » ا

فسمع الامام هذا منهم فالتقى عليهم الخطاب المذكور ، ثم اضاف اليه قوله :
روى أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : « ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والموت جسر هولاء إلى جناتهم وجسر هولاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت » ^(٢).

فالسّر في حماسة ثورة عاشوراء وشجاعة الامام الحسين عليه السلام واصحابه ، التي لم يكن لها مثل والتي سُجّلت في التاريخ بأحرفٍ من ذهب لا معه ، يجب ان نبحت عنه في هذا الميدان أيّ الايمان الراسخ لهولاء بالمعاد والحياة الآخرة الخالدة .

٥ - ان تأثير الايمان بالمعاد في اصلاح الاعمال بلغ من الوضوح حداً جعل امير المؤمنين علي عليه السلام يتعجب ممن يؤمن بالآخرة ولا يسعى في اصلاح اعماله ، قال عليه السلام : « عجبْتُ لِمَنْ يَعْلَمُ انّ للاعمال جزاءً كيف لا يُحسنُ عَمَلَهُ » ^(٣).

(١) غرر الحكم ، ميزان الحكمة الجزء ١ الصفحة ٣٧ (الحديث رقم ١٣٣) .

(٢) « بحار الانوار » الجزء ٤٤ الصفحة ٢٩٧ (باب فضل الشهداء معه وعلة عدم مبالاتهم بالقتل) . ونقل المرحوم الصدوق هذا الحديث في كتاب « معاني الاخبار » عن علي بن الحسين عليه السلام في باب « معنى الموت » الصفحة ٢٨٨ .

(٣) غرر الحكم الجزء ٢ الصفحة ٤٩٥ .

٦ - ونختتم كلامنا هذا بحديث عميق المغزى عن مؤسس الاسلام النبي ﷺ :
عند حديثه ﷺ عن علامات اهل اليقين قال ﷺ : ومن علائمه انه : ايقن بأن
الجنة حق فاشتاق اليها ، وايقن بأن النار حق فظهر سعيه للنجاة منها ، وايقن بأن
الحساب حق فحاسب نفسه ^(١) .

ان الروايات المروية في هذا المجال كثيرة جداً وما ذكرناه هنا ما هو الا نكت
منها ، وتتفق جميعها على ان الايمان بالدار الآخرة له اثر عميق في تربية الانسان .

* * *

٣ - الايمان بالمعاد وعلاقته باطمئنان النفس :

ان الاعتقاد بالحياة بعد الموت لا يؤثر في تهذيب النفس واخلاص القلوب
وسمو الاخلاق وطهارة الاعمال فحسب ، بل له اثر كبير في اصلاح حال الإنسان في
هذه الدنيا أيضاً .

فنحن نعلم بأن اهم ما يعاني منه الانسان ويبدل حلاوة الحياة إلى مرارة قاتلة
ويحطم اعاصبه ، هو انواع القلق الذي يحيط بالانسان في حياته .

القلق الناشيء من ماضي الانسان واضاعة الفرص والآلام التي حلت في
ساحته ، والقلق بشأن المستقبل ونهاية الحياة وفقدان الاصدقاء والاقارب والاولاد
والمال والثروات والقوى الجسميّة والروحيّة .. والقلق الناشيء من الاحداث التي لم
تكن بالحسبان والتي تعصف بالانسان فتحطم استقراره .

لذا قال العلماء اصحاب الخبرة : ان البشر في زماننا الحاضر وبالرغم من تطور
الطب والجراحة وفي نفس الوقت الذي قضى فيه على كثير من الامراض ، حتى ان
قسماً منها قد تلاشت واقتلعت من جذورها ، الا أنه يعاني من الامراض النفسية اكثر

مما كان عليه في السابق ، لذا فإننا نرى أنَّ الاحصاءات تدل على أنَّ هذه الامراض في تزايد مستمر يوماً بعد يوم .

حتَّى قال احد أساتذة علم الاجتماع في جامعة پرينستون الاستاذ « دونالد لايت » : « يعيش في اميركا لوحدها حالياً ما يقارب خمسة وعشرين مليون فرداً ! أقدموا على الانتحار خلال حياتهم مرّة واحدة على الاقل ، ولم يكن لجميع المساعي التي بذلت في هذا المجال من قبل لجان مكافحة الانتحار اثر يعتد به ، وهؤلاء يقدمون على هذه الاعمال بسبب اليأس وشعورهم بتفاهة الحياة ، ويسبب الوحدة وعدم ثقتهم بالدنيا والاضطراب والتشويش الناشيء من تدهور المجتمع ، وهذا الامر لا يمكن معالجته بالسبل المذكورة اعلاه ، ^(١) .

بالرغم من انَّ عصرنا الحاضر في احد ابعاده هو عصر راحة الانسان فقد انخفض مقدار ساعات العمل عمّا كانت عليه سابقاً ، وازيحت الاعباء التي كانت تثقل كاهل الانسان والقي ثقلها على كاهل عجلات المصانع العظيمة ، وفي المنازل أيضاً تحملت الآلات الكهربائية اعباء القيام بالأعمال الصعبة فاصبحت المنازل اكثر تطوراً وعدّة ، والوسائط النقلية اكثر فائدة ، فالسفر الذي كان في الماضي يعتبر قطعة من الجحيم اصبح اليوم من اسباب الراحة واللهو ، واخيراً أدخَلت وسائل اللهو الحديثة والجيدة على حياته لوناً جديداً .

فعلى غرار هذا التطور فإنّه يُتوقّع ان يعيش الانسان في عصرنا الحاضر وهو يتمتع بهدوء تام ، وصحّة تامة من الناحية البدنية والروحية معاً ، لكننا نرى بوضوح أنَّ الاضطراب والقلق ينتابانه اكثر مما كان عليه سابقاً .

والاسباب الرئيسية في هذا الامر هي الشعور بتفاهة الحياة وعدم كونها هادفة ، والشعور بعدم وجود ملجأ عند حلول المعضلات المدمرة ورسم صورة

(١) « غربت غرب » الصفحة ١٨ (باختصار) .

مرعبة للموت والتشاؤم القاتل ، والخوف من المستقبل المجهول للعالم والحياة الشخصية ، ومما لا شك فيه هو أن الايمان بالآخرة ، والحياة الخالدة فيها التي تكتنفها العدالة والطمأنينة بإمكانه ان يُنهي كل هذا القلق .

قال البروفسور المعروف « يونغ » : انّ ثلثي المرضى الذين قدموا اليّ من جميع انحاء العالم للعلاج هم افراد مثقفون وموفقون في حياتهم لكنهم يعانون من مرضٍ خطير وهو الشعور بتفاهة الحياة ، والسبب في ذلك هو انّ إنسان القرن العشرين بسبب التقدّم التقني وقصور الرؤية والتعصّب ، فقد الدين فعاد يبحث عن هويته ومالم يعثر على دين فإنه سوف لن يهدأ ، « وذلك لأنّ فقدان الدين يؤدي إلى تفاهة الحياة وفقدانها لمفهومها » ^(١) !

وهنا نلجأ إلى القرآن ونطلب منه العون : ففي سورة يونس نلاحظ اشارة لطيفة في هذا المجال في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ... * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ .

أجل انّ هؤلاء تعلّقت قلوبهم بالله والتحقوا بركب الاولياء في هذا الوجود ، واعتبروا الدنيا قنطرة للوصول إلى حياة الآخرة الخالدة ، لذا فهم لا يشعرون بالوحدة ولا بتفاهة الحياة .

إلى هنا ننهي الحديث عن الآثار المختلفة المادّيه والمعنوية للايمان بالقيامة ، على حياة الافراد والمجتمعات بالرغم من وجود بحوث كثيرة لم نتحدّث عنها هنا .

(١) معاد ان نظر روح وجسم الجزء ١ الصفحة ٤٤ .

مدخل عالم البقاء

١- الموت

٢- البرزخ

الموت هو مدخل عالم البقاء

تمهيد :

بالرغم من ان اسم الموت مرعب جداً ومهيب في نظر الكثير ، الا أنه لا يتّصف بذلك في نظرية المعرفة الاسلامية ، وذلك لأن الموت محطة عبور نحو العالم الآخر ، بل ويعدّ الموت في الحقيقة ولادة جديدة .

ويحتمل ان يكون بكاء المولود الشديد عند الولادة هو من اجل أنه يحتمل الفناء ، لكنه يخرج إلى عالمٍ اوسع بكثير من بطن الام .

وفي نفس الوقت لا يكون العبور من هذه البوابة محبوباً لدى الجميع ، بل لا يستحسنه الا الذين يصطحبون الزاد والعدّة الكافية لهذا السفر الصعب ، لذا فليس من العجيب ان يعمّ الخوف والهلع من الموت المسيئين والمجرمين - حتّى لو كانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت ..

فهذه النظرة للموت تمنح الانسان القدرة على الجهاد والايثار والتضحية ، ولا يصبح ذليلاً وحقيراً بسبب الخوف من الموت من جهة ، ومن جهة اخرى يكون تحذيراً للبشر من الابتلاء بارتكاب الذنوب ، ومن العوامل المؤثرة في تربيتهم .

إن القرآن المجيد اكّد على هذه المسألة كثيراً وشرح هذا الحدث المهم الذي يتعلّق به جميع البشر من دون استثناء من خلال تعابير مختلفة وقال كلّ ما يمكن ان

يقال حوله .

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن لنستمع إلى الآيات الواردة في هذا المجال خاشعين (يجب الالتفات إلى أن كل آية من هذه الآيات تسلط الاضواء على أحد ابعاد هذا الموضوع) :

١ - ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(آل عمران / ١٨٥)

٢ - ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

(الزمر / ٤٢)

٣ - ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

(السجدة / ١١)

٤ - ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل / ٢٨)

٥ - ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل / ٣٢)

٦ - ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ فَهُ مِنَ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

(الجمعة / ٦ و ٧)

٧ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاتَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

(الملوك / ١ و ٢)

٨ - ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

(ق / ١٩)

٩ - ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ لِمَنْ رَاقٍ * وَظَنُّ أَنْهُ الْفَرَاقُ وَالتَّفَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾

(القيامة / ٢٦ و ٣٠)

١٠ - ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾

(المؤمنون / ٩٩ و ١٠٠)

جمع الآيات وتفسيرها :

١ - الموت قانون شمولي :

تحدثت الآية الاولى عن شمولية قانون الموت ، الذي هو نهاية جميع البشر
وجميع الموجودات الحيّة ، بل هو امرٌ حتّى بالنسبة للموجودات غير الحيّة ، قال
تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

ورد هذا التعبير في ثلاث آيات في القرآن المجيد ^(١) . والسبب في تكرار هذا
الامر هو التأكيد على حتمية الموت ، هذا بالاضافة إلى تحذير جميع البشري لا
يغفلوا عن حتمية هذه العاقبة .

ولمّا كان الموت هو نافذة نحو عالم البقاء ، فقد اضاف تعالى على الفور :

(١) (آل عمران / ١٨٥) ، (الانبياء / ٣٥) ، (العنكبوت / ٥٧) .

﴿ وَأَنَّمَا تُؤَفُّونَ أَجُوزَكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، وذلك للدلالة على أن الدنيا دار عمل لا حساب وجزاء وإن الآخرة دار حساب وجزاء لا عمل .

وعلى الرغم من وجود اثابة محدودة في عالم الدنيا وعالم البرزخ ، لكن من البديهي هو ان لا يتم الحصول على الاجر والثواب الكامل الا في الدار الآخرة .
وهناك احتمال آخر أيضاً وهو أن التعبير المذكور اعلاه يدل على أن المنقذ الوحيد للانسان يوم القيامة هو اعماله الصالحة فقط ، لأن المال والجاه والمنصب والاولاد والعشيرة لا تعالج حتى معضله واحدة من معضلات الانسان ، وهذا التعبير يشبه ما جاء في سورة الشعراء الآية ٨٩ : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

لكن التفسير الاول اقرب للصحة ، وقد انتخبه الكثير من المفسرين .
إن الانسان يمكنه اساساً ان يشك في كل شيء ، الا أنه لا يمكنه ان يشك في تحقق الموت ، أن جميع اهل السماء والارض سوف يموتون وسوف يتلع الموت جميع الموجدات الحية ، فالجميع من دون اي استثناء لهم اجل ونهاية معينة لا تتأخر عن موعدها لحظة واحدة ، اما بالنسبة لدعاء الناس لبعضهم او لحكامهم بالخلود فما هو الا مجاملة خالية من اي محتوى ، فأي خلود هذا ؟ وأي بقاء ؟ إن الانبياء جميعاً مروا بهذه المرحلة ، والجميع من دون استثناء عبروا هذا الممر .
ويستفاد من هذه الآية بالاضافة إلى ذلك اولاً بأن روح الانسان لاتموت بموته ، وذلك لأن الآية تقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، ومعنى الذوق هو أن الروح باقية فتدرك الموت وتتذوقه ، ويستفاد منها ثانياً بأن الروح هي غير الجسد ، وذلك لأنها تبقى بعد موت الجسم .

جاء في إحدى الروايات : عندما نزلت الآية الشريفة ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن / ٢٦) قالت الملائكة : « مات اهل الارض » وعندما نزلت الآية الشريفة

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ قالت الملائكة : « متنا نحن أيضاً » ^(١) .

بالرغم من ان كلمة « النفس » اطلقت احياناً على الله كما جاء في حديث عيسى عليه السلام عندما كان بين يدي الله حيث قال : ﴿ وَلَا أُعَلِّمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (المائدة / ١١٦) ، لكن التعبير بـ « كل نفس » في الآية المذكورة يراد منه المخلوقات لا الخالق .

٢ - حقيقة الموت :

يعتبر كثير من الناس الموت فناً وعدماً ونهاية كل شيء ، لذا فهم يخافون الموت ويهابونه بشدة ، بينما يفسر القرآن المجيد حقيقة الموت بـ « التوفي » (اي قبض واستلام روح الانسان من قبل الخالق) او بتعبير آخر هو انتقال من عالم حقيق إلى عالم كبير وسام) ، قال تعالى في الآية الثانية : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ^(٢) . ثم من اجل ان يذكر نموذجاً للموت في هذه الدنيا اضاف تعالى : ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ ، ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ اي التي لن تصحوا من نومها بعد ذلك ابدأ ﴿ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى ﴾ اي التي يجب ان تستمر في حياتها ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

إن هدف القرآن هو بيان هذه الحقيقة وهي : كما ان روح الانسان لا تفنى في عالم النوم ، بل يضعف ارتباطها بالبدن بصورة مؤقتة ، ومن اجل هذا يمكنها التجول في عوالم مختلفة ، فإنها لا تفنى أيضاً بالموت ، بل تتحرر وتتجول في عوالم كبيرة اخرى .

(١) التفسير الكبير الجزء ٩ الصفحة ١٢٥ .

(٢) الضمير في « موتها » وان كان يعود للانس في الظاهر لكنه في الواقع يدل على موت الابدان ، وذلك لأن البدن هو الذي يموت لا الروح ، وكذلك الحال في ضمير « منامها » .

و « يتوفى » من مادة « وفى » وهي في الاصل بمعنى الكمال ، لذا اطلقوا على الدرهم الكامل « درهماً وافياً » (اي الكامل من حيث الوزن ومقدار الفضة) على هذا يكون التوفي بمعنى القبض التام ، وبما ان القبض هو الله فإن هذه الجملة تدل على ان الانسان سوف يضع قدمه في عالم اعلى وارقى .

إن هذه النظرة إلى الموت تغير كثيراً من المعادلات والمفاهيم ، و من اجل هذا عرفوه ببوابة العبور إلى عالم البقاء .

ومن الجدير بالذكر هو ان الآية المذكورة تحذر الناس لانها تعتبر « النوم » مساوياً « للموت » وكأنها تقول كيف تغفلون عن الموت وهو يأتيكم في كل يوم وليلة وانتم تلمسونه بأيديكم ؟ ! انكم في حالة النوم تنفصلون عن هذا العالم وتفارقون حياتكم ومنصبكم ووجودكم بصورة مؤقتة ، فالموت أيضاً هو عبارة عن نوم خالد كما ان النوم هو عبارة عن موت مؤقت ، ومن المحتمل ان تكون الجملة الاخيرة في هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ناظرة إلى جميع هذه الحثيات .

٣ - ملائكة الموت :

بالرغم من ان الآية السابقة اسندت قبض الارواح إلى الله ، لكنه يستفاد من آيات اخرى من القرآن اسناد هذا العمل إلى الملائكة ، ففي الآية الثالثة من آيات البحث وجّه الخطاب إلى النبي ﷺ وأمر بأن يجيب على انكار المشركين للمعاد بقوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ .

ومن الجدير بالذكر هو ان الآية هنا تحدت عن ملك الموت ، الملك الذي اوكلت اليه هذه المهمة ، بينما لاحظنا في الآية السابقة اسناد القبض إلى الله ، وفي الآية (٤٢) من سورة الزمر اسند القبض إلى مجموعة من الملائكة ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ . كما اسند القبض في الآية (٦١) من سورة الانعام إلى الرسل ﴿ تَوَفَّنَهُ رُسُلُنَا ﴾ .

أنا اذا ما تمعنا بشيء من الدقة في الآيات المذكورة لا تضح لنا عدم وجود أي تضاد في هذه المسألة ، وذلك لأن المتوفى الرئيسي هو الله تعالى ثم ، تناط مهمة قبض الارواح بـ « ملك الموت الكبير » (عزرائيل عليه السلام) الذي اوكلت اليه هذه المهمة ، وهو بدوره ينجز هذا العمل أيضاً بواسطة « مجموعة من الملائكة » والرسل الذين هم نفس أولئك الملائكة .

إن الاحداث المهمة في هذا لعالم تنجز أساساً بواسطة الملائكة الذين لا هدف لهم إلا الطاعة لله والعمل بأوامره ، والموت الذي هو احد هذه الاحداث المهمة في هذا العالم لا يستثنى من هذا القانون .

وجملة ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ تدل على أن الموت مقدمة العودة نحو الحق في مرحلة السير الصعودي ، كما أن الولادة هي نافذة نحو عالم الفناء والسير النزولي لروح الانسان ، والتعبير بـ « ثم » من المحتمل ان يكون اشارة لوجود البرزخ .

٤ و ٥ - حال المؤمنين والظالمين عند سكرات الموت :

إن حال المؤمنين والمحسنين لا يشبه حال الظالمين والمذنبين عند حلول الموت في ساحتهم ، او بتعبير آخر أن نتائج اعمالهم وعقائدهم تظهر بالتدرج في تلك اللحظة ، و « الآية الرابعة والخامسة » لهما دلالة عميقة على هذه الحقيقة .

قال تعالى أولاً : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ ، وتدل هذه الكلمات على أنهم لم يخضعوا بالكامل ، فهم لا يعلمون بأن هذا الانكار لا معنى له امام الله الذي يعلم الغيب و امام الشهود من الملائكة ، لذا اضاف في ذيل الآية : ﴿ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . ثم وجه الامر اليهم فقال : ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ .

ومما تقدم يظهر أن اعلان التسليم بالنسبة لهؤلاء هنا هو بمعنى اظهار التوحيد

والتسليم للحق (كما يرى عدد من المفسرين) ولكن بما انَّ جوَّ الدنيا لم يفارقهم بعد ولم يتعرّفوا على القوانين المهيمنة على مراحل ما بعد الموت فإنَّهم ينكرون ما عملوا من سوء سابقاً ويتوسّلون بالكذب ، لكنَّهم سرعان ما يتضح لهم بأنَّ الكذب لا ينفع هناك !

وهناك احتمالان في هل انَّ المراد من « جهنم » هنا هو جهنم عالم البرزخ ام جهنم يوم القيامة ؟ والذي يتلاءم مع سكرات الموت هو الدخول في جهنم البرزخ ، لكنَّ التعبير بالخلود يصلح لأن يكون قرينة على انَّ المراد هو جهنم القيامة ، إلا اذا قيل : إنَّ المراد هنا هو دخول ابواب جهنم في عالم البرزخ لا دخول نفس جهنم ، والخلود هنا هو صفة للكافرين عند دخولهم البرزخ لا عند دخولهم ابواب البرزخ . وتعبير ﴿ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يحتمل ان يكون صادراً عن ملائكة الموت التحذير الكافرين فكأنهم يقولون : لا تسعوا عبثاً في الانكار فإنه غير نافع لأنَّ علم الله الواسع سوف يرفع الستار عن اعمالكم .

وعلى اية حال فإنَّ هذه الآية تشبه ما جاء في سورة محمد ﷺ الآية ٢٧ في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ﴾ . بلئى سوف تستقبلهم الملائكة بالضرب على وجوههم وادبارهم ، ومن المحتمل ان يكون اقرارهم بالتوحيد والحق هو من اجل مشاهدة هذه المشاهد لا من اجل الاخلاص .

وفي قبال هذا المشهد هناك ملائكة الرحمة التي تأتي لقبض ارواح المؤمنين ، قال تعالى في الآية الثانية : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وفي الواقع لا يمكن ان تكون مكافأة الطهارة والتقوى الأ بمثل هذا وهو ان تستقبلهم ملائكة الله بالسلام والترحاب ، وتدعوهم لدخول الجنة .. تلك الدعوة التي يغمرها اللطف والمحبة والاحترام !

وهنا أيضاً يحتمل ان يراد من الجنّة جنّة البرزخ كما يحتمل ان يكون المراد جنّة القيامة وجنّة البرزخ تعتبر من ابوابها .
على أيّ حال فإنّ هذا من احد ابعاد الموت الذي هو بالنسبة للصالحين يختلف تماماً عما هو عليه بالنسبة للمذنبين .

٦ - علة الخوف من الموت :

إنّ صورة الموت مرعبة لدى الناس عادةً ، والسبب في ذلك يكمن في أمرين ، فهو إمّا ان يكون باعتبار الموت نهاية كلّ شيء اي يساوق معنى الفناء ، وإمّا ان يكون بسبب التلوّث بارتكاب الذنوب وحب الدنيا الشديد ، فلماذا يخاف الموت من يعتبره ولادة جديدة وبداية انتقال إلى عالم اوسع وحياة ارقى ، ومن يحمل في جعبته كمّيّة هائلة من الاعمال الصالحة اعداداً لسفره والذي ليس للدنيا في قلبه موضع يعتنى به ؟ وقد اشار تعالى في الآية السادسة اشارة لطيفة لهذا الامر ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ثم يضيف ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

ومما يجدر بالالتفات هنا هو أنّ المخاطب في هذه الآية هم اليهود ، والسبب في ذلك ظاهراً امران :

الأول : هو أنّ اليهود يعتبرون انفسهم شعب الله المختار دائماً - حتّى في يومنا هذا - ، ويتصورون بأنهم يمتازون عن الآخرين بصفات خيالية ، فهم يعتبرون انفسهم ابناء الله تارةً ! واحياناً إنهم أولياؤه وأحبّاءه ^(١) ، واخرى ، يقولون : لى تمسنا النار ابدأ

(١) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (المائدة / ١٨) .

مهما ارتكبنا من الذنوب إلا أياماً معدودة (١)

فيجيئهم القرآن : ان كنتم صادقين في عقيدتكم هذه فليَم تخافون الموت بهذه الشدة اذا ؟ فهل يخاف الخليل من لقاء خليله ؟ وهل يكون الانتقال من السجن إلى جنة عامرة خضراء امراً مخيفاً ؟!

وجاء ما يشبه هذا المعنى في الآية ٩٤ من سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١

والثاني : هو انهم كانوا يعبدون الدنيا وتعلقت قلوبهم بعالم المادّة ، هذا بالاضافة إلى ارتكابهم الذنوب الكثيرة وتلطّخ ايديهم بدماء الابرياء ، لذا فهم يخافون الموت بشدة .

لذا قال تعالى في الآية ٩٦ من سورة البقرة : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ .

وقال في الآية ٩٥ من نفس تلك السورة : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

وعلى هذا الاساس فقد بيّن القرآن المجيد علل الخوف من الموت بوضوح كما انه هدى إلى طرق الخلاص من هذا الخوف والهلع الذي يعم الجميع . ويرى بعض المفسّرين أنّ الآية المذكورة اعلاه والتي نزلت في شأن اليهود هي نوع مباهلة والتي هي إحدى طرق مقارعة الكذابين ، وهي تستخدم في اثبات صدق الدّعوة ، وهي ان يطلب المدّعي من الله ان يُخزِيَهُ ان كان كاذباً (فإذا كانت شروط المباهلة متوفرة فإنها تكون مؤثرة) .

والدليل على هذا التفسير هو ما جاء في الروايات من ان الكذابين اي اليهود لو

(١) ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ (البقرة / ٨٠) ٢

كانوا تمنّوا الموت امام النبي ﷺ لَغُصَّوا بِرِيقِهِمْ وَمَاتُوا !
جاء في الحديث الشريف : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا غُصَّ بِرِيقِهِ » (١) .

٧ - الغاية من الموت والحياة :

إنّ حياة الانسان محدودة على أيّ حال ، والموت يرافق كل حياة ، وأوّل سؤال يُطرح هنا هو ماهي الغاية من الحياة والموت ؟
وقد تحدّث القرآن المجيد في الآية « السابعة » من آيات البحث عن هذا الامر فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاتِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ .
فالقرآن هنا يبيّن أولاً بأنّ خلق الموت والحياة هما من دلائل قدرته الواسعة ، ثم يضيف إلى ذلك : إنّ الهدف من هذا الخلق هو امتحان لأحسن الاعمال .. امتحان يهدف إلى تربية البشر وهدايتهم إلى منزلة القرب الالهي .
ويستفاد من هذه الآية عدّة امور :

اولاً : إنّ الموت والحياة كلاهما مخلوقان ، فإذا كان الموت بمعنى الفناء والعدم المطلق فإنّ كونه مخلوقاً سوف لا يكون ذا معنى ، والسبب في ذلك هو أنّ الموت عبارة عن الانتقال من عالم إلى عالم آخر ، لذا فهو امرٌ وجوديٌ وبالامكان خلقه .

ثانياً : أنّ ذِكْرَ الموت قبل الحياة أمّا ان يكون للدلالة على موت الدنيا وحياة عالم الآخرة ، وأمّا ان يكون للدلالة على المرحلة التي كان فيها الانسان تراباً ، فتعتبر

(١) روح المعاني الجزء ٢٨ الصفحة ٨٥ وتفسير المراغي الجزء ٢٨ الصفحة ١٠٠ .

على خلاف ما يراه المغفلون من أنّ أفعال الله غير هادفة .

سابعاً : ومن أجل احتمال أن يشعر الإنسان بالوحدة والعجز في ساحة الاختبار العظيمة ، أو أن يهيم عليه اليأس بسبب العثرات وصف الله نفسه في ذيل الآية بالعزیز الغفور وذلك للقضاء على هذه المخاوف فالآية تقول للإنسان : أنك لست وحيداً ، فلا تخف من رهبة الاختبار ، وليكن قلبك مع الله ، فإن عثرت فالجأ إلى عفو الله وغفرانه .

٨ و ٩ - مقدمات الموت وسكراته :

يستفاد من مضامين آيات القرآن أنّ الموت تصاحبه شدائد ومخاوف محيرة ، لذا قال تعالى في الآية الثامنة من آيات البحث : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ فيقال للإنسان في هذه الاثناء : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

وكلمة « سَكْرَة » مأخوذة من مادة « سُكِر » وهي - على حد قول اللغويين - حالة تحوّل بين الإنسان وعقله ، وغالباً ما تستخدم في موارد شرب الخمر ، وقد استخدمت تارة في الحالات الناجمة عن شدة الغضب أو الحالات الناجمة عن شدة الحب الملتهب .

ولكن جاء في « مقاييس اللغة » بأن الأصل في هذه المادة هو بمعنى « الحيرة » . كما فسرها آخرون بـ « الشدة » ، والظاهر هو أنّ جميع هذه المعاني تعود إلى معنى واحد وإن كانت التعبيرات مختلفة .

أنّ ظهور حالة تشبه حالة السكر عند الإحتضار إمّا أن تكون بسبب طبيعة الانتقال من عالم إلى عالم آخر مجهول من جهات مختلفة ، كما هو الحال في حالة الإضطراب عند المولود عندما ينتقل من عالم الجنين إلى عالم الدنيا ، وإمّا أن يكون بسبب اجواء ما بعد الموت ومواجهة نتائج الاعمال والخوف من العاقبة ، وإمّا أن

يكون بسبب فراق الدنيا والاقارب والامور التي تعلق قلبه بها .
ويستفاد من الروايات أن الانبياء والالهيين الذين لم تعلق قلوبهم بحب الدنيا ولم يخافوا العاقبة ، والذين يمتازون بطمأنينة متميزة بسبب ذلك ، إن هؤلاء أيضاً لهم نصيب من هذه المعضلات والشدائد التي تنزل في هذه اللحظة ، كما جاء في ذكر حالات النبي ﷺ بأنه عند آخر لحظات عمره المبارك ، كان يضع يده في إناء فيه ماء ويمسح بيده على وجهه ويقول « لا اله الا الله » ، ثم يقول : « إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ » (١) .

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ لِلْمَوْتِ غَمَرَاتٍ هِيَ أَفْطَحُ أَنْ تَسْتَغْرِقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عَقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا » (٢) .

ولو وضعنا كل هذا في جهة ، فمن جهة اخرى يستفاد من الآيات امر آخر أيضاً وهو أن انفصال الروح عن الجسد يتم بصورة تدريجية ، وهذا « بنفسه يزيد من الهلع » ، فإن كان الانفصال فورياً ويتم خلال لحظة واحدة لكان تحمله اسهل .
وقد جاء في الآية التاسعة من آيات البحث قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ لَهَا مَنِ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ .

وجاء نفس هذا المعنى في سورة الواقعة في الآية ٨٣ بتعبير آخر ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ .. وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ .

و « تراقي » جمع « ترقوة » وهي العظام التي تحيط بأطراف الرقبة ، ووصول الروح إلى الحلقوم هو كناية عن اللحظات الاخيرة من العمر ، ويحتمل توقف الاعضاء البعيدة عن القلب والمخ عند انفصال الروح قبل الاعضاء الاخرى .
وجملة « التفت الساق بالساق » من المحتمل ان تكون للدلالة على ما ذكر

(١) تفسير روح البيان الجزء ٩ الصفحة ١١٨ .

(٢) « غرر الحكم » .

(ففي تفسير مجمع البيان جعل توقف السيقان عن العمل من احد تفاسير هذه الجملة) .

هذا بالاضافة إلى ان وصول الروح الحلقوم هو تعبير آخر عن هذا المعنى . ومن البديهي أن جهاز التنفس يقف عن العمل عندما تصل الروح الحلقوم ، وعندما يقف جهاز التنفس عن العمل يسبب فقدان الاوكسجين والاختناق ووقوف المخ عن العمل .

ففي هذه اللحظات يضطرب الحاضرون عند المحتضر ويصيبهم الجزع الفزع ، ويبذلون قصارى جهدهم لاعادة الروح ، الا أن مساعيهم تذهب هباءً ، وبعد لحظات ينقطع المحتضر عن هذه الدنيا إلى الابد ، فيستقر جسده جانباً وكأنه لم يكن واحداً من اهل هذه الدنيا .

والعجيب هو ان العبور من هذه المراحل التي تطول مدتها تارة وتمر بسرعة تارة اخرى ، هو امر حتمي يعم الجميع ، فالملوك والجبابرة الظلمة سوف يموتون ، كما سوف يموت المستضعفون والمظلومون كذلك ، بل تكون لحظات الموت لدى اولئك اشد المأ ، وذلك لأن فراق الاموال والمناصب التي بذلو اعمارهم للحصول عليها يكون غرض النظر عنها بالنسبة لهؤلاء الذين تعلق قلوبهم بالدنيا المديّة امر عسير .

١٠ - تمنى العودة والاصلاح .

بعد اجتياز لحظات الموت ، وبعد فراق الدنيا عند ما تفتح العيون في البرزخ ويشاهد الانسان بعض الاسرار التي كانت محتجبة خلف ستار الغيب ، ويرى نتائج اعماله بأم عينه ويرى خلوة يديه من الحسنات وتراكم الذنوب الثقيلة يُثْقِلُ كاهله ، فإنه يندم بشده على ما فعل في الماضي ويفكر في اصلاح ما اقترفه ، هنا يلتفت الى

الملائكة الذين قبضوا روحه ويتوسل الى الله - كما جاء في الآية العاشرة من آيات البحث - ويضج بالعويل ويطلب من الله العودة الى دار الدنيا ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ .

لكن السنن الالهية لا تسمح لأحدٍ بهذا ، فلا الصالحون يتمكنون من العودة لاضافة الصالحات الى اعمالهم ، ولا المسيئون يمكنهم العودة للتوبة والاصلاح ، لذا يجاب على هذا الطلب بحزم ويقال له : ﴿ كَلَّا .. إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ .

إنَّ جميع المجرمين عندما يقعون بقبضة المُفْتَضِّ يتوسلون بمثل هذه الاساليب ، ولكن غالباً ما يعودون الى تكرار اعمالهم فور ارتفاع امواج البلاء عنهم . ومما يجلب الانتباه هنا هو أنَّ المخاطب في كلمة « ربِّ » ، هو الذات المقدسة الالهية ، لكن المخاطب في « ارجعون » جاء بصيغة الجمع .

يرى المفسرون : بأنَّ هذا إمّا من اجل التعظيم لمقام الحق تعالى ، وإمّا ان يكون المخاطب في الواقع هم الملائكة الذين يأتون افواجا لقبض الارواح . كما أنَّ هذا المعنى محتمل ايضاً وهو أنَّهم يتوسلون بساحة اللطف الالهي اولاً ، ثم يلتفتون الى الملائكة يطلبون منهم العودة ^(١) .

وجاء ما يشابه هذا المعنى في الآية (١٠) من سورة المنافقين ايضاً في قوله تعالى : ﴿ وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وقد اجيبوا هنا بجواب سلبي ايضاً في ذيل الآية ، وبصورة اخرى : قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

كما يستفاد من الآية ٢٨ من سورة الانعام ايضاً بأنَّ المجرمين يتحدثون بهذا

(١) واحتمل صاحب تفسير « الميزان » هذا الاحتمال ايضاً وهو أنَّ ضمير الجمع يدل على الجمع في الفعل لا على الجمع في الفاعل ، فكانَّ المحتضر يريد ان يقول « ارجع ، ارجع » عدّة مرات فيأتي بكلمة ارجعوا بدلاً عن التكرار . (الميزان ج ١٥ الصفحة ٧١) ولكن من البديهي لو جاز هذا في اللغة لكان قليلاً جداً .

الحديث عندما يعرضون على جهنم ، وبما أن ذلك خارج عن موضوع البحث فإننا نعرض عن ذكره هنا .

ثمرة البحث :

إتضح بجلاء وجهة نظر القرآن الكريم في مسألة الموت من أبعادها المختلفة ، من مجموع ما جاء في الآيات والعناوين العشرة المذكورة اعلاه .
ومما يجدر بالالتفات هو أن القرآن سلط الاضواء في جميع هذه الموارد على الآثار التربوية منها ، وذلك لأن القرآن كتاب تربوي كامل ، فهو يعتني بالجانب التربوي عند ذكر اصول وفروع الدين ، والمسائل الاجتماعية والتأريخية وغيرها ، أي أنه يطرح الواقع بكل وضوح ويستخدمه للسيطرة على النفس الجموح ، في الدعوة نحو التقوى والورع وسلوك الطريق المؤدي الى مرضاة الله بظرافة ودقة ، فما اجمل والطف ظرافة ودقة القرآن في جميع هذه المجالات !

١ - الموت هو مدخل عالم البقاء :

أن ما جاء في البحوث المذكورة آنفاً مُعَزَّزاً بالآيات القرآنية ، غالباً ما يستدل عليه بالطرق المنطقية الصالحة للاستدلال (باستثناء ما يرتبط بالعوالم الغيبية التي لا نمتلك طريقاً للوصول اليها ، فقد رفع القرآن الستار عنها) .

إن مما لا شك فيه هو أن نظرة الالهيين والمؤمنين الى المعاد والموت تختلف عن نظرة الماديين والمنكرين للمعاد اختلاف السماء عن الارض ، وهذان المنظران هما اللذان يؤثران في حياة الافراد والمجتمعات البشرية ، ويميزان هذين الفريقين عن بعضهما .

فالماديون يعتبرون الموت عالماً مظلماً ومعتماً جداً .. عالماً ينتهي معه كل شيء ، وتختتم به جميع آمال ومساعي وجهود البشر ، وعلى هذا الأساس فإنه ليس من العجيب ان يخاف الانسان المادي من الموت وينتابه الارتعاش ، وتتبدل لديه حلاوة تلك التصورات عن الحياة الى ما هو اكثر مرارة من السم .

وليس من العجيب ان لا يقدموا على الايثار والتضحية واذا أقدموا على عمل كهذا فبتأثير ضغوط من قبل الآخرين أو بتأثير الضغوط الاجتماعية ، وذلك لأنه لا يوجد بعد الايثار شيء يحل محله ، او بتعبير آخر إن الايثار سوف لا يكون الهدف الاساسي لهؤلاء .

وليس من العجيب ان يعدّ هؤلاء الحياة امراً تافهاً خالياً من المحتوى ، وذلك لأن الموت إن كان نهاية لكل شيء فإن الحياة الدنيا والتي هي عبارة عن تكرار مجموعة من الاعمال الدنيئة ، كالاكل والنوم والكسب والاستهلاك لا يمكن ان تعتبر « هدفاً سامياً » لارواء الروح الانسانية ، لذا فإن عدداً يقدمون على الانتحار ويعتبرون ذلك اختياراً صحيحاً لانهاء هذا « التكرار والمكررات التافهة » ! فهم يعتبرون ذلك عين العقل والمنطق ، ويعتبرون الاستمرار على الحياة حماقة وذلة وبلادة !
بينما يرى الالهيين الذين يؤمنون بالمعاد ، الموت اشبه ما يكون بتولد الجنين من بطن امه .

فالجنين يموت في الواقع ، اي يفقد الحياة في بطن الأم ، لكنه في نفس الوقت يضع قدمه في عالم اوسع وافصح ، واذا ما قيس الى المحيط الضيق والمظلم في بطن الأم ، لكان عالماً مملوءاً بالنعم والجمال .

فالموت هو ولادة اخرى ايضاً ، والانسان بواسطة الموت يخرج من محيط هذه الحياة الضيق الى عالم اكثر اتساعاً .

ومن البديهي هو ان الجنين لو كان يعلم اين سيضع قدمه بعد الولادة لظل يعدّ اللحظات للخروج ، ولما خاف ابداً من ذلك اليوم ، ولما عد حياة الأجنة حياة تافهة ،

ولما عزَّ عليه الايثار في سبيل الخروج .

وقصارى الكلام انَّ نظرة الانسان للموت باعتباره « باباً ينفذ منه الى عالم البقاء » تغيّر لون حياته وتمنحها لوناً جديداً وتعطيها مفهوماً يسكن اليه القلب وتخرجه من الحيرة والكآبة والشعور بالتفاهة واللاهدفية التي تقصم آلامها الظهر .

٢ - لماذا نخاف الموت ؟

اتضح مما قلناه آنفاً : بأنَّ الخوف من الموت لا معنى له بالنسبة لمن يؤمن بالمعاد ، ويستثنى من ذلك من كانت صحيفة اعماله سوداء ومظلمة ، الذين يخافون العقوبات الالهية التي سوف يُبتَلَوْنَ بها في الدار الآخرة ، وبتعبير آخر: انَّ من يخاف الموت هم ثلاث فرق :

الفرقة الاولى : وهم من يعتبرون الموت امراً يساوق الفناء والعدم ، فالعدم مرعب ، والفقر والمرض والضعف والعجز هي من عوامل الرعب ، ؟ لأنها بمعنى عدم الثروة وعدم السلامة وعدم التمكّن وعدم القدرة ، فالانسان هو من سنخ الوجود ، والوجود يأنس بالوجود كما يأنس الحديد بالمغناطيس ، لكنّه لا يسانخ العدم ولا يأنس به ، فما عليه الا ان يهرب منه .

لكننا اذا اعتبرنا الموت سلماً للصعود الى « وجود ارقى » وكنا نعتبر العالم الذي يلي الموت لا يقاس بهذا العالم من جهة السّعة والنعيم ، وكنا نعدّ الدنيا سجنًا والموت بمثابة التحرر من هذا السجن ، واذا شبّهنا الحياة بالقفص بالنسبة الى طائر والموت بانفتاح هذا القفص وتحليق الطائر ، فسوف لن يصبح الموت امراً مرعباً ، بل سوف يكون في بعض الموارد محبوباً ومستساغاً ، قال احد الحكماء :

مُتُّ أيها الحكيمُ واقلع عن مثل هذه الحياة	فإِنَّكَ إِن مُتُّ ففوق تخلد
فيسافر طائر روحك الى العُلا	عندما تحررها من أسر الطمع

وقال شاعر آخر :

انني طائر جنة الملكوت ، ولست من عالم التراب
لقد صنعوا من جسي قفصاً قصيراً الامد
ان اسعد الايام هو ذلك اليوم الذي اطير به نحو الحبيب
فترق جناحي بأمل الوصول الى دياره

واخيراً يستقبل شاعر آخر الموت بصدرٍ رحب ، فيدعوه اليه قائلاً :

ان كان الموت انساناً لقلت له اقبل اليّ لأضمه الى صدري بشوق شديد
كما أحصل منه على روح خالدة ويحصل مني على جنة خلقة

ومن الواضح هو ان تصوراً كهذا عن مسألة الموت يطرد الخوف والهلع عن الانسان ، كما اننا لا نقول بأنه ينتحر ، لأن هذه الحياة هي وسيلة لجمع رأسمال اكثر ولكسب الزاد وتهيئة الراحلة للاعداد للسفر نحو ذلك العالم ، بل ؟ نقول : إنه يبسط جناحيه عندما ينفصل منها ، ويذهب الى استقبال شيء يمدّه بحياة جديدة بكل شهامة وشجاعة .

الفرقة الثانية : وهم الذين يؤمنون بالحياة بعد الموت ولا يعتبرون الموت فناً وعدماً ابداً ، لكنهم بسبب اسوداد صحائفهم يهربون من الموت ، لخوفهم من العقوبات التي تحلّ بهم بعده ، والتي أعدت لهم في المحشر ، فهم يهربون منها كما يهرب المجرمون الذين يتمنون دائماً تأجيل يوم المحاكمة ، والبقاء في السجن من دون محاكمة !

ومن حق هؤلاء ايضاً ان يخافوا من الموت ، فالخلاص من السجن بنفسه امرٌ حسن ، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لمن يخرج من السجن الى خشية الاعداء .

الفرقة الثالثة : وما يجدر بالالتفات ايضاً هو ان حب الدنيا والتعلق بها والحب الشديد للمال والمنصب والمظاهر الاخرى ، تجعل الانسان يخاف الموت .. الموت الذي يُخرج جميع هذه الامور من قبضته .

أما بالنسبة لمن لا يعتبرون الموت فناً ولم تسودّ صحائف أعمالهم ، ولم تربطهم بالدنيا المادية جميع العلائق ، فلا داعي لان يخاف هؤلاء الموت حتّى لو كان بأقل درجات الخوف .

٣ - اسباب الخوف من الموت من وجهة نظر الروايات :

ذكرت الروايات في مجال الخوف من الموت والفرع منه مسائل لطيفة ايضاً وهذه المسائل تتسم بالاسلوب التربوي ، وهي كما يلي :

١ - سأل رجل الامام الحسن المجتبى عليه السلام فقال : « يا ابن رسول الله ! ما بأننا نكره الموت ولا نحبه » ؟ فقال عليه السلام : « انكم اخرجتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب » (١) .

٢ - قال الامام الصادق عليه السلام : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأل : مالي لا أحب الموت ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألك مال ؟ فقال الرجل : بلى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : فقدّمته ؟ فقال الرجل : كلاً ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : فمن ثم لا تحب الموت (٢) .

٣ - وجاء في رواية اخرى عن الامام الهادي عليه السلام (علي بن محمد) بأنه ذهب لعبادة احد اصحابه فوجده يطيل البكاء ويتضجّر من الموت ، فقال له الامام عليه السلام : يا عبد الله تخاف من الموت لانك لا تعرفه ، ثم شبه الامام عليه السلام الموت بحمام نظيف يدخله الانسان الوسخ فيغتسل ، ويلقي جميع همومه وآلامه فيعمّه السرور والفرح (٣) .

٤ - قال الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : لما اشتدّ الامر بالحسين بن

(١) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ١٢٩ ، الحديث رقم ١٨ .

(٢) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ١٢٧ ، الحديث رقم ٩ .

(٣) « معاني الاخبار » الصفحة ٢٩٠ ، الحديث رقم ٩ (باب في معنى الموت) .

علي بن ابي طالب ... كان الحسين وبعض من معه تُسْرِقُ الوانهم وتهدا جوارحهم
وتسكن نفوسهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ^(١) !
انّ هذه الاحاديث التي وردت في بيان اسباب الخوف من الموت ، يكتنفها
الوضوح بقدر الكفاية ولا نرى هناك ضرورة لشرحها .

* * *

٢- البرزخ

تمهيد :

« البرزخ » هو الشيء الحائل بين شيئين ، ثم توسّع هذا المعنى ، واطلق على كلّ ما يحيل بين الشيئين او بين المرحلتين ^(١) .

والمراد من « البرزخ » هنا هو العالم الذي يتوسط بين الدنيا وعالم الآخرة ، اي أنّ الروح بعد انفصالها عن الجسم وقبل عودتها اليه ثانياً يوم القيامة سوف تبقى في عالم يتوسط العالمين ويطلق عليه اسم البرزخ .

والادلة الرئيسية التي يمكن بواسطتها اثبات وجود عالم البرزخ هي الادلة النقلية (الآيات والروايات) وإن كان بالامكان اثبات هذه المسألة بالسبل العقلية أو الحسية (عن طريق احضار الروح) ايضاً .

بالرغم من عدم تعرّض القرآن بكثرة لذكر مسألة البرزخ ومروره عليها مرّ الكرام ، إلا أنّه في نفس الوقت له تصريحات وتعبير واضحة في هذا المجال وردت خلال آيات متعددة ، والتي يمكنها ان تبين لنا القوانين العامة المتعلقة بعالم البرزخ . بعد هذه الاشارة نعود الى القرآن لنستمع خاشعين للآيات الواردة في هذا

(١) جاء في الآية ٢٠ من سورة الرحمان حول البحر الذي يضم ماءً عذباً وماءً رجاجاً في آن واحد : بينهما برزخ لا يبغيان .

المجال :

١ - ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ - لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

(المؤمنون / ٩٩ و ١٠٠)

٢ - ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ - فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(آل عمران / ١٦٩ و ١٧٠)

٣ - ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

(البقرة / ١٥٤)

٤ - ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ - وَإِذْ يَتَحَايَّجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْقُذُونَ عَنَا نَصِينَا مِنَ النَّارِ ﴾

(المؤمن / ٤٦ و ٤٧)

٥ - ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾

(نوح / ٢٥)

٦ - ﴿ قِيلَ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ قَالًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قَوْمِي يَغُلُّونَ - بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

(يس / ٢٦ و ٢٧)

٧- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا

يُؤْفَكُونَ ﴾

(الروم / ٥٥)

٨- ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى

خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾

(المؤمن / ١١)

جمع الآيات وتفسيرها :

ماهية البرزخ وخصوصياته :

شرعت الآية الاولى بالحديث عن وضع الكفار والظلمة والمجرمين ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ - لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ، ولكنه سرعان ما يواجه بجواب سلبي مدعوم بالادلة والبراهين فيقال له : (كلاً.. إنها كلمة هو قائلها) ثم يضاف الى الجواب : (ومن ورائهم برزخ الى يوم يُبعثون) .

فبداية الآية يشير الى المنزل الاول اي « الموت » وذيلها يشير الى المنزل الثاني اي « البرزخ » .

وبالرغم من اصرار البعض على تفسيرهم البرزخ هنا بمعنى الحائل الذي يحول بين الانسان ودرجات الجنة العليا ، الا ان جملة « الى يوم يبعثون » تعتبر قرينة واضحة ، على ان عالم البرزخ هو مرحلة تسبق يوم القيامة ، وتقع بعد الموت .
كما فسر البعض البرزخ بأنه بمعنى المانع الذي يحول بين الانسان والعودة الى

الدنيا، لكنّ هذا المعنى ايضاً لا يتلاءم مع ذيل الآية وهو التصريح ببقاء هذا البرزخ الى يوم القيامة . (فتأمل) ، وبهذا اثبتت الآية المذكورة بوضوح وجود عالم يتوسط بين الدنيا والآخرة .

وكلمة « وراء » تأتي احياناً بمعنى « الخلف » و احياناً اخرى بمعنى « أمام » ، وذلك لأنّ هذه الكلمة من مادة ورئ (على وزن سعى) وهي بمعنى الاخفاء ، فمن يقف الى احد جانبي الجدار مثلاً يعدّ الطرف الآخر الذي يخفى عليه « وراء » بالنسبة له ، بناء على هذا فالانسان في ايّ جهة كان من الجدار يعدّ الطرف المقابل له « وراء » بالنسبة له (١) .

جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام : « اتخوّف عليكم في البرزخ » .

فسأله الراوي : ما البرزخ ؟

فقال عليه السلام : « القبر منذ حين موته الى يوم القيامة » (٢) .

وجاء في حديث آخر عن الامام علي بن الحسين عليه السلام انه قال : (إنّ القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران) (٣) .

وفي الآية الثالثة توجه تعالى بالخطاب الى جميع المؤمنين وقال بوضوح : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ . فكلاهاتين الايتين هما من الادلة الواضحة على وجود عالم البرزخ (وان كان الحديث يقتصر على ذكر الشهداء) ، وذلك لأنهما تحدثتا عن حياة الشهداء بل حتى عن رزقهم واستقرارهم عند ربهم .

(١) مفردات الراغب ، مادة ورئ .

(٢) تفسير البرهان / الجزء ٣ الصفحة ١٢٠ ، حديث ٢ وحديث ١ .

(٣) تفسير البرهان / الجزء ٣ الصفحة ١٢٠ ، حديث ٢ وحديث ١ .

والعجيب هو أنّ بعض المفسرين ومن دون ان يلتفتوا الى العبارات الواردة في الآيات اللاحقة لها والتي تتحدّث جميعها عن حياة الشهداء (الحياة بالمعنى الواقعي لهذه الكلمة) حملوا الحياة هنا على معناها المجازي ، مثل بقاء أسمائهم وآثارهم ، أو بقاء هدايتهم وطاعتهم ومذهبهم ، أو بعثهم من القبور وحياتهم يوم القيامة !

فهل غفلوا عن وصف القرآن لهم بأنهم عند ربهم ؟

ام غفلوا عن إرزاقهم ؟

ام غفلوا عن وصفهم فرحين بما آتاهم الله من فضله ولا خوف عليهم ولا هم

يحزنون ؟

فكيف تتلاءم جميع هذه التعابير مع المعنى المجازي ؟

هذا بالاضافة الى قوله تعالى : بل احياء ولكن لا تشعرون ، فإن كان معنى

الحياة هو بقاء الاسم والمنصب والهداية والمذهب فإن هذه الامور قابلة للادراك .

والظاهر هو أنّ هؤلاء المفسرين لم يتمكنوا من إدراك حياة البرزخ بدقّة ،

فتوسّلوا بالخرافات بعد ما غابت عنهم الحقيقة ، لكنّ الرازي صرّح في تفسيره

بالقول : إنّ اكثر المفسرين على ان الحياة هنا هي الحياة الواقعية ^(١) .

وعلى الرغم من ذكر المرحوم الطبرسي في مجمع البيان لاربعة تفاسير للآية ،

الأ أنّه رجّح التفسير الاول الذي فسّر الحياة في هذه الآية بالحياة الحقيقية ، واعتبره

هو الصحيح من بينها ^(٢) .

وهناك روايات كثيرة في هذا المجال طبعاً سوف تُشير اليها لاحقاً - انشاء الله - .

ومن العجائب الاخرى هو ما نُقل في تفسير « الميزان » عن بعض المفسرين

الذين اعتبروا الآية مختصة بـ « شهداء بدر » ، وادّعوا بأنّها لا تشمل جميع الشهداء !

(١) تفسير الفخر الرازي / الجزء ٤ الصفحة ١٣٥ .

(٢) مجمع البيان / الجزء ١ و ٢ الصفحة ٢٣٦ .

(يجب الالتفات الى ان المفسرين صرحوا بأن الآية الاولى نزلت في شهداء أحد والثانية في شهداء بدر^(١)، ولكن على أي حال فإن اسباب النزول لا تحدد من مفهوم الآيات مهما كان المورد، فالآية اذاً تشمل جميع الشهداء بصورة مطلقة).

وما يلفت الانتباه هو ان المرحوم العلامة الطباطبائي بعد أن نقل هذا التفسير اضاف: إن بعض المفسرين فسروا الآية السابقة لهذه الآية (اي الآية ١٥٣ من سورة البقرة) التي تأمر بالاستعانة بالصبر^(٢).

ولكن على أي حال فإن الآية تحدثت عن الشهداء فقط، ألا انها لم تنف غيرهم، من هنا يطرح هذا السؤال وهو: ان كانت حياة البرزخ نعم جميع البشر فما هو فضل الشهداء على الآخرين؟

والجواب على هذا السؤال واضح، وهو أن فضلهم على غيرهم هو في كيفية حياتهم.. الحياة في جوار رحمة الله والتنعيم بأنواع النعم والرزق الالهي، لكن حياة البرزخ للآخرين لا تشمل على هذه البركات طبعاً.

اما الآية الرابعة فهي في الواقع تمثل النقطة المقابلة لما جاء في آيات الشهداء، وذلك لأنها تتحدث عن عذاب « آل فرعون » في البرزخ، قال تعالى: ﴿ وَحَاقَّ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾، ثم يبين ما هية هذا العذاب بقوله: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾، ومن الواضح هو إن النار التي ذكرت في الآية والتي يُعرض عليها آل فرعون صباحاً ومساءً هي نار البرزخ، وذلك لأن ذيل الآية تحدثت عن عذابهم يوم القيامة بصورة

(١) وقال البعض ايضاً بأن الآية المتعلقة بسورة آل عمران نزلت في شهداء بدر بينما نزلت الآية المتعلقة بسورة البقرة في شهداء بدر وأحد معاً.

(٢) الميزان الجزء ١ الصفحة ٣٥٢.

مستقلة ، لذا فسّر اغلب المفسرين هذه الآية بأنها تشير الى عالم البرزخ وعذاب القبر .
ومن الجدير بالالتفات هو إنّ الآية عندما تحدّثت عن عذاب البرزخ لآل
فرعون قالت : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ، لكنها عندما تحدّثت عن
عذابهم في الآخرة قالت : ﴿ أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

ويستفاد من اختلاف هذين التعبيرين (العرض والادخال) بأنّ المراد من النار
هي نفس نار البرزخ ، لأنّهم في البرزخ يشاهدونها عن بُعد فيعمّ الالهم وجودهم ،
لكنهم يشاهدونها يوم القيامة عن قرب بواسطة الدخول فيها ، فهذه العقوبات تحلّ
بهم في البرزخ صباحاً ومساءً ، بينما تكون مستمرة ومن دون انقطاع في يوم القيامة .
وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ في هذا المجال ما يؤيد هذا المعنى بكلّ وضوح ،
قال ﷺ : ﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ
أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَمِنْ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حِينَ
يَبْعَثُكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

ويستفاد من هذه الروايات أنّ الامر لا يختصّ بآل فرعون ، بل يشمل الجميع .
وهل يعذب أو ينعم اهل البرزخ عن طريق المشاهدة لجهنم او الجنة فقط ؟ أم
يكون لهذين تأثير مادّي عليهم ايضاً ؟ كما لو مرّ الانسان بالقرب من حفرة من النار
فإنّ النار تحرق وجهه ، او اذا مرّ بالقرب من بستان عامرة خضراء فيدبّ النشاط فيه
اثر نسيمها المنعش العطر ، أم يثاب أو يعاقب بكلا الوجهين ؟ (الروحي والجسمي ،
والمراد هنا هو الجسم المثالي طبعاً) .

الاحتمال الثالث اقوى . (فتأمل) .

كما يجدر الالتفات الى هذه المسألة ايضاً وهي أنّ ظاهر الآية يدل على أنّ آل
فرعون يعرضون على النار ، لكن بعض المفسرين قالوا : إنّ هذا كناية عن عكس ذلك

(١) رُوِيَ هذا الحديث في مجمع البيان عن صحيح البخاري ومسلم في تفسير ذيل الآية المذكورة (الجزء
٧ و ٨ الصفحة ٥٢٦) .

الامر، اي ان النار هي التي تعرض عليهم ، كما هو الحال في « عرضت الناقة على الحوض » المراد منه عرض الماء على الناقة . (وما جاء في الحديث عن النبي ﷺ يؤيد هذا المعنى ايضاً ، وذلك لأنه ﷺ قال : (إذا مات عُرض عليه مقعدة من الجنة او من النار بالغداة والعشي) .

وتحدثت الآية الخامسة عن « مؤمن آل يس » (الرجل المؤمن الذي ورد ذكر قصته في سورة « يس » ، فقد نهض هذا الرجل لدعم رُسل المسيح ﷺ الذين بعثوا الى مدينة « انطاكية » ودعا الناس ونصحهم باتباع هؤلاء الرُسل ، لكن هؤلاء القوم المعاندين الفجار لم يكتفوا بعدم الاكتراث بنصحه فحسب ، بل ثاروا عليه وقتلوه) . قال تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ - بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ .

ومن الواضح هو ان هذه الجنة ليست هي جنة القيامة ، بل هي جنة البرزخ ، لأن مؤمن آل يس تمنى هنا لو كان قومه الذين هم في هذه الدنيا يعلمون بعاقبته ، ويعلمون بما غفر له ربه وجعله من المكرمين !

قال المرحوم « الطبرسي » في « مجمع البيان » ! ان هذه الآية تشير الى نعيم القبر (البرزخ) ، لأن مؤمن آل يس قال هذا عندما كان قومه احياء ، فإذا امكننا تصوّر وجود النعيم في القبر ، فإن تصوّر العذاب سوف يكون ممكناً ايضاً ^(١) .

وجاء في كثير من التفاسير أن هذا الرجل المؤمن يدعى « حبيب النجار » والسبب في اطلاق « مؤمن آل يس » عليه في بعض الروايات ^(٢) فالظاهر هو لأنه كان رجلاً مؤمناً بالاضافة الى ذكره في سورة « يس » ، لذا قال البعض : إن « آل » هنا ائمة

(١) مجمع البيان الجزء ٧ و ٨ الصفحة ٤٢١ .

(٢) تفسير « الدر المنثور » نقلاً عن الميزان الجزء ١٧ الصفحة ٧٦ .

والمراد هو « مؤمن يس » (١).

والآية السادسة تصف وضع المجرمين يوم القيامة ، قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ، ثم يضيف : ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ . وعلى الرغم من ان هذه الآية لم تتحدث عن محل اللبث ، إلا ان الآية اللاحقة اشارت الى ان المراد من محل اللبث هو البرزخ ، لأنها تقول : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وهذا التعبير يشير الى ان مكث هؤلاء يطول أمده الى يوم القيامة ، ولا يصح هذا الا في البرزخ .

وقد انتخب هذا التفسير عدد كبير من المفسرين الكبار ، وهو ان الآية تشير الى حياة البرزخ ، لكن البعض الآخر يرون بأن الآية تشير الى اللبث الحاصل في الدنيا ، الذي يراه المجرم قصير جداً كأنصرام ساعة ، وادعى بعضهم بأن الآية ٤٦ من سورة النازعات تدل على هذا المطلب ، وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ ١

لكن لا يوجد في هذه الآية اي دليل واضح على ان المراد من اللبث هو اللبث في الدنيا ، بل يحتمل ايضاً دلالتها على ان اللبث هو في عالم البرزخ .

واذا تجاوزنا ذلك فإننا لا يمكننا ان نفسر الآية الا بدلالاتها على « البرزخ » ، وذلك بالاستناد الى ما ذكرته من ان يوم القيامة هو اليوم الذي ينتهي فيه اللبث .

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه وهو لماذا يُعَدُّ هؤلاء الزمان الطويل لعالم البرزخ قصيراً وقليلًا ؟

(١) تفسير « ابو الفتح الرازي » الجزء ٩ الصفحة ٢٧٠ (تعليقة المرحوم العلامة الشمراني) .

ويتضح الجواب على هذا السؤال من خلال ذكر مقدمة ، وهي : عندما يُوعَد الانسان بوعد جميل وشيق ، فإنَّ نار الشوق للوصول الى تلك اللحظة سوف تستعر في قلبه ، فتمر الساعات والدقائق عليه ببطءٍ شديد ، فتمرُّ عليه الساعة كأنها ايام او سنين ، وعلى العكس من ذلك عندما يتوَعَّد العقاب الشديد فإنه يودُّ لو تتوقف عجالات الزمان ، لكنَّ تمرُّ عليه الايام والشهور بسرعة في نظره وكأنها لحظات او دقائق لا اكثر ، وهذا هو حال المجرمين يوم القيامة !

وبالرغم من أنَّ العذاب الالهي لا يتخطاهم في عالم البرزخ ، لكن اين عذاب البرزخ من عذاب عالم القيامة ؟

ويوجد احتمال آخر ايضاً وهو ان يعتبر البرزخ كالنوم بالنسبة للبعض بعد ابتداء عذاب القبر ، ومن البديهي ان لا يعلم هؤلاء مقدار مدَّة لبثهم عندما تقوم القيامة ، التي هي بمنزلة النهوض من النوم .

وبما أنَّ جميع الحقائق لا تنكشف اسرارها للانسان في البرزخ ، فلا عجب من خفاء هذه الامور عليهم ، لكنَّه مِنَ الطبيعي ان تنكشف اسرار الحقائق بجلاء يوم القيامة الذي هو « يوم البروز » .



وفي الآية السابعة من آيات البحث جاء ما يرد على لسان الكفار عند مثولهم بين يدي الله يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

تدل هذه الآية على وجود عالم البرزخ من جهة أنَّ تصوُّر إِمَاتَتَيْنِ وإِحْيَاءَيْنِ غير ممكن ، إلا اذا سلَّمنا بوجود عالم البرزخ ، وهما الموت من هذه الدنيا ثم حياة البرزخ ، وبعد ذلك الموت من حياة البرزخ ثم الحياة في عالم الآخرة .

وهذا من اجل أنَّ جميع البشر وحتى الملائكة و ارواح الاموات التي هي على

هيئة اجسام مثاليه في عالم البرزخ يموتون جميعاً عند انتهاء هذا العالم ،اي عند نفخ الصور بمقتضى الآية ٦٨ من سورة الزمر في قوله تعالى : ﴿ فَصَبَقْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، ولا يبقى حيٍّ موجوداً في ذلك اليوم سوى الله تعالى ، اذاً هناك موت بعد حياة البرزخ ايضاً .

وامّا حياة عالم الدنيا فهي خارجة عن المراد ، وذلك لأن الآية الشريفة تحدثت عن حياتين بعد الموت ، لا عن حياة الدنيا بعد الموت .

لكن البعض احتمل ان يكون المراد من الموت الأول هو ما قبل وجود الانسان في الدنيا ، اي عندما كان تراباً ، بناءً على هذا الاحتمال سوف تكون الحالية الدنيا هي الحياة الاولى ايضاً ، والموت الثاني هو الموت الحاصل عند انتهاء هذا العالم والحياة الثانية هي حياة يوم القيامة ، فيكون هذا شبيه ما جاء في الآية ٢٨ من سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْواتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

لكنه من الواضح هو ان التعبير بـ الموت الاول ، على هذا التفسير يكون صحيحاً ، الا ان التعبير بـ الاماته ، غير صحيح ، وبتعبير آخر فإن الانسان عندما كان تراباً فهو ميت لان الله اماته ، لأن الاماته يجب ان تكون بعد الحياة ، بناءً على هذا لا ينطبق تعبير الآية الأعلى التفسير الاول (اي على وجود عالم البرزخ) ، الا اذا اعتبرنا الاماته جاءت هنا بمعناها المجازي ، لكن هذا لا يجوز عند غياب القرينة .

كما استدل بعض المفسرين بهذه الآية على حياة القبر ايضاً .. تلك الحياة التي تنتهي بعد مدّة وجيزة بالموت (وفي الواقع ان هذه الحياة هي ايضاً من انواع الحياة في البرزخ المؤقتة) .

وهناك كلام بين العلماء في كيفية الحياة في القبر ، فهل هي حياة بالجسم المادي ام بالجسم في عالم البرزخ المثالي ؟ ام بجسم خليط من المادة والمثال ؟ وسوف نتحدث لاحقاً عن هذا باذن الله .

ثمرة البحث :

اتضح الى حد كبير من خلال الآيات السبع المذكورة وجهة نظر القرآن المجيد حول عالم البرزخ (العالم الذي توسّط بين هذه الدنيا وعالم الآخرة) .
ولو فرضنا وجود الخلاف في بعض هذه الآيات ، فإنّ وضوح البعض الآخر منها (كالايات الاولى) سوف لن يبقّى ايّ مجالٍ للشك والترديد .
هذا بالاضافة الى أنّ استعمال « التوفي » (قبض الارواح) في الموت في آيات متعددة من القرآن ، يعتبر دليلاً ملموساً وواضحاً على وجود عالم البرزخ . وكل ما هنالك هو عدم ذكر الكثير من جزئيات عالم البرزخ ، ولم يُشرْ الا الى اصل وجود هذا العالم مع شيء من مكافآت المحسنين وعقوبات المسيئين ، ولكن الروايات اشارت الى تفاصيل كثيرة في هذا المجال وسوف نتعرّض الى ذكر قسم منها .

* * *

توضيحات :

١ - البرزخ في الاحاديث الشريفة :

ورد ذكر عالم البرزخ في الاحاديث الشريفة بصورة واسعة جداً ، وقد بلغ حجم هذه الروايات من الكثرة مما جعل المرحوم الخواجه الطوسي ان يعدّها في كتابه تجريد الاعتقاد من المتواترات ، في قوله « وعذابُ القبر واقعٌ بالامكان وتواتر السمع بوقوعه » .

ونشير هنا الى نماذج واضحة من هذه الروايات :

١ - جاء في الحديث : القبرُ امانةٌ روضةٌ من رياض الجنة او حفرةٌ من حفر النيران .

رواه « الترمذي » في « صحيحه » عن النبي ﷺ ، كما رواه المرحوم « العلامة المجلسي » في « بحار الانوار » في موضع عن امير المؤمنين علي عليه السلام وفي موضع آخر عن الامام علي بن الحسين عليه السلام (١) .

٢ - وجاء في المشهور عن النبي ﷺ : أنه عندما القوا بأجساد قتلى مشركي مكّة ، الذين قتلوا في غزوة بدر في احد الآبار وقف ﷺ على البئر وقال : « يا أهل القلب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً . قالوا ، يا رسول الله هل يسمعون ؟ قال ما انتم بأسمع لما اقول منهم ، ولكن اليوم لا يجيبون » (٢) !

وروي هذا المضمون بتعابير اخرى في روايات متعددة ، منها ما جاء في الحديث : نادى رسول الله ﷺ عدداً من المشركين باسمائهم وقال : يا ابا جهل يا عتبة يا شيبة يا أمية ! هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فقال عُمَرُ : يا رسول الله أما تكلم من اجساد لا ارواح فيها ؟ فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون جواباً (٣) !

انّ هذه الاحاديث لا تدل على وجود عالم البرزخ فحسب بل تدل على وجود نوع من الحياة بعد موت الجسم ، بل وتدّل على انهم لهم نوع من الارتباط بهذا العالم ايضاً ، فهم يسمعون بعض الحديث على الاقل .

٣ - جاء في نهج البلاغة عن امير المؤمنين علي عليه السلام : أنه عندما عاد من حرب صفين وقف على مقبرة تقع خلف باب الكوفة وتحدث الى الاموات بهذه الكلمات : « انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق ، اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد قُسمت ، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟ »

(١) صحيح الترمذي الجزء ٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب ٢٦ ، الحديث رقم ٢٤٦٠ - بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢١٨ و الصفحة ٢١٤ .

(٢) كنز العمال الجزء ١٠ الصفحة ٣٧٧ ، الحديث رقم ٢٩٨٧٦ . والقلب بمعنى البئر .

(٣) كنز العمال الجزء ١٠ الصفحة ٣٧٦ ، الحديث رقم ٢٩٨٧٤ .

فالتفت إلى أصحابه وقال : « أما لو أُذِنَ لهم في الكلام لاخبروكم أنّ خير الزاد التقوى » ^(١).

وهذا الحديث أيضاً يدل على أنّه بالاضافة إلى أنّ عالم البرزخ يتحقق بالنسبة للاموات فإنّ للموتى نوعاً من الارتباط مع هذا العالم أيضاً .

٤ - وهناك خطب متعددة في نهج البلاغة أيضاً تحدثت عن البرزخ بوضوح ، فقد جاء في إحدى خطبة عليه السلام حيث ذكر الامام عدداً من السابقين وقال : « أولئك سلف غايتكم ... سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً » ^(٢).

وجاء في خطبة أخرى عندما كان يصف « اهل الذكر » : « فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك ، فكأنما اطلعوا عيوب اهل البرزخ في طول الاقامة فيه » ^(٣).

٥ - وجاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال : « والله ما اخاف عليكم إلا البرزخ » . (اراد بهذا ان يشير إلى أنّ المؤمنين تشملهم شفاعة النبي صلى الله عليه وآله ، والائمة المعصومين يوم القيامة ، لكنّ محاسبة البرزخ تختلف) ^(٤).

٦ - ورؤي عن الامام الصادق عليه السلام ايضاً أنّه قال : « البرزخ القبر ، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة » ^(٥).

٧ - وفي الدر المنثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

حينما تقبض روح المؤمن يستقبله عبادة الله الذين شملتهم رحمته ويقولون : أهلاً بك أيها الضيف الجديد ، استرح لأنك تعبت كثيراً ، ثم يسألونه عن بعض معارفهم واصدقائهم ، وحينما يلتفتون إلى أن بعضهم قد فارق الحياة قبل هذا

(١) نهج البلاغة ، الكلمات القصار ، الكلمة رقم ١٣٠ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة رقم ٢٢١ .

(٣) نفس المصدر السابق ، الخطبة رقم ٢٢٢ .

(٤) تفسير نور الثقلين الجزء ٣ الصفحة ٥٥٣ ، الحديث رقم ١٢٠ .

(٥) نفس المصدر السابق ، الحديث رقم ١٢٢ .

الضيف الجديد ، يقولون (إن الله وإنا إليه راجعون) ، لقد أخذوه إلى الجحيم ، (ولذا لا أثر له هنا) ^(١) .

٨ - وهناك روايات كثيرة تشير إلى فرح ارواح المؤمنين إثر أعمال الخلف الصالحة ، ومن جملة هذه الروايات ما روي عن الامام الصادق عليه السلام قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لِيَفْرَحُ بِالترَّحُّمِ عَلَيْهِ وَالاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية » ^(٢) .

وروي هذا المضمون عن النبي ﷺ حيث قال : « إِنَّ هدايا الأحياء للاموات الدعاء والاستغفار » ^(٣) .

٩ - وروي في حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « مَنْ أَنْكَرَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ فَلَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا : المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة » ^(٤) .
ومن الواضح هو أن السؤال في القبر من عالم البرزخ .

١٠ - ونختتم هذه الروايات بحديث روي عن رسول الله ﷺ في كنز العمال ، بالرغم من كثرة الاحاديث وتواترها في هذا المجال) ، فقد ذكر النبي ﷺ شهداء أحد وقال : إِيَّهَا النَّاسُ زُورُوهُمْ وَأَتُوهُمْ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم مُسلمٌ إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه السلام ^(٥) .

وقد تضمّن هذا الكتاب احاديث متعددة اخرى في هذا المجال .
من هنا يتضح ايضاً مدى جهل من ينكر زيارة اهل القبور ويعدّهم جمادات جهلهم بالاحاديث الشريفة ومدى بعدهم عن تعاليم رسول الله ﷺ .

أن جميع الروايات التي تحدثت عن سؤال وضغطة القبر ، والروايات التي تخبر الانسان عن نتائج اعماله الحسنة منها والسيئة بعد الموت ، والروايات التي

(١) تفسير الدر المنثور نقلاً عن الميزان الجزء ٢٠ الصفحة ٤٩٤ (باختصار) .

(٢) المحجّة البيضاء الجزء ٨ الصفحة ٢٩٧ .

(٣) نفس المصدر السابق الصفحة ٢٩١ .

(٤) البحار الجزء ٦ الصفحة ٢٢٣ .

(٥) « كنز العمال » الجزء ١٠ الصفحة ٣٨٢ ، الحديث رقم ٢٩٨٩٦ .

تتحدّث عن ارتباط الارواح بذويهم والإطلاع على اوضاعهم ، والروايات التي تتحدّث عن ليلة المعراج ولقاء النبي ﷺ بالرسل والانبياء ، ان جميع هذه الروايات تدل اساساً على وجود عالم البرزخ ، فاذا لم نتصوّر عالماً كهذا فإنّ جميع هذه الروايات وامثالها ستصبح مبهمة .

٢ - البرزخ من وجهة نظر العقل والحس :

بالاضافة الى وضوح ما دلت عليه الآيات والروايات المذكورة اعلاه على اثبات وجود عالم يتوسط الدنيا والآخرة ، فإن هذا الامر يمكن اثباته عن طريق العقل والحس ايضاً ، وذلك لأن جميع الادلة التي دلت على وجود الروح وخلودها مستقلة عن البدن تدلّ على وجود عالم البرزخ ، لأنها دلت على عدم فناء الروح بموت الجسم ، وذلك لأنها ليست من عوارض الجسم حتّى تفتنى بفنائها ، بل هي جوهر مستقل يمكنها الحفاظ على بقائها من دون بقاء الجسم ايضاً ، والاعتراف بهذا يساوي الاعتراف بعالم البرزخ ، وذلك لأن الحديث هنا هو عن اصل وجود عالم البرزخ ، لا عن كونه روحياً .

وبالاضافة الى هذا فإنّ احضار الروح يدلّ بوضوح على انّ الارواح بعد انفصالها عن الاجسام تستقر في عالم خاص بها ، وتحافظ على بقائها وتتصف بسعة الادراك هناك ، حتّى انها تبوح بشيء من علمها عن طريق اتصالها بالناس الموجودين في هذا العالم .

إنّ الذين تلقّوا نداءات من الارواح هم كثيرون ، وكذلك الذين ادّعوا بأنهم شاهدوا الروح في « قالب مثالي » ، ونحن لا نقول بأن جميع هذه الادعاءات صحيحة ، وذلك لأنّ الكذابين والمحتالين المنحرفين كثيراً ما استغلوا هذه المسألة لتمشية اغراضهم ، لكن هذا لا يدعو الى الانكار ، والشك في صحة هذا الموضوع

المدعوم بالتجربة والعلم ، وذلك لكثرة ما اخبر به الثقات عن نتائج تجاربهم ، في هذا المجال ، ولكثرة ما كتبه العلماء الكبار والمجامع العلمية في هذا الميدان ، مما لا يبقى محلاً للانكار في اصل المسألة ، وقد بلغت من الكثرة ما لو حاولنا ذكر زاوية منها لطال الحديث عنها كثيراً^(١) .

بناءً على هذا يمكننا عن هذا الطريق ايضاً ، ان نثبت وجود عالم البرزخ .

٣ - قسّات من عالم البرزخ :

بغض النظر عن الاختلاف الموجود بين العلماء المسلمين في التفاصيل الجزئية لعالم البرزخ ، فإنهم اتفقوا جميعاً على اصل وجود مثل هذا العالم سوى عدد قليل لا يعتدّ به .

والسبب في ذلك ، هو وجود الآيات القرآنية والروايات الكثيرة ، التي دلت على ذلك ، وقد تحدثت تلك الآيات بصراحة عن وضع الانسان بعد الموت ، والثواب والعقاب ، وارتباط اهل القبور بهذا العالم ، وامثال ذلك (وقد ذكرنا هذا المطلب آنفاً) .

بناءً على هذا فلا يوجد هناك اختلاف في اصل وجود عالم البرزخ ، والمهم هنا هو الاطلاع على صورة حياة البرزخ ، وقد طرح العلماء تصورات مختلفة في هذا الميدان اوضحها ما كان ينسجم مع ما جاء في الروايات وهو :

إنّ روح الانسان بعد انتهاء الحياة الدنيا تحلّ في جسم لطيف يفتقد الكثير من اعراض الجسم المادية ، ولكن لشبّه هذا الجسم بالمادة اطلق عليه اسم « الجسم المثالي » او « القالب المثالي » وقيل : إنه ليس مجرداً بتمام الابعاد وليس مادياً كذلك ، بل له نوع من « التجرد البرزخي » . (فتأمل) ، ولكن بما ان ادراك حقيقة حياة

(١) راجع كتابنا « عود ارواح وارتباط ارواح » لكسب توضيحات اكثر .

عالم الآخرة غير ممكن بالنسبة لنا نحن اسارى عالم المادة ، فالاطلاع الكامل على عالم البرزخ لا يكون ممكناً ايضاً ، وذلك لأن عالم البرزخ هو اعلى مرتبة من هذا العالم ، ويتعبير آخر إن عالم البرزخ عالمٌ محيط بهذا العالم لا محاط .

ولكن - على حد قول بعض العلماء - : يمكننا تشبيهه بعالم الرؤيا ، فالروح الانسانية في الاحلام الصادقة تتجول في نقاط مختلفة ، بواسطة القلب المثالي وتشاهد المناظر وتلذذ بالنعم ، كما انها احياناً تشاهد المشاهد المرعبة فتتضجر بشدة ، وتصرخ وتصحو من نومها .

والآية (٤٢) من سورة الزمر ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ ، تؤكد صحة هذه الحقيقة ايضاً .

قال المرحوم العلامة المجلسي في بحار الانوار : إن تشبيه عالم البرزخ بحالة النوم والرؤيا كثيراً ما ورد في الاخبار .

ثم يضيف : كما يحتمل ان يكون للنفوس القوية العالية اجساماً مثالية متعددة ، لذا فإن ما ورد من الروايات على ان الأئمة يحضرون عند كل من يحضر من الناس ، سوف لا يحتاج الى التأويل والتكلف في تفسيرها . (فتأمل) (١) .

كما ان البعض يعتقد بأن القلب المثالي موجود في جسم كل انسان ، لكنه ينفصل عن الجسم بعد الموت ويبدأ حياته في البرزخ ، فالروح في عملية التنويم المغناطيسي تتجول وتذهب الى مناطق مختلفة ، وتمارس كثيراً من الفعاليات ، والاكثر من ذلك إن بعض الارواح القوية تتمكن من السفر الى مناطق بعيدة في عالم اليقظة ايضاً فتطلع على اسرار تلك المناطق ، وهذه الفعاليات تنجز بواسطة القلب المثالي ايضاً .

وقصارى الكلام هو ان الجسم المثالي يشابه هذا الجسم المادي - كما هو ظاهر من اسمه - لكن هذه المادة ليست مادة كثيفة ولا تتشكل من العناصر المادية ،

بل هو جسم لطيف نوراني لا يحتوي على العناصر المادية المعروفة في هذا العالم المادي .

وقد اشتبه الامر على البعض هنا ، ومن المحتمل ان تكون هذه الشبهه هي السبب في انكارهم للجسم المثالي ، والشبهه التي وقعوا فيها هي اعتقادهم بأن وجود جسم كهذا سوف يؤدي الى الاعتقاد بمسألة « التناسخ » ، وذلك لأن التناسخ ما هو الا عبارة عن إنتقال الروح الى اجسام متعددة .

لكننا اذا سلّمنا بوجود القلب المثالي في باطن هذا الجسم المادي ، فسوف لن نقع في محذور انتقال الروح الى جسم آخر ، وسوف لن يبقى محلّ لمحذور التناسخ .

هذا بالاضافة الى ما قاله « الشيخ البهائي » من أنّ « التناسخ الذي أجمع المسلمون على بطلانه هو عبارة عن انتقال الروح بعد فناء الجسم الى اجسام اخرى في نفس هذه الدنيا ، واما ما يتعلّق بحلول الارواح في اجسام مثاليه في عالم البرزخ وبقائها حتى انتهاء أمد البرزخ لتنتقل بعد ذلك الى الاجسام الاولى يوم القيامة ، فإنه لا يمتّ بأي صلة لمسألة التناسخ » ^(١) .

ونقل المرحوم « الكليني » في « فروع الكافي » عدّة روايات تحدثت عن الجسم المثالي بكل وضوح ، منها : ما جاء في الصحيح عن الامام الصادق عليه السلام عندما سأل احد اصحابه قائلاً : يرى بعض الناس بأنّ ارواح المؤمنين تُجعل في حوصلة طيور خضر تحيط بالعرش !! فقال عليه السلام : « لا ، المؤمن اكرم على الله من ان يجعل رُوحه في حوصلة طير ، ولكن في ابدان كابدانهم » ^(٢) .

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام ايضاً : « فاذا قبضه الله عز وجل صير تلك

(١) نقل هذا الكلام العلامة المجلسي عن المرحوم الشيخ البهائي في « بحار الانوار » الجزء ٦ الصفحة ٢٧٧ .

(٢) « فروع الكافي » الجزء ٣ الصفحة ٢٤٤ (باب آخر في ارواح المؤمنين) ، الحديث رقم ١ .

الرَّوْحُ فِي قَالِبٍ كَقَالِبِهِ فِي الدُّنْيَا» (١).

وجاء في حديث آخر عن الصادق عليه السلام : عندما سُئِلَ عن ارواح المؤمنين اجاب : « فِي حُجْرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا ، وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَقِمِ السَّاعَةَ لَنَا ، وَانْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا » (٢).

ومن الواضح هو انَّ المراد من الجنة هنا هي جنة البرزخ التي هي ادنى بكثير من جنة القيامة ، لذا يتمنى المؤمن قيام القيامة ، هذا بالاضافة الى انَّ وجودهم في البرزخ المكاني يدل على حلول ارواحهم في القالب المثالي ، وذلك لأنها فارقت أجسام هذه الدنيا .

٤ - خصوصيات عالم البرزخ :

إنَّ القرآن المجيد لم يتعرَّض كثيراً لذكر هذه الخصوصيات ، وكلَّ ما تعرَّض له هو : أنَّ هناك برزخ وانَّ فيه فريقاً يتنعم بنعم الله وفريقاً آخر في العذاب ، ولكن ماهي التفاصيل ؟ فإنها لم تبين ، ومن المحتمل ان يكون السبب في ذلك هو ان سيرة القرآن هي بيان الاصول العامة وترك التفاصيل للسنة .

اما ما بينته السنة في هذا المجال فهو ما يلي :

الف - سؤال القبر :

دلت روايات عديدة على انَّ الانسان عندما يوضع في القبر يأتي اليه اثنان من ملائكة الله ، فيسألانه عن اصول دينه ، التوحيد والنبوة والامامة ، كما انَّ بعض الروايات اشارت الى انه يُسأل حتى عن كيفية قضاء عمره من جوانب عدّة ، كالسؤال عن سُبل كسبه للمال وانفاقه اياه ، فإن كان من المؤمنين الصادقين فإنه سوف يجيب

(١) « فروع الكافي » الجزء ٣ الصفحة ٢٤٤ (باب آخر في ارواح المؤمنين) ، الحديث رقم ٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، الحديث رقم ٤ .

عمّا سُئل بسهولة ، وتغمره الرحمة الالهية واللفظ ، وإن لم يكن كذلك فإنه سوف يفشل في الاجابة ويفرق في عذاب البرزخ الاليم .

وقد أطلق على هذين الملكين في بعض الروايات اسم « ناكِر » و « نَكير » وفي بعضها الآخر اسم « منكر » و « نكير »^(١) .

روي عن الامام علي بن الحسين عليه السلام انه قال : « كان عليه السلام يعظ الناس في كل جمعة في مسجد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بهذه الموعظة : « ايّها الناس اتقوا الله واعلموا انكم اليه ترجعون » ، حتّى حفظ الناس ذلك ودونوه .

ثم يشير في قسم آخر من كلماته الشريفة والنافذة الى الاعماق ، الى حضور الملكين (منكر ونكير) للسؤال في القبر فيقول عليه السلام : « ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبده وعن نبيّك الذي أرسل اليك وعن دينك الذي كنت تُدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولّاه ، ثم عن عُمرِكَ فيما افنيته ومالك من اين اكتسبته وفيما اتلفته ، فخذ حذرَكَ وأنظرْ لنفسك وأعدْ للجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار ، فإن تك مؤمناً تقياً عارفاً بدينك متبعاً للصّادقين ، موالياً لاولياء الله لقاكَ الله حُجَّتَكَ وانطق لسانك بالصواب فأحسنّت الجواب فُبُشِّرَتْ الجنة والرضوان من الله ، والخيرات الحسان ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان ، وإن لم تكن كذلك تلجَلَج لسائلك ودحضتْ حُجَّتَكَ ، وعميت عن الجواب ، وبُشِّرَتْ بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم »^(٢) ! ...

(١) ورد ذكر الاسم الاول في كتاب اصول الكافي الجزء ٢ الصفحة ٦٣٣ ، الحديث رقم ٢٦ (باب النوادر) و الاسم الثاني في كتاب بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٢٢ و ص ٢٢٣ (الحديث رقم ٢٢ و ٢٤) .

(٢) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٢٣ ، الحديث رقم ٢٤ . وهناك روايات عديدة في هذا الميدان فإن اردت كسب معلومات اكثر عليك بمراجعة نفس الجزء من بحار الانوار وكذلك مراجعة تفسير البرهان الجزء ٢ من الصفحة ٣١٢ فما فوق (في تفسير ذيل الآية ٢٧ من سورة ابراهيم) والمحجّه البيضاء الجزء ٨ الصفحة ٣٠٩ فما فوق .

وهنا يطرح هذا السؤال وهو: هل يتوجّه السؤال هناك الى الروح التي هي في القلب المثالي والبرزخي أم الى نفس الجسم المادي على نحو تعود الروح الى الجسم المادي بصورة مؤقتة (ومن البديهي اننا لا نقصد عودة الروح بصورة تامة ، بل على قدر ما يمكنه من الاجابة) فتوجّه اليه الاسئلة ؟ وما يستفاد من مضمون بعض الروايات هو ، أنّ الروح ترتبط وتتعلق بنفس هذا الجسم المادي بنوع من التعلّق على قدر ما يتمكن الميت من فهم الاسئلة ، والاجابة عليها ^(١) .

لكنّ المرحوم العلامة المجلسي في تحقيقه حول احاديث هذا الباب قال في احد عباراته : « فالمراد بالقبر في اكثر الاخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ » ^(٢) . وهناك مسألة اخرى يجدر الالتفات اليها وهي طبقاً لما جاء من قرائن في الروايات يتضح بأنّ اسئلة واجوبة القبر هي ليست اسئلة واجوبة عادية يتمكن الانسان من الاجابة عليها بما يحلوه ، بل هي اسئلة تنبع اجاباتها من اعماق روح الانسان ، ومن صحيح معتقداته ، ولا يؤثر تلقين الاموات الا في اثارها لانه يؤثر في الاجابة بصورة مستقلة ، فالجواب كانه ينبع من عمق التكوين والحقيقة الكامنه في الباطن

ب - ضغطة القبر :

هذه المسألة هي من المسائل التي ورد ذكرها في احاديث كثيرة ايضاً ، كما يستفاد من الروايات ايضاً بأنّ ضغطة القبر تشمل الجميع بدون استثناء ، كلّ ما هنالك انها تكون شديدة على البعض وتكون من عقوبات الاعمال ، وتكون اقلّ شدة على البعض الآخر وتعتبر كفارة للذنوب ؟

جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ عندما وارى التراب الصحابي

(١) تفسير البرهان الجزء ٢ الصفحة ٣١٤ ، الحديث رقم ٩ (في تفسير ذيل الآية ٢٧ من سورة ابراهيم) .

(٢) بحار الأنوار الجزء ٦ الصفحة ٢٧١ .

المعروف (سعد بن معاذ) أنه قال : « أنه ليس ما مؤمنٍ إلا وله ضَمَةٌ » (١) .

وفي رواية أخرى عن الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم » (٢) .

لكن يستفاد من رواية أخرى بأن المؤمنين لا تمسهم ضغطة القبر ابداً ، وإن ضغطة القبر التي حلت بسعد بن معاذ هي من اجل سوء خلقه مع اهله ، جاء في هذه الرواية : (إِنَّهُ كَانَ فِي خَلْقِهِ مَعَ أَهْلِهِ سُوءٌ) (٣) .

لذا جاء في بعض الاخبار أنَّ الذين يمارسون بعض الاعمال الصالحة (مثل حج بيت الله عدة مرات ، او المواظبة على قراءة بعض سور القرآن ، او بعض الاذكار) ينجون من ضغطة القبر (٤) .

وعلى اية حال فإن ضغطة القبر هي أوّل العقوبات في عالم البرزخ ، ولكن هل تنزل ضغطة القبر على هذا الجسم المادي ثم تنتقل منه الى الروح (سبب العلاقة الموجودة بين هذا الجسم والروح على اية حال) ، ام تنزل على ذلك الجسم المثالي ؟ للإجابة على هذا السؤال يأتي نفس الرايين السابقين ايضاً ، ولكن بما أنَّ الدخول في التفاصيل الجزئية لا ثمرة منه لذا نمّر عليه مرّ الكرام ، ونقتصر في القول على أنَّ اصل وجود ضغطة القبر هي من المسلّمات ، وذلك طبقاً لمفاد كثير من الروايات (٥) ، وقد جاء في احدها عند الجواب على سؤالهم بأن من علق بخشبة الاعدام عدة ايام كيف تناله ضغطة القبر ؟ ، قال الامام الصادق عليه السلام : أَنَّ رَبَّ الارض

(١) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٧١ ، الحديث رقم ١٩ و ١٦ .

(٢) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٧١ ، الحديث رقم ١٩ و ١٦ .

(٣) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٧١ ، الحديث رقم ١٤ .

(٤) لكسب معلومات اكثر راجع الجزء الثاني من كتاب سفينة البحار الصفحة ٣٦٧ مادة قبر .

(٥) كالروايات القائلة بأن « القبر إما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران » التي اشرنا اليها سابقاً ، فإنها يحتمل ان تكون دليلاً على أنَّ ضغطة القبر تنزل على القالب المثالي والروح وذلك لأنَّ القبر المادي لا يتحول الى جنّة او حفرة من النار .

هوربُّ الهواء فيوحى الله عزَّ وجلَّ الى الهواء فيضغطه ضغطَةً اشدَّ من ضغطة القبر^(١).

ج - عن ايِّ الامور يُسأل ؟

تدل الاخبار الكثيرة الواردة في موضوع سؤال القبر ، على انَّ اسئلة القبر توجَّه الى فريقين هما : الفريق الذي محضُ الايمان محضاً ، والفريق الذي محضُ الكفر محضاً ، اما المستضعفون الذين هم لا لهؤلاء ولا لهؤلاء فإن السؤال منهم يُرجأ الى يوم القيامة .

جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « لا يُسأل في القبر إلا مَنْ محضُ الايمان محضاً او محضُ الكفر محضاً والآخرين يلهون عنهم »^(٢) .
وجاء نفس هذا المعنى في حديث آخر عن الامام الباقر عليه السلام عندما سأله احد اصحابه : مَنْ المسؤولون في قبورهم ؟ فاجابه الامام عليه السلام : « مَنْ محضُ الايمان ومن محضُ الكفر » .

فسأله الراوي : وما حال بقيّة الناس ؟

فاجابه الامام عليه السلام « يلهي عنهم » .

فسأله الراوي : وعن أيِّ شيء يُسألون ؟

فقال الامام عليه السلام : « عن الحُجَّة القائمة بين اظهركم »^(٣) .

يظن البعض بأنَّ السؤال لا يكون الا عن العقيدة لا عن الاعمال ، واعتبروا جملة « من محضُ الكفر ومن محضُ الايمان » (جاراً ومجروراً) ، لا « صلةً وموصولاً » فيكون مفهومها في هذه الحالة : « لا يُسأل الا عن الايمان الخالص والكفر الخالص » .

ولكن نظراً الى انَّ الروایتين المذكورتين تحدثت عن الافراد بوضوح « لا عن

(١) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٦٦ ، الحديث رقم ١١٢ .

(٢) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٦٠ - « الكافي » الجزء ٣ الصفحة ٢٣٥ (باب المسألة في القبر ، الحديث رقم ١) .

(٣) « الكافي » الجزء ٣ الصفحة ٣٣٧ ، الحديث رقم ٨ .

الاعمال ، اذ لا يكون التفسير الثاني مناسباً ، هذا بالاضافة الى ما جاء في رواية علي بن الحسين عليه السلام التي ورد ذكرها سابقاً من ان السؤال هناك يشمل ساعات العمر وسبل كسب المال ايضاً .

د - ارتباط الروح بهذا العالم :

يوجد في هذا المجال روايات متعددة ايضاً تشير الى ان الروح عندما تنتقل الى عالم البرزخ لا تنفصل عن الدنيا بالمرّة ، بل تطلّ عليها بين الحين والآخر . وفي المجلد الثالث من كتاب الكافي يوجد هناك باب تحت عنوان « ان الميت يزور اهله » ، قد ذكر فيه خمس روايات تدلّ على ان المؤمنين ، وغير المؤمنين ايضاً يزورون اهلهم بين الحين والآخر ، قال الصادق عليه السلام : « ان المؤمن ليزور اهله فيرى ما يحب ويستر عنه ما يكره ، وان الكافر ليزور اهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحب » (١) .

وقال العلماء الذين تمكنوا من الاتصال بالارواح بالطرق العلمية الخاضعة للتجربة : ان ارواح البشر بعد موتهم لا تنفصلون عن هذا العالم كلياً ، بل لديهم معلومات معيّنة عن هذا العالم ، كما ان الاتصال بهم ممكن ايضاً (ويوجد في هذا المجال تجارب وقصص كثيرة ، يخرجنا ذكرها عن صلب الموضوع) .

هـ - انتفاع الارواح بأعمال الآخرين الصالحة :

وهناك امر آخر تجدر الاشارة اليه وهو وجود روايات كثيرة وردت في مصادر اسلامية مختلفة ، دلت على ان عمل الخيرات لارواح الاموات تصل اليهم على شكل هدايا ، وهذا الامر يدل من احد جهاته على وجود عالم البرزخ ، ومن جهة اخرى على ارتباط الارواح بهذا العالم .

جاء في الحديث عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام : « ما من عبد زار قبر

(١) « الكافي » الجزء ٣ الصفحة ٢٣٠ ، الحديث رقم ١ .

مؤمن فقرأ عليه إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرّات ألا غفر الله له ولصاحب القبر،^(١).
بل يستفاد من بعض الروايات أنّ «المسيح ﷺ مرّ على أحد القبور فوجد صاحبه في العذاب، وعندما مرّ في العام المقبل عليه وجده في النعيم، فعندما سأل من الله عن ذلك خوطب بأنّ السبب في هذا هو فعل خير أدّاه ابن مؤمن له، وهو اصلاحه لاحد الطرق وإيواءه يتيماً»^(٢).

كما يستفاد من روايات متعددة ايضاً بأنّ من سنّ سنّة حسنة، او سنّة سيئة فله ثوابها او عليه وزرها، كما أنّ الحسنات الجارية تصل بركاتها اليه على الدوام^(٣).
وجاء في الحديث عن الامام الصادق ﷺ أنّه قال: ستّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولدّ صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقلب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يُجرّيه، وسنّة حسنة يؤخذ بها بعده^(٤).

٥ - هل يمرّ الجميع في مرحلة البرزخ؟

هل يعلم جميع من يفارق الدنيا وينتقل الى عالم البرزخ بما يدور حولهم؟ أم أنّ فريقاً منهم يقضون حياتهم في البرزخ، وهم لا يعلمون بما يدور من حولهم فهم كالنيام، فينهضون من نومهم هذا يوم القيامة، فيتصورون مرور الف عام عليهم وكأنه ساعة؟

يستفاد المعنى الثاني من الآية ٥٥ من سورة الروم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

(١) «المحبّة البيضاء» الجزء ٨ الصفحة ٢٩٠.

(٢) «بحار الانوار» الجزء ٦ الصفحة ٢٢٠، الحديث رقم ١٥.

(٣) راجع ما جاء في الروايات المتعلقة بالسنة الحسنة والسنة السيئة في بحار الانوار الجزء ٦٨ (طبعة الوفاء - بيروت) الصفحة ٢٥٧ باب ٧٣.

(٤) بحار الانوار الجزء ٦ الصفحة ٢٩٣ (باب ١٠ الحديث الاول).

وهذا يتم طبعاً في حالة تفسيرنا للآية على أنّ عالم الدنيا او عالم البرزخ لا يعدّ شيئاً في مقابل القيامة . (فتأمل)

ولكن بعض الآيات التي تحدثت عن البرزخ ظاهرها الاطلاق والعموم ، مثل الآية (١٠٠) من سورة المؤمنين التي نزلت في شأن الكفار ظاهراً ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُنْعَثُونَ ﴾ . (الا اذا قيل بأن الآية السابقة خاصة ، وهذه عامة فتقيد الاخيرة بها) .

كما تكرر ذكر هذا المعنى في الروايات ايضاً وهو أنّ سؤال القبر يختص بفريقين فقط : وهم من محض الايمان محضاً او محض الكفر محضاً ، اما الباقيون فيُلهى عنهم .

وقد ورد ذكر هذه الروايات في البحث السابق ، ولمزيد من الاطلاع على هذه الروايات راجع المجلد السادس من بحار الانوار الصفحة (٢٦٠) ، الاحاديث رقم (٩٧) و (٩٨) و (٩٩) و (١٠٠) .

اما بالنسبة لعبارة « يُلهى عنهم » فليس مفهومها عدم شمول البرزخ لهم ، بل تدل على عدم توجه الاسئلة لهم في القبر ، على عكس ما جاء في روايات ضغطة القبر فهي تشمل الجميع باستثناء بعض اولياء الله (وقد مرّ ذكر الروايات المتعلقة بهذا البحث) .

٦- الغاية من وجود البرزخ :

اتضح بجلاء الغاية من الحياة الدنيا ، وهي كونها محل ابتلاء وتعليم وتربية وكسب الكمالات العلمية والعملية للاعداد للآخرة ، فالدنيا في نظر الروايات وبعض الآيات القرآنية هي مزرعة ومكسب ومدرسة وهي ساحة اعداد ، او بتعبير آخر هي بمنزلة « عالم الجنين » بالنسبة لعالم الآخرة .

والآخرة هي منبع الانوار الالهية ومحكمة الحق الكبرى ، ومحل حساب الاعمال ومنزل القرب والرحمة الالهية .

ويبقى هنا سؤال يجب الاجابة عليه وهو ما هي الغاية من وجود « البرزخ » ؟ وللاجابة على هذا السؤال يمكن ان يقال بأن الغاية من توسط البرزخ بين الدنيا والآخرة ، هي نفس الغاية المتوخاة من كل مرحلة متوسطة اخرى ، وذلك لأن الانتقال من محيط الى محيط آخر يختلفان تمام الاختلاف مع بعضها ، وسوف لن يتَّخَمَلُ الأَبُوجُودُ مرحلة متوسطة تحمل بعض خصوصيات المرحلة الاولى ، مع بعض خصوصيات المرحلة الثانية معاً .

هذا بالاضافة الى ان يوم القيامة بالنسبة لجميع البشر يتحقق في يوم واحد ، وذلك لوجوب تبدل الارض والسماء لايجاد عالم جديد ، وحياة جديدة للبشر في ذلك العالم الجديد ، لذا فإنه لا يوجد أي سبيل آخر لتحقيق ذلك الا بتوسط البرزخ بين الدنيا والآخرة ، وانتقال الارواح بعد انفصالها من الجسم المادي الى البرزخ لتبقى هناك حتى انتهاء الدنيا ، وبعد انتهاء الدنيا وقيام القيامة يحشر الجميع معاً ، وذلك لعدم امكان تخصيص قيامة مستقلة لكل انسان ، وذلك لأن القيامة لا تتحقق الا بعد فناء الدنيا وتبدل الارض بغير الارض والسماء بغير السماء .

بالاضافة الى ذلك فقد دلت بعض الروايات على اصلاح بعض النواقص العلمية والتربوية للمؤمنين في البرزخ ، وعلى الرغم من ان البرزخ لم يعد لعمل الصالحات ، لكن ما المانع من ان يكون هناك موضع لا رتقاء المعرفة والعلم ؟

جاء في الحديث عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام : « مَنْ مَاتَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَشِيعَتِنَا وَلَمْ يُحَسِّنِ الْقُرْآنَ عُلِّمَ فِي قَبْرِهِ لِيَرْفَعَ اللَّهُ بِهِ مِنْ دَرَجَتِهِ ، فَإِنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى قَدَرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، يُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقُ ، فَيَقْرَأُ ثُمَّ يَرْقَى » ^(١) .

ملاحظة :

كنّا نود ان نجمع كل مباحث « المعاد في القرآن » في مجلد واحد كي يسهل تناولها ، لكننا عند العمل وجدنا أنّ البحوث بلغت من السعة ما يقارب التسعمائة الى الالف صفحة (مع الاختصار) وإنّ جمعها في مجلد واحد امر عسير ، لذا لم نر بدأ من وضع البحوث المتعلقة بكلّيات « المعاد » في مجلد والبحوث المتعلقة « بخصوصيات المعاد » في مجلد آخر ، على امل اداء حق جميع البحوث على قدر الامكان .

اللهم اننا نعلم بأنّ امامنا سفرأ طويلاً ومليئاً بالمخاطر وبأننا لم نعدّ انفسنا له ، فوفقنا لاعداد انفسنا اعداداً اكمل واسرع .

يارب ! انّ عبدك المخلص علي عليه السلام كان يذرف الدموع ويقول : آه من قلة وبعد والسفر الزاد ، فكيف بنا وقد خلت ايدينا من الزاد ، فإننا لا نرجو الا لطفك الدائم .

لكننا نعلم يارب بان كل مالدينا من العلم هو انّ هناك عالماً اسمى وارقي وراء هذا العالم المحدود الضيق المظلم .. عالم تشع عليه انوارك على الدوام ، وانّ آثار قدرتك وعظمتك فيه اكثر وضوحاً واشعاعاً ، وهو يبشّرنا بلقائك المعنوي الذي حرمنّا منه في هذه الدنيا ، ويدعونا الى المأدبة الكبرى ويبشّرنا بالجلوس على خوان « ملا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

فلا تحرمنا من ذلك طا عظيم !

انتهى المجلد الخامس من التفسير الموضوعي « رسالة القرآن » في

١٣ / ١٠ / ١٣٦٩ هـ . ش

١٦ / ج ٢ / ١٤١١ هـ . ق

الفهرست

فهرست ٤٢٣

ماهو التفسير الموضوعي ٧

اهمية بحث المعاد

جمع الآيات وتفسيرها ١٣

انكار المعاد هو عين الضلال ١٨

اسماء المعاد في القرآن الكريم ١٨

جمع الآيات وتفسيرها ٢٣

احياء الموتى ٢٦

البعث ٢٧

الحشر ٢٧

النشر ٣٠

المعاد ٣١

لقاء الله ٣٣

الرجوع الى الله ٣٥

للقيامة سبعون عنواناً في القرآن ٣٩

القسم الاول

يوم القيامة ٤١

اليوم الآخر ٤٢

يوم الحساب ٤٣

يوم الدين ٤٤

يوم الجمع ٤٥

يوم الفصل ٤٥

يوم الخروج ٤٦

اليوم الموعود ٤٧

يوم الخلود ٤٨

يوم عظيم ٤٨

يوم الحسرة ٤٩

يوم التغابن ٥٠

يوم التناد ٥١

يوم التلاق ٥٢

يوم الآزفة ٥٤

يوم عسير ٥٥

يوم أليم ٥٦

يوم الوعيد ٥٧

اليوم الحق ٥٨

يوم مشهود ٥٨

يوم معلوم ٥٩

يوماً عبوساً قمطريراً ٦٠

يوم البعث ٦١

القسم الثاني

يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ٦٤

يوم تمور السماء موراً ٦٥

يوم تكون السماء كالمهل ٦٧

يوم ترجف الأرض والجبال ٦٨

يوم يسمعون الصيحة بالحق ٦٩

٧١..... يوم ينفخ في الصور

٧٢..... يوم كان مقداره خمسين الف سنة

القسم الثالث

٧٦..... يوم تبلى السرائر

٧٨..... يوم ينظر المرء ما قدمت يداه

٨٠..... يوم تنقلب فيه القلوب والابصار

٨٢..... يوم يتذكر الانسان ما سعى

٨٣..... يوم يقوم الناس لرب العالمين

٨٤..... يوم يقوم الاشهاد

٨٦..... يوم لا ينفع مال ولا بنون

٨٧..... يوم لا تجري نفس عن نفس شيئاً

٨٩..... يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

٩١..... يوم يغفر المرء من أخيه

٩٢..... يوماً يجعل الولدان شيباً

٩٤..... يوم يكشف عن ساق

٩٥..... يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم

٩٦..... يوم يعرض الظالم على يديه

٩٧..... يوم يعرض الذين كفروا على النار

٩٩..... يوم يدعون الى نار جهنم دعاً

١٠٠..... يوم نبطش البطشة الكبرى

١٠١..... يوم يدع الداع الى شيء نكر

١٠٢..... يوم نقول لجهنم هل امتلأت

يوم يقول المنافقون والمنافقات..... ١٠٤

يوم لا ريب فيه..... ١٠٥

ثمرة البحث..... ١٠٦

دلائل المعاد

أدلة اثبات المعاد..... ١١١

امكان المعاد ومنطق المخالفين..... ١١٤

جمع الآيات وتفسيرها..... ١١٤

ثمرة البحث..... ١٢٠

دلائل امكان المعاد

الخلق الأول..... ١٢٣

جمع الآيات وتفسيرها..... ١٢٤

ايضاحات..... ١٣٠

القدرة الالهية المطلقة..... ١٣٤

جمع الآيات وتفسيرها..... ١٣٤

آيات احياء الارض..... ١٤١

جمع الآيات وتفسيرها..... ١٤٣

جواب لسؤال..... ١٥٠

التطورات الجنينية..... ١٥٣

المعاد في عالم الطاقة..... ١٦٥

جمع الآيات وتفسيرها..... ١٦٦

النماذج التاريخية الفذة للمعاد..... ١٧٥

قصة حياة عزيز بعد موته..... ١٧٦

١٨٣..... قصة اصحاب الكهف

١٨٥..... قصة أصحاب الكهف في كتب التاريخ

١٨٦..... موضع الغار

١٨٧..... قصة أصحاب الكهف في منظار العلم الحديث

١٩٠..... قصة هزيمة بني اسرائيل

١٩٢..... قصة قتيل بني اسرائيل

دلائل وقوع المعاد

١٩٧..... برهان الفطرة

١٩٨..... جمع الآيات وتفسيرها

٢٠٢..... توضيحات

٢٠٧..... برهان الحكمة

٢٠٨..... جمع الآيات وتفسيرها

٢١٥..... برهان العدالة

٢١٦..... جمع الآيات وتفسيرها

٢٢٠..... توضيحات

٢٢٣..... برهان الغاية والحركة

٢٢٣..... جمع الآيات وتفسيرها

٢٣١..... برهان الرحمة

٢٣٦..... جمع الآيات وتفسيرها

٢٤٣..... برهان خلود الروح

٢٤٥..... جمع الآيات وتفسيرها

٢٤٦..... عن الشهداء في سبيل الله

- ٢٤٧..... عذاب آل فرعون في البرزخ
- ٢٤٨..... قبض الارواح
- ٢٥٢..... خلود الروح
- ٢٥٧..... هل الروح مستقلة عن البدن؟
- ٢٦٠..... أدلة أنصار نظرية استقلال الروح
- ٢٦٢..... وحدة شخصية الانسان
- ٢٦٤..... خطأ ينبغي اجتنابه
- ٢٦٦..... تساؤل
- ٢٦٧..... الظواهر الروحية لا تتلائم مع الكيفيات المادية
- ٢٦٩..... هل النفس مجردة؟
- ٢٧١..... المعاد الجسماني
- ٢٧٢..... المجموعة الاولى
- ٢٧٣..... جمع الآيات وتفسيرها
- ٢٧٣..... كيف تحيي العظام المتفسخة؟
- ٢٧٥..... المجموعة الثانية
- ٢٧٧..... كيف يُبعث مَنْ في القبور
- ٢٧٨..... المجموعة الثالثة
- ٢٧٨..... جمع الآيات وتفسيرها
- ٢٨٠..... المجموعة الرابعة
- ٢٨١..... جمع الآيات وتفسيرها
- ٢٨١..... المجموعة الخامسة
- ٢٨٢..... هل يمكن ان نخلق من التراب ثانية؟

٢٨٣.....	المجموعة السادسة.
٢٨٤.....	جمع الآيات وتفسيرها.
٢٨٦.....	المجموعة السابعة
٢٨٨.....	المجموعة الثامنة
٢٨٩.....	جمع الآيات وتفسيرها
٢٩١.....	المجموعة التاسعة.
٢٩٢.....	ثمرة البحث
٢٩٣.....	المعاد الجسماني في مقياس العقل
٢٩٥.....	شبهات جاحدي المعاد الجسماني.
٢٩٦.....	استحالة إعادة المعدوم.
٢٩٧.....	شبهة الآكل والمأكول.
٣٠١.....	الجواب النهائي لشبهة الآكل والمأكول.
٣٠٥.....	شحة العناصر الترابية على سطح الارض.
٣٠٧.....	هل تسع مساحة الارض لحشر جميع الناس ؟
٣٠٩.....	كيف يتلائم الذي من صفاته الفناء مع الخلود؟
٣١٠.....	هل يمكن الجمع بين معاد الاجسام والارواح ؟
٣١١.....	اي جسم يُعاد يوم القيامة ؟
٣١٢.....	ثمرة البحث.
٣١٣.....	المعاد في الحضارات السالفة
٣١٥.....	الاعتقاد بالمعاد خلال العصور المختلفة.
٣٢٥.....	ثمرة البحث.
٣٢٦.....	المعاد لدى شعوب ما قبل التاريخ

٣٢٩.....	المعاد في ضمير شعوب ما قبل التاريخ
٣٢٩.....	المعاد لدى المصريين القدماء
٣٣١.....	البابليون
٣٣٢.....	السومريون
٣٣٢.....	الزرادشت
٣٣٣.....	الصينيون
٣٣٣.....	اليابانيون
٣٣٤.....	اليونانيون
٣٣٤.....	الرومان
٣٣٥.....	الاعتقاد بالمعاد في كتب اليهود
٣٣٧.....	القيامة من وجهة نظر الاناجيل
٣٣٩.....	الايمان بالمعاد وعلاقته بالتربية
٣٤١.....	جمع الآيات وتفسيرها
٣٤٤.....	الايمان بالمعاد وتأثيره على الاستقامة
٣٥٤.....	انكار المعاد وعلاقته بالرؤية الواقعية
٣٥٨.....	الآثار الايجابية العميقة للايمان بالقيامة
٣٦١.....	الآثار التربوية للمعاد من وجهة نظر الروايات
٣٦٣.....	الايمان بالمعاد وعلاقته باطمئنان النفس

مدخل عالم البقاء

٣٦٩.....	الموت هو مدخل عالم البقاء
٣٧١.....	جمع الآيات وتفسيرها
٣٧٤.....	حقيقة الموت

٣٧٤.....	ملائكة الموت.....
٣٧٥.....	حال المؤمنين والظالمين عند سكرات الموت.....
٣٧٧.....	علة الخوف من الموت.....
٣٧٩.....	الغاية من الموت والحياة.....
٣٨١.....	مقدمات الموت وسكراته.....
٣٨٣.....	تمني العودة والاصلاح.....
٣٨٥.....	الموت هو مدخل عالم البقاء.....
٣٨٧.....	لماذا نخاف الموت؟.....
٣٨٩.....	أسباب الخوف من الموت من وجهة نظر الرويات.....
٣٩١.....	البرزخ.....
٣٩٣.....	جمع الآيات وتفسيرها.....
٤٠٢.....	البرزخ في الاحاديث الشريفة.....
٤٠٦.....	البرزخ من وجهة نظر العقل والحس.....
٤٠٧.....	قبسات من عالم البرزخ.....
٤١٠.....	خصوصيات عالم البرزخ.....
٤١٠.....	سؤال القبر.....
٤١٢.....	ضغطة القبر.....
٤١٤.....	عن اي الامور يُسأل؟.....
٤١٥.....	ارتباط الروح بهذا العالم.....
٤١٦.....	هل يمر الجميع بمرحلة البرزخ؟.....
٤١٧.....	الغاية من وجود البرزخ.....
٤١٩.....	ملاحظة.....